



مرجعنا أبو خمسين

دراسة تحليلية لمرجعية الشيخ محمد بن حسين أبي خمسين
زعيم مدرسة آل البيت الحكيمة بالأحساء

تأليف: حسن الشيخ

الطبعة الأولى
١٤٤٠هـ - ٢٠١٨م

دار الرأي العربي
بيروت - لبنان

مرجعنا أبو خمسين

دراسة تحليلية لمرجعية الشيخ محمد بن حسين أبي خمسين
زعيم مدرسة آل البيت الحكيمة بالأحساء

تأليف: حسن الشيخ

الطبعة الأولى
١٤٤٠هـ - ٢٠١٨م

دار الرأي العربي
بيروت - لبنان

الكتاب: مرجعنا أبو خمسين

المؤلف: حسن الشيخ

الطبعة: الأولى

السنة: ١٤٣٩هـ/ ٢٠١٨م

الناشر: دار الرأي العربي

مكان الطباعة: بيروت، لبنان

حقوق الطبع والنشر محفوظة



بِسْمِ اللّٰهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِیْمِ



تقديم

يعتقد البعض من المؤرخين أنّ المرجعية الدينية في الزمن الماضي لم يكن لها صفة الشمول والاتساع، وأنّ حالة التعدّدية المرجعية كانت هي السائدة في تلك العصور؛ بحكم صعوبة وسائل النقل من جهة، وبساطة وسائل الاتصال من جهةٍ أخرى؛ فكانت المرجعيات الكبرى تتسع وتضيق تبعاً لمتغيّراتٍ عدّة، لعلّ أبرزها هيمنة (الذات المرجعية) على الساحة العلمية، بالإضافة إلى تنامي الشعور بالتقديس لهذه المرجعيات (الكبرى).

وبالرغم من مصداقية التشخيص التاريخي للحالة المرجعية إلا أنّ الصحيح -تاريخياً- هو تواجد مرجعيات كبرى ذات هيمنة واسعة في العصور المتقدّمة قلّ نظيرها في عصرنا الحاضر، من أمثال: ثقة الإسلام (الكليّني)، ورئيس المحدثين (الشيخ الصدوق)، وذو المجدين (الشريف المرتضى)، وشيخ الطائفة (الطوسي)، وغيرهم -أعلى الله مقامهم جميعاً-، فهؤلاء الأعلام والمراجع الكبار من أعلام الطائفة يمكن وصف مرجعياتهم بالمرجعيات الشاملة، حتى في فترات غيابهم عن الساحة العلمية، فشيخ الطائفة الطوسي -مثلاً- هيمنت شخصيته العلمية على المجتمع الشيعي بأسره طيلة قرنٍ ونصف تقريباً بعد وفاته؛ فلم يكن يجرؤ أحد من الفقهاء أن يطرح فتاواه الفقهية مقابل فتاوى الشيخ الطوسي، حتى جاء العلامة الكبير ابن إدريس الحلّي الذي ناقش الكثير من آراء الشيخ الطوسي قدس سرّه الشريف.

فإذا كانت للمرجعيات الدينية صفة الشمول والاتساع؛ فإنّ لها -أيضاً- صفة الحركة الفاعلية في شتّى مناحي الحياة، وليس أدلّ على ذلك من مرجعية الشيخ كاشف الغطاء، والميرزا السيّد محمد حسن الشيرازي، والأخوند محمد كاظم الخراساني، وغيرها من المرجعيات العظيمة التي ساهمت في كلّ الأبعاد الحياتية المعاصرة، بل إنّ بعض مراجعنا العظام لم تنقطع إفاضاتهم حتى بعد وفاتهم، وبقيت شخصياتهم تحرك جموع المؤمنين في شتّى الأقطار الإسلامية، ومن جملة مراجعنا العظام -الأموات الأحياء-: الشيخ أحمد بن زين الدين الأحسائي، والسيّد كاظم الرشتي،





والشيخ مرتضى الأنصاري، والشيخ محمد بن حسين أبو خمسين - المترجم له -، والشيخ محمد بن عبدالله العيثان، والسيد محمد مهدي الشيرازي، والسيد الخوئي زعيم الحوزة العلمية، وغيرهم من العلماء الأعلام في مختلف الأزمان.

ومرجعنا أبو خمسين قدس سره هو أحد هؤلاء المراجع الكبار الذين أنجبتهم الأحساء، وسطعت أنوار مرجعياتهم إلى أقاصي الدنيا، ولم يزل - أبو خمسين - يخالط حبه تاريخ الأحساء الاجتماعي، ولم يزل علمه مطروحاً على مائدة العلماء في الحوزات العلمية.

وفي هذه الترجمة (مرجعنا أبو خمسين) نحاول أن نتصدى بالبحث والرصد والتدقيق إلى مسيرة المرجعيات الكبرى في عالمنا الإسلامي، و نرصد أيضاً تاريخ مرجعياتنا الأحسائية تحديداً؛ وذلك لغياب الدراسات التاريخية الجادة عن حياة هؤلاء العظام خلال القرون المتأخرة.

وقبل البدء لا بد لنا من التأكيد أنّ هذه الدراسة ليست دراسة (سهلة)، بل هي دراسة شاقة ومتعبة؛ لأنّها ليست ترجمة تقليدية لعلم كبير من أعلام الشيعة، بل هي ترجمة للتاريخ الشيعي الفلسفي والفكري كلّه، وهي من جهة أخرى ترجمة لكل علماء الشيعة الكبار عبر عصور التاريخ.

إنّ دراسة مثل هذه تسعى لأن تكون (بانورامية) في رؤيتها لترجمة مركّزة، تختصر عادةً في بضع صفحات؛ لذلك سعت دراستنا لأن تكون ذات رؤية شاملة للتاريخ، وللمكان، وللإنسان أيضاً.

حسن الشيخ - الدمام

١٤٣٧/٥/٢٨ هـ





الفصل الأول

تاريخنا الأحسائي



قبل التاريخ:

عاش الإنسان الجاهليّ - قبل الإسلام - حياة البداوة، وما يلازمها من ارتحالٍ وتنقّل طلباً للماء والكلأ؛ ولذلك فلم يكن لدى العربيّ آنذاك وعيٌّ بالتاريخ، ولا مدرسة فكريّة متكاملة، بل ولا منظوماتٌ ثابتة، أو نظمٌ اقتصادية وسياسية واضحة، ففي ذلك الوقت المبكّر من عمر الزمن لم يعرف البدويّ الوعي التاريخي الذي عرفته الشعوب الأخرى - كما يرى الشيخ محمد مهدي شمس الدين - حيث كانت (أيام العرب) هي كلّ تاريخ البدويّ ووعيه، وهذا الوميض الهلامي من الشعور بالماضي لا يرقى لأن يكون وعياً تاريخياً بالمعنى الحضاري الذي نفهمه اليوم^(١)؛ ولهذا لم ينشئ العربي أيّة ثقافة مدوّنة يمكن أن تبني شخصية الإنسان العربي الحضارية، بل كانت الحياة على درجة عالية من السذاجة والبساطة لأحداث أيّ مؤثّرٍ تاريخي على مستوى الجغرافيا أو التاريخ، وهذا نابع من انعدام الشعور بالزمن كمفهوم حضاري، أي أنّ العربي لم يكن لديه ذلك الشعور باستمرار الأحداث وديمومتها وتفاعلاتها المتشابكة؛ فاقصر وعيه على (أيامه)، ومعرفته (بأنسابه)، وكلاهما - الأيام والأنساب - لهما ذلك الارتباط الماضي البسيط.

إنّ التاريخ له وظيفة أخلاقية، وهذه الوظيفة تتجذّر معالمها من هويّة وطبيعة النهج الذي تسلكه الأمة في بناء نفسها، وفي هويّة الدور الذي تعدّ نفسها للقيام به في محيطها الجغرافي؛ ولذلك فإنّ التاريخ هو المادة البانية للنهج الفكري للأمة، من دون أن يعني ذلك تحوّل التاريخ إلى مادة إعلامية، أو أداة دعائية لهذا الفكر؛ لأنّ التاريخ الحقيقي ينبغي أن يخدم غايات رسالية وأخلاقية سامية، لذلك فإنّ التاريخ كما يراه الشيخ شمس الدين يصنعه البشر باستمرار «ينسجونه خيطاً فخيطةً، وبينونه ذرةً فذرةً، من ملايين الآمال الصغيرة، والمخاوف الصغيرة، والأحقاد الصغيرة، والشهوات الصغيرة التي تتراكم فتكوّن منها عجينة التاريخ،

١ - (١) حركة التاريخ عند الإمام عليّ، الشيخ مهدي شمس الدين، المؤسسة الدولية للدراسات والنشر، بيروت، ط ٤، ١٤١٨ هـ، ص ٨٧.



ولكنّها لن تكون تاريخاً ما لم تتضمّن فكرة تغيير وروح تغيير، وتجعل من آحاد الآمال والمخاوف والأحقاد والشهوات التي تبلغ الملايين شيئاً واحداً كبيراً تنبض فيه روح واحدة تلفّ بوهجها كل المجتمع والجماعة، فتكون حركة واحدة متدفّقة هادرة تحدوها رؤيا واحدة، أو رؤى متقاربة، حينئذ تنشط حركة التاريخ»^(١).

إنّ وجود حالة التغيير التي تحرّك عجلة التاريخ، هي في الحقيقة حالة فريدة تبدأ من الداخل، قبل أن تتحوّل إلى فعل جمعي، وصراع حضاري، ولكنّه ليس صراعاً ضيقاً فردياً (من أجل المكانة أو الهيبة) - كما يعتقد هيجل - بل إحساس جمعي حين تتحدّ الرغبات الفردية؛ لتكون حركة مركزية واحدة قادرة على إدارة المجتمع أو الأمة.

أمّا حالة التغيير الفردية فهي نابعة من الإنسان، أي أنّ إحساس الإنسان بقيمته الذاتية ومطالبته بالاعتراف به ظلّ وإلى الآن يمثل مصدراً للفضائل النبيلة، مثل: الكرامة والشجاعة والشهامة^(٢)، رغم أنّ هناك جانباً مظلماً في نظر بعض المنظرين الذين قادهم اعتقادهم إلى أنّ (الكرامة) و (الشهامة) هي المصدر الرئيس للشرّ الإنساني، إلا أنّ هذه النظرة قاصرة؛ فليست الكرامة هي مصدر الشرّ الإنساني، بل إنّ تاريخ الإنسانية هو مزيج من الانتصارات والانكسارات معاً، فكما أنّ تاريخ الإنسان هو سجل مشرق لانتصاراته وإنجازاته، فهو أيضاً سجل كئيب حافل بأخطائه وانتكاسات حركته نحو المستقبل وخيبات أمله، أي إنّ تاريخ شامل غير انتقائي، إلا أنّ سجل الإنسانية يحتفي دوماً بإشراقات الإنسان وانتصاراته وإنجازاته التي لم تكن سوى حصيلة (التغيير)، ومعركة الإنسانية، وصراعها الطويل ضدّ الأخطار والشرّ من جهة، وغاية التاريخ (الرسالية) من جهةٍ أخرى.

وإذا كان غاية التاريخ وسعي الأمم في صراعها الطويل هو محاربة

٢- (١) حركة التاريخ عند الإمام علي عليه السلام، الشيخ مهدي شمس الدين، المؤسسة الدولية للدراسات والنشر، بيروت، ط٤، ١٤١٨هـ، ص ١٥٠.

٣- (١) نهاية التاريخ، فرانسيس فوكوياما، دار العلوم العربية، بيروت، ١٩٩٣م، ص ٢٠٦.

الأخطاء، والوصول إلى الغاية (الرسالية)؛ فإنّ بداية التاريخ حينئذٍ
تبتدئ من فجر الرسالات، وما قبل ذلك الزمن ليس بتاريخ، وزمن ما
قبل الرسالات هو ما قبل التاريخ بالنسبة للإنسانية؛ حيث لم يكن لما
(قبل التاريخ) أيّ تجارب، أو أهداف، أو معانٍ يمكن أن تعود بالفائدة
على الإنسانية، وبالإضافة إلى ذلك فقد «حقّق الإنسان بإشراق عهد
النبوّات، قفزة نوعية عظيمة وحاسمة في تطوّره نحو الأعلى وتكامله،
فقد خرج المجتمع البشري بالنبوّات عن كونه تكويناً حيوانياً بيولوجياً
إلى كونه ظاهرة عقلية روحية، فعقلت النبوّات المجتمع الإنساني
وروحته»^٤(١).

التاريخ وعصر التحوّلات:

نزع هنا أنّ النبوّات حينما عقلنت المجتمعات الإنسانية، وحوّلتها
من مجتمعات بدائية إلى مجتمعات راقية مكوّنة من ظواهر عقلية
وروحية- لم يكن ذلك التحوّل عميقاً وغائراً في أعماق تلك المجتمعات
البشرية؛ ذلك لتعدّد أشكال التحوّلات الإنسانية: فهناك تحوّلات تلامس
أسطح المجتمعات، وتحوّلات أخرى تغور في أعماق مجتمعات
أخرى، أو لنقل: إنّ تغيير المجتمعات لا يتمّ دفعةً واحدة؛ فالحضارة لها
مزاج خاص، هذا المزاج الحضاري هو اختمار عوامل شتّى: من نظم
وأنساق اجتماعية، وقيم فكرية، وأخرى سلوكية تحتاج إلى زمنٍ طويلٍ
من التفاعل مع العنصر البشري-المكوّن الرئيس للحضارة- حتى تنتج
حضارة مغايرة، لها تاريخ يضعها بين الأمم الراقية، أي أنّ التحوّل السريع
أو التلقائي من أمة بدوية إلى أمة حضارية راقية تحتاج إلى وسيطٍ قادرٍ
على إحداث ذلك الاختمار الطبيعي لكلّ العوامل الحضارية المساعدة
الأخرى.

٤ - (١) حركة التاريخ عند الإمام علي عليه السلام، الشيخ مهدي شمس الدين، المؤسسة الدولية للدراسات
والنشر، بيروت، ط ٤، ١٤١٨ هـ، ص ٧٣.

هناك أدوار للتحوّل لازمة لهذا التغيّر الشامل في مزاج الأمة،

وهذا الأمر يقرّره غوستاف لوبون: «فإذا صحّت النظريات التي شرحناها في هذا الكتاب، صحّ أنّ الأمم الراقية لا تستطيع أن تغيّر حضارتها دفعةً واحدةً، بل يلزمها أيضًا أن تنتقل في ذلك مرحلة بعد أخرى، وأن تقطع أدوار التحوّل دورًا دورًا، وقد يظهر أنّ أممًا راقية تركت دينًا بدين، وبدلت نظامًا بنظام، واختارت لغةً دون لغة، وفنونًا جديدة غير ما كان لأبائها من ذلك، ولكنها في الواقع لم تصل إلى هذا الانقلاب إلاّ بعد أن تكون قد حوّرت ما اتخذته تحويرًا كليًا على مهل، وصقلته حتى جعلته موافقًا لمزاجها العقلي»^(١)، ولا نعتقد أنّ التاريخ يناقض هذا الرأي، ولا يكفي أن يقوم بطل من أبطال التاريخ وحده إثر انقلاب اجتماعي، حتى يحدث ذلك التغيير الجوهرى في الأمة، وإذا دققنا مفردات التغيير التي أحدثها ذلك البطل فلربما نجد أنّ التغيير اقتصر على أسماء الأشياء، بينما بقيت مسميات الأشياء كما هي لم تتغيّر (الدورة التاريخية)؛ لعدم اختمار جميع مكونات التغيير الضرورية لعملية التغيير الشاملة، أمّا ما يقوم به الأبطال الحقيقيون في عملية التغيير فلا يمكن مصادرتة، أو تهميشه؛ لأنّه الدفعة الأولى في عجلة التغيير الاجتماعية، وما يضيفه هؤلاء الأبطال هو الخميرة اللازمة لعملية الاختمار الحضارية.

الأبطال الحقيقيون الذين (غيّروا) التاريخ، لم يغيّروه بين عشية وضحاها، وتاريخنا - الأحسائي - يبدأ برسالة السماء، فكان الفكر، ومن ثم بدأت الأفعال تختمر عبر الأجيال، وكانت حضارتنا هي ذلك التزاوج الشرعي بين الفكر والفعل، والحضارة في نهاية المطاف ليست سوى نتاج الفكر من خلال الفعل الجمعي للأمة، كما أنّ الفعل هو لغة الفكر وضمير الحضارة، وكلّ تاريخ هو جولات الفكر في ميدان الفعل والعمل، حتى يكون التغيير حقيقيًا، وجذريًا في أغوار المجتمعات

٥ - (١) سرّ تطوّر الأمم، جوستاف لوبون، دار النفائس للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ١٩٨٧م، ص ٦٤.

البشرية، بعد أن اختمرت كلّ العوامل التي تكوّن الأمة على مهل.

ولا يمكن لأحدٍ أن يجادل في «أنّ الحضارة بصورة عامة ليست بإنجاز جيلٍ أو جيلين أو ثلاثة أو أكثر؛ فهي تُولد بولادة أمّتها، وتتطوّر بتطوّرها، وتندثر هيكلًا باندثارها، لكنّ جوهرها لا يندثر؛ فجوهر كلّ حضارةٍ هو الإنسان، حيث تتمثّله، فيغيّر من عاداته ونهج سلوكه، ويبدّل في زاوية مطلّة على الأمور والأشياء، ويوسّع في دائرة معرفته؛ فيهجر الكثير من القديم ويتبدع الجديد، ولكنّ حالما يقطع الغرور أو المكابرة صلته بربه؛ فإنّه يهجر نفسه، ويغترّب عن ذاته؛ فيجلده القلق بسياط الضياع، وتقذف به الحيرة إلى مستنقع الشهوة، وتلقي به الشهوة إلى برائن العبث، وهنا يعاوده القلق من جديد؛ فيزيل الغشاوة عن بصيرته؛ فيستيقظ ضميره؛ ليقود عقله عائداً به الإيمان بالله عز وجل»^(١).

إنّ تاريخ الأمة هو حركة الزمان الحضارية من خلالها، وفعل الأمة الحضاري خلال الزمان، ولكلّ حضارةٍ تاريخ، ولكلّ تاريخ موضوع حضاري، والإيمان بالله عز وجل هو الموضوع الحضاري للأمة، لذلك فإنّ بداية التاريخ مرتبط بتاريخ النبوات، وبما أنّ وجود التاريخ مشروط بوجود موضوعه (أي الإيمان بالله)، ووجود الإيمان بالله في أمةٍ من الأمم مرهون بوجود الرسالات السماوية؛ فإنّ تاريخ الأحساء يبدأ منذ دخول (الإسلام) إلى أرضها، وما عدا ذلك التاريخ ليس سوى (أيام) غابرة و (شواهد) قبورٍ دراسةٍ لا قيمة كبرى لها.

إنّ العهد التاريخي للإنسانية بدأ مظاهره بوجود النبوات في المجتمعات البشرية، كما يقرّر الشيخ محمد مهدي شمس الدين في كتابه (حركة التاريخ)، وهذه النبوات أدّت مجتمعاتها للوجود الإنساني الحضاري الأكمل، ويضيف شمس الدين: «إنّّه لم يجد في جميع الكلام الصادر عن الإمام علي عليه السلام حديثاً عن التاريخ قبل عهد النبوات»؛ ومن هنا فإنّ إشراق النبوة هو بداية العصر التاريخي للبشرية،

٦ - (١) تاريخ الفكر الأوربي، رونالد سترومبرغ، مؤسسة عكاظ للصحافة والنشر، جدة، ١٩٨٤م، ص ١٣.



ويؤكد الشيخ شمس الدين هذا المفهوم بقوله: «ما قبل التاريخ إذن بالنسبة

إلى الإنسانية هو ما قبل النبوات؛ حيث كانت الإنسانية تعيش في حالة البراءة الفطرية، وكانت النفس الإنسانية لا تزال عذراء، ساذجة، بدائية، خالية من أيّ تعليم؛ ولذا لم تكن لدى الإنسانية في فترة ما قبل التاريخ هذه تجارب ومعاناة يعود عرضها بالفائدة التعليمية والتربوية لمجتمع متحضّر، تام التكوين، على درجة عالية من التعقيد، يفترض من فيه أنه يبنى على هدى خاتمة الرسالات، وخلاصة النبوات، وهو مجتمع الأمة الإسلامية»^(١).

لقد حققت الإنسانية تاريخاً حقيقياً بإشراق عهد النبوات، كما حققت الأمم قفزة نوعية وحاسمة نحو التكامل، أي أن المجتمعات البشرية خرجت بالرسالات من مجتمعات مكوّنة تكويناً حيوانياً بيولوجياً إلى مجتمعات ذات ظواهر عقلية وروحانية.

إذن العهد التاريخي للبشرية بدأ بظاهرة ظهور النبوات في المجتمعات البشرية، هذه النبوات التي تسعى نحو حياة أفضل لمجتمعاتها، ويشير الشيخ شمس الدين: «لا نجد في جميع الكلام الصادر عن أمير المؤمنين حديثاً عمّا قبل عهد النبوات، ومن هنا استنتجنا أنه يعتبر إشراق النبوة وظهور الأنبياء في المجتمعات البشرية بداية العصر التاريخي للبشرية»^(١).

وقد بين الله سبحانه وتعالى في القرآن الكريم تاريخ عهد النبوات في المجتمع البشري، حيث يقول تعالى: ﴿كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّينَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأَنْزَلَ مَعَهُمُ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ فِي مَا اخْتَلَفُوا فِيهِ﴾، سورة البقرة: ٢١٣.

٧ - (١) حركة التاريخ عند الإمام عليّ، الشيخ مهدي شمس الدين، المؤسسة الدولية للدراسات والنشر، بيروت، ط ٤، ١٤١٨هـ، ص ٧١.

٨ - (١) حركة التاريخ عند الإمام عليّ، الشيخ مهدي شمس الدين، المؤسسة الدولية للدراسات والنشر، بيروت، ط ٤، ١٤١٨هـ، ص ٧١.





ففي قوله تعالى: ﴿كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً﴾ هو إنسان ما قبل التاريخ، أي ما قبل النبوات، حيث يحيا الإنسان في وحدة فطرية قائمة على أساس وحدة المصالح ووحدة الدم من جهة، وعلى عامل سلبي من جهة أخرى، هو عدم وجود ما يهدّد حالة السكون والخمود التي تميّز هذه الحياة؛ نظراً لبساطة الحاجات وتوفّر ما يليها، ويشبعها في الطبيعة دون حاجة إلى مغالبةٍ وصراع، ولكن وحدة المصالح ووحدة الدم ليست كافية لقيام مجتمعٍ إنسانيٍّ كامل؛ ولذلك فقد حقّق الإنسان قفزةً نوعيةً حياتياً بإشراق عهد النبوات، أرقى من وحدة الدم والمصالح.

ولقد عبّر الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام في شأن النبوات وبداية العصر التاريخي للإنسان بقوله: «واصطفى سبحانه أنبياء أخذ على الوحي ميثاقهم، وعلى تبليغ الرسالة أمانتهم، لما بدل أكثر خلقه عهد الله إليهم، فجهلوا حقه، واتخذوا الأنداد معه، واجتالتهم الشياطين عن معرفته»^٩(١).

وهكذا عبّر الإمام عليه السلام حتى آخر خطبته عن آفاق الآية الكريمة، ومن ثم تواترت حركة النبوات للمجتمعات البشرية تضيء عقولها، وتصنع لها تاريخاً، ويضيف الإمام عليه السلام في خطبته: «إلى أن بعث الله سبحانه محمداً رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لإنجاز عدته، وإتمام نبوته، مأخوذاً على النبيين ميثاقه، مشهورة سماته، كريماً ميلاده»^{١٠}(٢).

أيام الأحساء:

يشير العديد من المؤرّخين ممّن أرخوا (لتاريخ) الأحساء القديم (هجر) إلى أنّ الآثار الموجودة اليوم تعود إلى أمم منذ عهد سحيقة؛

٩ - (١) شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، الخطبة الأولى.

١٠ - (٢) المصدر السابق.



حيث تمّ العثور على عددٍ كبيرٍ من الأدوات المصنوعة من حجر الصوان التي استخدمتها الأقوام السابقة في صيد فرائسهم وتقطيع لحومها، وعثر على عدد من رؤوس حراب وسكاكين صنعت من صخور صوانية يتراوح عمرها في تقرير الباحثين ما بين عشرة آلاف سنة واثنتي عشرة ألف سنة؛ فهي بذلك ترجع إلى عهود الرعي القديمة من عمر البشرية وبداية عصر الاستيطان والاستقرار والانشغال بالزراعة^(١)، وتعود تلك الأدوات، والفؤوس، والأزاميل إلى أقدم الحضارات، حيث حضارة العصر الحجري المبكر، والبعض منها يعود لحضارة العصر الحجري الأوسط، أمّا بعض الموجودات فهي تعود لحضارة العصر الحجري الحديث، وكلّها حضارات ما قبل التاريخ الإنساني، أمّا الفخار الملون الخاص بحضارة العبيد، فيعدّ من أبرز دلائل الاستيطان المبكر للساحل الشرقي؛ حيث رصدت العديد من المواقع التي حفلت بمؤشرات استيطانية مبكرة من عصور سحيقة أهمها فترة العبيد، التي يؤكّد الباحثون أنّها نشأت في واحة الأحساء أولاً، ثمّ نزحت إلى الشمال، وتوطّدت في بلاد الرافدين، وكانت الركيزة الأولى أو البذرة المؤسّسة للحضارة السومرية هناك.

وليست الأدوات والأواني والأسلحة التي تمّ العثور عليها في مواقع عديدة على طول الساحل الشرقي للجزيرة العربية هي الوحيدة على دلائل الاستيطان المبكر، بل إضافةً إلى ذلك هناك: شبكات الري، والمدافن، والمعابد، والنقوش بأنواعها، ولكنها تدلّ على عصور ما قبل التاريخ في هذا الجزء من العالم.

ومن أبرز العصور القديمة ما يسمّى (بالحضارة الدلمونية)، التي أكّد أغلب الباحثين على أنّ (دلمون) هي جزيرة البحرين والساحل الغربي للخليج، وذلك لانطباق الأوصاف الواردة في شأن عصر دلمون في كتابات السومريين على هذا العصر^(٢).

١١ - (١) تاريخ هجر، عبدالرحمن بن عثمان الملا، ط٢، مطابع الجواد، الأحساء، ١٤١١هـ/ ١٩٩١م، ج١، ص٤٩.

١٢ - (١) تاريخ هجر، عبدالرحمن بن عثمان الملا، ط٢، مطابع الجواد، الأحساء، ١٤١١هـ/ ١٩٩١م،



وبعد انهيار عصر دلمون في أراضي الساحل الشرقي (الأحساء) لتبقى ضمن ذخائر عصور ما قبل التاريخ، حتى قامت (المدينة الجرهائية) أو العصور الجرهائية الذائعة الصيت؛ لما يتمتع به أفرادها من الغنى والثراء العريض، وذلك بسبب نهوض الجرهائيين بأعباء الوساطة العالمية في التجارة الدولية عبر البحار في تلك الأزمان، وعلى مرّ العصور كانت (هجر) تحتل مركز الريادة في مضمار الملاحة، والنقل، والتجارة، بفعل موقعها الاستراتيجي في جزيرة العرب، علاوة على الخبرات والمهارات التي يمتلكها الجرهائيون في سبر أغوار البحار، والمعرفة الدقيقة بدروبه الملاحية، والقدرات الهائلة في صناعة السفن العملاقة، وبامتلاك الجرهائيين كلّ تلك الإمكانيات استطاعوا اكتشاف أهمّ مغاصات اللؤلؤ واستخرجوها، وعرفوا طرق البحار و منافذها، وأسرار الرياح، ومعرفة الأنواء والنجوم، الأمر الذي مكّن سفنهم الشراعية من عبور البحار والخلجان، فوصلت سفنهم إلى أعالي الفرات، وشواطئ البحر الأحمر والبحر المتوسط، بل إنّ سفنهم الشراعية التي كانت بمثابة الشريان التجاري وصلت إلى الهند والصين، وغيرها من أقاصي البلدان؛ فامتلكوا ناصية الملاحة البحرية، وسيطروا على وساطة التجارة والنقل البحريين بين شعوب العالم القديم، وبهذه الوساطة العالمية تمكّنوا من جمع الأموال الهائلة، التي مكّنتهم أيضًا من السيطرة على الطرق البرية، ولعلّ أكبر إنجاز خلّفته الفترة الجرهائية بناؤها لعاصمتهم الأسطورية (الجرهاء) التي ورد اسمها في عدد كبير من المصادر القديمة، لعلّ أشهرها على لسان الرحالة اليوناني (إسترابون) المتوفى ٢١ - ٢٥ م، حيث وصفها في معجمه الجغرافي، وتعدّ الجرهاء (جرّة) أهمّ مدينة أسّسها الجرهائيون على الساحل الشرقي^{١٣} (١).

ج ١، ص ١١.
١٣ - (١) تاريخ هجر، عبدالرحمن بن عثمان الملا، ط ٢، مطابع الجواد، الأحساء، ١٤١١ هـ / ١٩٩١ م،
ج ١، ص ١٢٨.



بداية التاريخ:

حينما جاء النبي الأكرم -صلى الله عليه وآله- مبشراً ونذيراً؛ فإن قبائل العرب كانت تتقفى أخباره، وتراقب الأحداث عن كثب، وقد انقسمت القبائل العربية إلى قسمين:

القسم الأول: وهم غالبية قبائل العرب التي لم تسلم، وتستجب لنداء السماء.

القسم الثاني: القبائل -وهم قلة- التي استجابت لدعوة النبي الأكرم -صلى الله عليه وآله- طائعين غير مكرهين، ومن هذا القسم كانت قبيلة (عبد القيس) أشهر القبائل العربية على ساحل الخليج، بل إن بعض المفسرين يؤكدون هذا الرأي؛ حيث يذهب ابن جرير الطبري في تفسير قوله تعالى: ﴿أَفَغَيْرَ دِينِ اللَّهِ يَبْغُونَ وَلَهُ أَسْلَمَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَإِلَيْهِ يُرْجَعُونَ﴾ سورة آل عمران: ٨٣، أن الذين أسلموا طوعاً في السماء هم الملائكة، والذين أسلموا طوعاً في الأرض هم الأنصار وعبد القيس، ويحق لهم أن يفخروا به؛ لأنه تخليد إلهي لهم إلى يوم القيامة^{١٤} (١).

بل وتتناقل كتب الحديث قول الرسول محمد صلى الله عليه وآله وسلم مخاطباً الأنصار «يَا مَعْشَرَ الْأَنْصَارِ أَكْرُمُوا إِخْوَانَكُمْ فَإِنَّهُمْ أَشْبَاهُكُمْ فِي الْإِسْلَامِ أَشْبَهُ شَيْءٍ بِكُمْ أَشْعَارًا وَأَبْشَارًا أَسْلَمُوا طَائِعِينَ غَيْرَ مُكْرَهِينَ وَلَا مُؤْتَوْرِينَ إِذْ أَبِي قَوْمٌ أَنْ يُسَلِّمُوا حَتَّى قُتِلُوا»^{١٥} (٢).

هذا الدخول لقبيلة عبد القيس إلى الدين الإسلامي، ليس إلا دخولاً إلى التاريخ من بوابته الواسعة، وخلافاً لما يتناوله بعض المؤرخين من أن قبيلة عبد القيس أوشكت على الارتداد بعد وفاة الرسول -صلى الله عليه وآله- من هول الكارثة لا ينسجم مع المسلمات التاريخية من

١٤ - (١) جامع البيان تأويل القرآن، أبو جعفر محمد بن جرير الطبري، تحقيق محمود شاكر، ط ٢، مصر، ج ٦، ص ٥٦٧.

١٥ - (٢) مسند ابن حنبل، ج ٣، مؤسسة الرسالة، ٢٠٠٩ م، ص ٤٣٢.

إسلام عبد القيس طوعاً، ومع شهادة النبي الكريم لهم، بل إن الشواهد التاريخية المتكاثرة تؤكد ثباتهم على الإسلام أيضاً، ولعل من أبرز تلك الشواهد التي تدل على دخول عبد القيس الإسلام طوعاً وثبوتها عليه قصة تشكيل الوفادة الأولى لقبيلة عبد القيس، بأمر من المنذر بن عائد العبدي (الأشج)، وقد ذكرت المصادر التاريخية قدوم عمرو بن القيس إلى مكة، والتقاءه برسول الله صلى الله عليه وآله^(١).

ولا نرغب هنا أن ندخل في تفاصيل رحلة وفد عبد القيس إلى مكة - المدينة المنورة - وما جرى فيها من أحداث تدل على رغبة عبد القيس في الدخول إلى الإسلام طوعاً حينما سمعت به، إلا أن البعض من المؤرخين يُورد أدلة وشواهد وأسباباً دفعتها للدخول في الإسلام، فقد أورد الباحث علي حبيبة عدداً من هذه الأسباب يستحيل بعدها أن ترتد عنه، وهي التي دخلت فيه طوعاً:

- عاشت عبد القيس في منطقة البحرين - الأحساء - وهي منطقة خصبة، تكاثرت فيها النخيل، وتميّزت بالرخاء، وبإطالها على البحر، منح القبيلة فرصة النظرة المتأنية في الأمور التي تدور من حولهم.

- عرفت منطقة الأحساء الأديان السابقة والسائدة في محيطها، وبالتالي لم تعرف الجحود والتعصب، بل أن معرفتها بهذه الأديان قربتها من الدين الإسلامي.

- أقامت عبد القيس - والقبائل والأخرى - الساكنة منطقة البحرين صلات اقتصادية وثقافية واجتماعية مع القبائل العربية، وغير العربية القاطنة في بلاد جنوب العراق وفارس والشام ممّا هيأها لتقبّل الدين الجديد.

وإذا كانت الوفادة الأولى لعبد القيس بقيادة عمرو بن عبد القيس، فإن الوفادة الثانية كانت بقيادة الجارود بن عمرو بن المعلى

١٦ - (١) الطبقات، ابن سعد، ج ٥، مكتبة الخانجي، ١٤٢١هـ / ٢٠٠١م، ص ٥٦٤. الإصابة في تمييز الصحابة، ابن حجر العسقلاني، ج ٣، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ١٤١٥ / ١٩٩٥م، ص ٢٣٦.

العبيدي - وكان نصرانياً - فلما وصل إلى رسول الله صلى الله عليه وآله؛ دعاه إلى الإسلام، فقال الجارود: «يا محمد، إنني قد كنت على دين، وإنني تارك ديني لدينك، أفتضمن لي ديني؟»، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: «نعم، أنا ضامن لك أن قد هدأك الله إلى ما هو خير منه»؛ فأسلم الجارود، وأسلم وفد عبد القيس الذين قدموا معه، أمّا كتب الحديث فإنها تُورد العديد من الأحاديث عن النبي محمد صلى الله عليه وآله التي أشار فيها إلى منزلة عبد القيس وخاصة في الوفاة الأولى، مثل قوله صلى الله عليه وآله: «اغفر لعبد القيس»، و «إن خير أهل المشرق عبد القيس»، كما أوردها ابن حنبل^{١٧} (١).

وطبعاً لسنا هنا بصدد التثبت من صحّة هذه الأحاديث، أو تلك الشواهد التي أشار إليها المؤرّخون؛ لأنّها ليست سوى إشاراتٍ يعضد بعضها بعضاً، للمكانة الرفيعة التي تبوّأتها عبد القيس بدخولها في التاريخ الإسلامي.

لقد دخل الأحسائيون التاريخ بدخول عبد القيس في التاريخ الإسلامي، وبقيت هذه القبيلة ملتزمةً بالدين الإسلامي، وبُنِي مسجد (جواثي) ثاني مسجد أقيمت فيه صلاه الجمعة، وبقيت هذه القبيلة مطيعةً للرسول الأكرم صلى الله عليه وآله، وللإمام علي عليه السلام في كلّ حروبه، وبرز منهم رجال كبار، أمثال: حكيم بن جبلة، وصعصعة بن صوحان، الذي اختاره الإمام عليه السلام رسولاً إلى معاوية؛ لما عرف فيه فصاحة القول، وسداد الرأي والحكمة.

ولا نرانا نبالغ إذا قلنا: إن بداية التاريخ الأحسائي، أو بداية العهد الإنساني الحقيقي لإقليم منطقة الأحساء، كان بدخول قبيلة عبد القيس في الدين الإسلامي، ومع بداية التاريخ الأحسائي فقد كان هناك الفعل الحضاري المتجسّد في روح الإسلام وقيمه، ومبادئه، وشخصه.

الإيمان بالدين مرتبط بتاريخ الأنبياء والرسول طالما أنّ هؤلاء

١٧ - (١) مسند ابن حنبل، ج٣، مؤسسة الرسالة، ٢٠٠٩م، ص ٤٣٢.



الأنبياء والرسل عليهم السلام مرتبط وجدانهم بالإيمان بالله عز وجل،
فقبل دخول عبد القيس الإسلام لم يكن للأحساء تاريخ حضاري ناهض،
بل هي أيام قبل عصر التاريخ.

تاريخ الأنبياء:

بالتوقف عند تاريخ الأحساء ندرك جيّدًا أنّه ابتداءً من تاريخ
الأنبياء، ومن تاريخ علماء الطائفة الكبار، من أمثال: الشيخ أحمد بن
فهد الأحسائي، والشيخ ابن أبي جمهور الأحسائي، وفي مسيرة شيخنا
الأوحد، ومسيرة العلماء الأحسائيين الكبار، من أمثال: الشيخ محمد بن
حسين أبي خمسين، فهم من أبرز الشخصيات العلمية والإسلامية التي
ساهمت في تفعيل وتحريك الحركة العلمية الإسلامية في مجمل البلدان
الإسلامية في تلك الفترة، وبالتحديد في منطقة الأحساء والخليج.

ونحاول هنا أن نتبّع العطاء الكبير من خلال المسيرة المباركة
للشيخ الأوحد، والشيخ محمد أبي خمسين محاولين استخدام أدوات
محدّدة من علم الاجتماع يستخدمها علماء التاريخ في رصد الظواهر
الاجتماعية.

وإذا كانت هناك أدوات في علم الاجتماع يستخدمها المؤرّخ؛ فإنّ
مادة التاريخ من جهة أخرى تعتمد على استجلاء ثلاث حقائق رئيسة،
كما يراها الباحثون:

أولى هذه الحقائق (الحقيقة المرئية)، وهي أوثق المصادر على
الإطلاق، فالمؤرّخ الذي يرصد الأحداث هو أشبه بالمرآة التي تعكس
الصورة والحركات، ويليهما (الحقيقة المروية) المستمدّة وقائعهما من
الأخبار الصحيحة المتواترة، إلا أنّ هذه الحقيقة تؤخذ أحيانًا بمزيد من
التحفظ والحذر؛ لاحتمال تعرّضها للفساد والتلفيق؛ لاعتباراتٍ شتى من
الميول السياسية، والحزبية، والمذهبية، ومع ذلك تعتبر الحقيقة المروية



هي العمود الفقري الذي يتكئ عليه المؤرِّخ لكتابة التاريخ، أمَّا الحقيقة الثالثة فهي (الحقيقة الخطيئة)، ولا شكَّ في أنها من الوثائق المادية للمؤرِّخ تعزِّز الأدلَّة التاريخية، وتعزِّز استنتاجاته أيضًا^{١٨} (١).

وإذا أردنا أن نوِّرخ لتاريخ الأحساء، وتاريخ حركتها الثقافية الأولى وجب علينا الاتِّكاء على هذه الحقائق الثلاث، فلا يمكن بأيِّ حالٍ من الأحوال استبعاد حقيقة رئيسة من حقائق التاريخ، وإذا عددنا رجل الدين أنَّه المحرِّك الثقافي الأوَّل بالمعنى الشامل للمجتمعات في ذلك الزمان؛ فإنَّ حقيقة التاريخ (المروية) للأحساء تشير إلى أنَّ مجتمعها الأحسائي قد خلا تمامًا من أيِّ فقيهٍ مجتهدٍ خلال ثلاثة قرون متصلة، منذ القرن السادس الهجري وحتى القرن الثامن، بينما صعب علينا في القرن التاسع تتبُّع كلِّ آثار الفقهاء رغم تواجدهم في هذا القرن، ولم تحدِّثنا إحدى حقائق التاريخ عن أكثر من فقيهين في القرن العاشر، وفقيهين في القرن الثاني عشر، بينما خلا القرن الحادي عشر من الفقهاء تمامًا.

وتبلغ ذروة تواجدهم الفقهاء في القرنين الثالث عشر والرابع عشر الهجريين، ففي بداية القرن الثالث عشر فجَّر الشيخ أحمد بن زين الدين الأحسائي ثورته العلمية والفكرية، وتكاثرت العلماء في قرنه والقرن اللاحق، وعلى الرغم من استمرار الحركة العلمية لاحقًا، فإنَّ الأحساء -وكذلك القطيف- لم تشهد فقيهاً ومرجعاً من مراجع التقليد على الإطلاق في القرن الخامس عشر، إلاَّ أنَّ الحركة العلمية قد استمرَّت وتكاثر العلماء وطلاب العلم^{١٩} (١).

ويمكننا إرجاع كثرة الفقهاء ومراجع التقليد الأحسائيين في القرنين الثالث عشر والرابع عشر الهجريين إلى سببين رئيسين:

الأول: هجرة طلاب العلم الأحسائيين إلى الحواضر العلمية للالتحاق بالحوزات العلمية؛ حيث باتت الهجرة إلى تلك الحواضر

١٨ - (١) القطيف، محمد سعيد المسلم، مطابع جامعة الملك سعود، الرياض، ١٤١٧هـ، ص ٩-١٠.
١٩ - (١) فقهاء الأحساء، محمد جواد الخرس، ص ١١٠ (مخطوط).

العلمية، مثل: النجف الأشرف، وكربلاء المقدّسة، وقم المقدّسة أمراً بديهيّاً في برنامج حياة الطالب العلمية^{٢٠} (٢).

أمّا السبب الثاني: فيمكن إرجاعه لبزوغ مدرسة آل البيت الحكيمية التي تزعمها في الأحساء الشيخ محمد أبو خمسين؛ فخلقت تياراً علمياً ضخماً امتدّ من كربلاء، وشمل كلّ مدينة إسلامية حطّ الشيخ الأوحّد رحله فيها، من أمثال: أصفهان، ومشهد، وكرمان شاه، والأحساء، وغيرها من البلدان والمدن الإسلامية، يقول نور الدين الشاهروودي: «برزت في حوزة كربلاء شخصيّات علمية دينية، كانت لهم أفكار وتصوّرات فلسفية، أثارت جدلاً بين العلماء والفقهاء، ومن جملة هذه الشخصيات، تأتي في الصدارة شخصية الشيخ أحمد الشيخ الأحسائي، بوصفه صاحب أطروحات فلسفية كانت ولا تزال مشار بحث وجدل وتضارب في الرأي بين العلماء الذين ناصروه، والذين جاؤوا من بعده حتى يومنا هذا»^{٢١} (١).

وإذا كانت حقائق التاريخ الثلاث مجتمعة تحدّثنا عن غياب دور رجل الدين الفقيه، أو غياب آثاره طوال سبعة قرون من الزمن - فإنّ حقائق التاريخ بالمقابل تؤكّد لنا أنّ فجر الأحساء العلمي والثقافي بدأ منذ القرن الثالث عشر - حينما أوجد الشيخ أحمد الشيخ الأحسائي ذلك التيار الثقافي العام، وفجّر هذه الثورة العلمية، عندما ذهب إلى أتباع أئمة آل البيت عليهم السلام في رأيهم الحكمي رافضاً آراء الفلسفة اليونانية الوثنية التي نحا إليها بعض الفلاسفة العرب والمسلمين، من أمثال: الفارابي، وابن سينا، والملا صدرا، وغيرهم من الفلاسفة.

وإذا جاز لنا أن نقول: إنّ هذه الهجرة العلمية لطلاب العلوم الدينية للحواضر العلمية سبب رئيس لبدايات الحركة العلمية الأحسائية - يجوز لنا كذلك أن نقول: إنّ ثورة الشيخ الأوحّد الحكيمية هي سبب

٢٠ - (٢) المرجع السابق.

٢١ - (١) انظر: تاريخ الحركة العلمية في كربلاء، نور الدين الشاهروودي، دار العلوم، بيروت، لبنان، ١٤١٠هـ / ١٩٩٠م، ص ١٥٣.



ثانٍ وهام لبدايات هذه الحركة.

الأحساء قبل أبي خمسين:

إنّ حديثنا عن الثورة العلمية الكبرى التي أشعل فتيلها شيخنا الأوحد، وتلامذته الكبار، من أمثال: الشيخ محمد أبي خمسين، يستدعي بالضرورة الحديث عن المجتمع الأحسائي القديم، أو لنقل يستدعي رصد الحراك الثقافي والمعرفي السائد قبل بداية ثورة الأوحد العلمية بشيءٍ من التفصيل والتدقيق.

عرفت منطقة الأحساء أربعة عشر فقيهاً مجتهداً طوال ثمانية قرون من الزمن، منذ القرن الخامس الهجري وحتى نهاية القرن الثاني عشر، أي قبيل بزوغ ثورة الشيخ الأوحد العلمية، فيما تواجد خمسة وعشرون فقيهاً خلال القرنين الثالث عشر والرابع عشر الهجريين^{٢٢}(١).

أمّا تفاصيل الحياة العلمية للأحساء قبل ثورة الشيخ الأوحد العلمية وبعدها، فقد تناولها العديد من المؤرّخين المعاصرين، ومنهم: الشيخ محمد علي الحرز في بحثين هامّين، تناول فيهما شتّى مناحي الحياة العلمية من حيث إعداد العلماء (الفقهاء)، فرصد حركتهم من حيث انتمائهم الجغرافي، وهجرتهم، والوافدون منهم، كما رصد حركة التأليف (الحقيقة الخطيّة) لهؤلاء العلماء، وصنّف تلك المؤلفات طبقاً للمواضيع العلمية التي كُتبت فيها، وتناولت مجلة الواحة، أيضاً المراكز العلمية لهؤلاء العلماء، والأسر التي جاؤوا منها^{٢٣}(٢).

ولقد غطّت دراسة الشيخ الحرز خمسة قرون من الزمن تقريباً مبتدئاً ببدايات سنوات القرن التاسع الهجري، وتحديدًا منذ عام ٨٠٠ هـ وحتى عام ١٣٧٥ هـ، وفي القسم الأوّل من الدراسة غطّى الفترة ما

٢٢ - (١) فقهاء الأحساء، محمد جواد الخرس، ص ١٠٧-١٠٨ (مخطوط).

٢٣ - (٢) مجلة الواحة، العدد ٣٩، السنة ١١، الربع الرابع، ٢٠٠٥م، ص ١٠٧.



بين عام ٨٠٠ هـ إلى عام ١٢٠٩ هـ، وغطى في القسم الثاني من عام ١٢١٠ هـ - وهي سنة الشيخ الأوحّد - إلى عام ١٣٧٥ هـ، أي أنّ النطاق الزمني لدراسته في رصد الحركة العلمية الأحسائية قبل ثورة الشيخ وبعده بعقود مديدة، وتمتد لأكثر من أربعة قرون من الزمن العلمي للأحساء، إبان ثورة الشيخ الأوحّد (١٢١٠ هـ - ١٢٤١ هـ)، بل وبعده عصر الشيخ الأوحّد (١٢٤٢ هـ - ١٣٧٥ هـ)، واختار عصر الشيخ الأوحّد الذي يبدأ من سنة ١٤١٠ هـ؛ باعتبارها السنة التي هاجر فيها الشيخ إلى خارج الأحساء - كما أشرنا - لتكون هذه السنة بالتحديد نقلة تاريخية في الأحساء على عدة أصعدة^{٢٤} (١).

ولعلّ لسنة ١٢١٠ هـ التي هاجر فيها الشيخ الأوحّد رضوان الله عليه من الأحساء عدة دلالات، منها:

أولاً: أنّ هذا التاريخ (١٢١٠ هـ) حدث فيه انتقال السلطة من بني خالد إلى آل سعود، وترتّب على هذا الأمر تغييرات جذرية تعد نقلة تاريخية في الأحساء على المستوى السياسي، فعندما تمّ انتقال السلطة السياسية جرت تحولات على مستوى الفكر الشيعي ونشاطه في المنطقة.

ثانياً: هي الفترة الزمنية التي هاجر فيها الشيخ الأوحّد من الأحساء، وترتّب على هذه الهجرة انطلاق مدرسة آل البيت الحكيمة إلى ساحات إسلامية أوسع، وخاصة بعدما شكّلت رؤاه وأفكاره، والتي أثّرت بدورها على الحركة العلمية الشيعية في كلّ البلدان الإسلامية، وأخيراً تكوّنت واكتملت المعالم الأساسية لمدرسة آل البيت الحكيمة؛ لتعود من جديد للأحساء، وبعده فترة قصيرة من انطلاقها القوي؛ لكي تنتشر على أيدي علماء كبار، من أمثال: الشيخ أبي خمسين، والشيخ العيثان وغيرهما، لتحدث هزة علمية كبرى فيها.

ثالثاً: التغيّر الكبير في معالم الأحساء الديموغرافية نتيجة

الهجرات الجماعية من مدن وقرى الأحساء، ومعظم دول الساحل الشرقي، ومن معظم العوائل الأحسائية إلى العديد من الدول العربية؛ بسبب الحروب والتضييق والفقر.

رابعًا: انتشار مدرسة آل البيت الحكمية، عندما تبنى معظم علماء المنطقة -الأحساء والقطيف- وأصحاب الثقل العلمي، وعلى رأسهم المراجع القاطنين بالمنطقة الأفكار الحكمية للمدرسة التي قادها الشيخ الأوحد، الأمر الذي يمكن وصفه بنقلية فكرية في تاريخ المنطقة على المستوى الديني والفكري والثقافي معًا.

كانت الحركة العلمية في الأحساء قبل القرن التاسع الهجري ولفترة طويلة شبه ميتة، أمّا الفترة ما بين (٨٠٠هـ-١٢٠٩هـ) فهي التي شهدت شبه تنام واضح للحراك العلمي، بحيث يمكن للباحث رصده رغم قلّة المصادر، وعدم وجود التوثيق الكافي لكلّ مناشط الحياة العلمية.

لقد بلغ عدد (الفقهاء والمشايخ) في منطقة الأحساء مئة وخمسة عشر عالمًا خلال هذه الحقبة الزمنية، ويمكن تقسيمهم إلى: علماء محليين، وافدين، ومهاجرين، فأما العلماء المحليون وهم تلك المجموعة من العلماء الذين لم يبارحوا بلادهم إلا للدراسة الدينية في الحواضر العلمية، وكانت الأحساء محلّ نشاطهم وتفاعلهم العلمي، ولهم نشاطهم العلمي الواضح، وقد بلغ عددهم ستة وسبعين عالمًا، بينما بلغ عدد العلماء الوافدين أحد عشر عالمًا، وهم نخبة العلماء الذين جذبتهم الحركة العلمية في الأحساء، فاستوطنوا فيها للتعليم أو التعلّم، ولقد وصل عدد العلماء المهاجرين من الأحساء إلى خارجها ثمانية وعشرين عالمًا هاجروا إلى العديد من الحواضر العلمية في إيران، والعراق، ومكة المكرمة، وجبل عامل، وكانت هجرة هؤلاء العلماء بسبب جذب الحواضر للعديد من طلاب العلم من شتى بقاع الأرض، بالإضافة إلى العوامل الاجتماعية والسياسية التي مرّت بها الأحساء في تلك الفترة.



أمّا نتاج تلك القرون الأربعة لهؤلاء العلماء الأفاضل من المصنّفات فقد بلغت (٩٩) مصنّفًا، ويأتي الشيخ محمد بن أبي جمهور في المرتبة الأولى؛ حيث وصلت مصنّفاتهِ إلى (٣٧) مصنّفًا، وتناولت تصانيف هؤلاء العلماء مواضيع شتّى، منها: علوم القرآن الكريم، والحديث وعلومه، والعقائد، والفقه، والأخلاق، وغيرها من المواضيع الإسلامية الأخرى.

وعن هذه الحقبة (٨٠٠هـ-١٢٠٩هـ) يقول الباحثون: إنّ الأحساء زخرت بحركة علمية شبه فاعلة، ساهمت في تدعيمها كثرة المراكز العلمية في البلاد، وهمّة العلماء المتواجدين فيها، فقد استقر في مدينتي الهفوف والمبرز وقراهما القليل من العلماء، وهاجر شرط آخر منهم، كما استوطنها عدد من العلماء الآخرين، وكان هؤلاء العلماء الذين توزّعوا على أحد عشر مركزًا علميًا هم قطب الرحي في بناء الصرح العلمي بالأحساء، ولكن ذلك التناج القليل استغرق أربعة قرون من الزمن^{٢٥}(١).

وبالإضافة إلى هذه المراكز فإنّ وجود الأسر العلمية هو الآخر مؤشّر على تواجد الحركة العلمية في تلك الفترة، ولعلّ السبب في ذلك هو أنّ الأسر العلمية تتولّى عادةً القيادة في البلاد بمرجعياتها الدينية، يضاف إلى ذلك أن هذه البيوتات والأسر هي نتاج التفاعل الاجتماعي مع مجمل النشاطات العلمية في المنطقة ككل، وتسهم من جهةٍ أخرى في نشأة المراكز العلمية أيضًا^{٢٦}(٢).

الأحساء بعد أبي خمسين:

وإذا كانت تلك هي تضاريس الحركة العلمية قبل عصر الشيخ

٢٥ - (١) مجلة الواحة، العدد ٤٠، السنة ١١، الربع الرابع، ٢٠٠٥م، ص ١٦٠.

٢٦ - (٢) المرجع السابق، ص ١٦٤.



الأوحد وتلامذته بكلّ تفاصيلها، طوال ما يربو على أربعة قرون من الزمن؛ فإنّ بعض الباحثين قد أعطى تفصيلاً دقيقاً آخر عن الحركة العلمية إبان عصر الشيخ الأوحد (١٢١٠هـ-١٢٤٢هـ)، أي في فترة زمنية مقدارها ثلاثة عقود من الزمن فقط، وهذه الفترة الزمنية لا يمكن وضعها مقابل فترة زمنية تتجاوز أربعة قرون، بل إنّ بعضاً من زمن الشيخ الأوحد داخل في تلك الفترة الزمنية الطويلة أيضاً، وهي فترة بروز مرجعية الشيخ محمد أبي خمسين.

أمّا العلماء في عصر الشيخ الأوحد فقد بلغ عددهم خمسة وثلاثين عالمًا، عشرون منهم عاشوا في الأحساء، ولم تكن هجرتهم للمراكز العلمية إلا لطلب العلم والدراسة، إلّا أنّ أربعة عشر عالمًا أحسائيًا فضّل الهجرة الدائمة، وسكنوا في العراق وإيران، بينما فضّلت شخصية واحدة الهجرة المعاكسة؛ فسكنت الأحساء^{٢٧}(١).

وعلى الرغم من التنامي الكبير للحياة العلمية في منطقة الأحساء في تلك الفترة الزمنية القصيرة -إلا أنّ هناك عددًا من العوامل الأخرى عملت على تحجيم هذا التنامي وتراجعته من وجهة نظر بعض الباحثين:

أولاً: التوسّع الكبير في هجرة العلماء للحواضر العلمية، واستقرارهم هناك، وضياع الكثير من أخبارهم ومصنّفاتهم.

ثانيًا: تأزّم الأوضاع السياسية في تلك الفترة؛ حيث ضُيق على المدارس الشيعية، ومُنعت إقامة صلاة الجماعة، وعُطّلت الشعائر الحسينية.

ثالثًا: التكتّم الشديد -في هذه الفترة الزمنية- من قبل العلماء على نشاطهم العلمي والأدبي؛ مما أدّى لضياع العديد من مصنّفاتهم، وإخفاء دورهم أيضًا؛ خوفًا من الملاحقة والقتل.

رابعًا: قلّة المصادر التي أرّخت لهذه الفترة بالذات؛ بسبب

٢٧ - (١) مجلة الواحة، العدد ٥٠، السنة ١١، الربع الرابع، ٢٠٠٥م، ص ٦٣.

الأوضاع السياسية والاجتماعية، واقتصرت الترجمات على الأعلام منهم، أو ممن خلفوا مصنّفات عقب رحيلهم؛ الأمر الذي صبغ هذه الفترة بشيءٍ من الضبابية في الرصد والتوثيق.

خامساً: التأكيد على أنّ الحقبة الزمنية هذه - اثنتان وثلاثون سنة - قصيرة جداً مقارنة بالمرحلة المدروسة قبل عصر الشيخ الأوحّد، والتي امتدّت إلى أكثر من أربعة قرون.

ولكننا هنا نتوصّل إلى نتيجة عكسية لما توصّل إليه بعض الباحثين، فعلى الرغم من كلّ المعوقات، فقد بلغ عدد العلماء خمسة وثلاثين عالماً، الأمر الذي يدلّ من جهةٍ أخرى على دوران الحركة العلمية بوتيرة متسارعة في هذه الفترة الوجيزة، ولم تؤدّ «كلّ هذه العوامل وغيرها إلى ضرر الحياة العلمية، أو بطء عجلتها خلال هذه الفترة»^{٢٨}(١).

ولقد جاء هؤلاء العلماء الخمسة والثلاثون الكبار من مدينتي الهفوف والمبرز، وعدد من القرى، مثل: القارة والقرين والمطيرفي وغيرها، أمّا حركة التأليف فقد كانت في أوجها، ف فيما بلغ عدد مصنّفات القرون الأربعة السابقة لمنطقة الأحساء (٩٩) مصنّفًا، بلغ عدد مصنّفات فترة عصر الشيخ الأوحّد (٢١٤) كتابًا، وقد تناولت تلك المصنّفات معظم المواضيع القرآنية، والحديثية، والفقهية، والتاريخية، والأدبية، إلّا أنّ اللافت للنظر في حركة التأليف في هذه المرحلة هو اقتصارها على عدد محدود من العلماء؛ والسبب يعود لقلّة المعلومات عن معظم علماء هذه الفترة، فقد كانت شخصية الشيخ الأوحّد هي الأكثر بروزًا بينهم، والأكثر جذبًا للمؤرّخين للتدوين، كما أنّ الشيخ الأوحّد كان يولي عنايةً فائقةً بنسخ ونشر مؤلفاته، وهذا الأمر ساهم في حفظها من الضياع، وسهّل للباحثين تدوين وضبط عناوينها وفهرستها^{٢٩}(١).

٢٨ - (١) مجلة الواحة، العدد ٥٠، السنة ١١، الربع الرابع، ٢٠٠٥م، ص ٦٣-٦٤.

٢٩ - (١) مجلة الواحة، العدد ٥١، السنة ١١، الربع الرابع، ٢٠٠٥م، ص ٧٠-٧١.

ولم يتوقف النشاط العلمي بعد عصر الشيخ الأوحـد (١٢٤١هـ)، بل إنَّ الحركة العلمية إبان القرن الثالث عشر بقيت تسير بصورة متسارعة؛ بفضل الدفعة القوية التي تركتها ثورة الشيخ الأوحـد في الأوساط العلمية، ويكفي أن نشير إلى أن الأحساء عرفت أحد عشر فقيهاً كبيراً خلال ستين عاماً، وهي الفترة المتبقية من بعد عصر الشيخ الأوحـد، بالإضافة إلى العشرات من العلماء والمشايخ وطلبة العلوم الدينية.

أمَّا القرن الرابع عشر الهجري فقد ضمَّ اثني عشر فقيهاً أغلبهم من مراجع التقليد، وكان من بينهم: الشيخ محمد حسين أبو خمسين ومحمد بن عبدالله العيثان، بينما أضحـت الحوزات العلمية المحلية تضم بين أركانها المئات من طلبة العلوم الدينية، حتى أن الأحساء عُرِفـت في تلك الفترة باسم (النجف الصغرى)، إضافةً إلى أختها منطقة القطيف.

ويمكن ملاحظة أنَّ عصر ما بعد رحيل الشيخ الأوحـد شهد كثرة العلماء ومراجع التقليد الأحسائيين، وتميَّز هذا العصر بكثرة المدارس العلمية أيضاً.

ويؤكِّد الباحثون عند وصف الحركة العلمية في الأحساء بعد عصر الشيخ الأوحـد بأنَّها حركة علمية مزدهرة؛ بسبب توفر العلماء والمدارس العلمية، وأبرز هؤلاء الذين كانوا من أقطاب الحركة العلمية آنذاك: السيّد هاشم السلـمان المتوفى سنة ١٣٠٩هـ، والشيخ أحمد حبيب الدندن المتوفى سنة ١٣١٥هـ، والشيخ محمد بن حسين أبو خمسين المتوفى سنة ١٣١٦هـ، والشيخ علي بن محمد العيثان المتوفى سنة ١٣٢٦هـ، والشيخ محمد بن عبدالله العيثان المتوفى سنة ١٣٣١هـ، والشيخ محمد طاهر أبو خمسين المتوفى سنة ١٣٤١هـ، والشيخ موسى بن عبدالله أبو خمسين المتوفى سنة ١٣٥٣هـ، والشيخ عمران بن حسن السليم المتوفى سنة ١٣٦٠هـ، والشيخ حبيب بن قرين المتوفى سنة ١٣٦٣هـ، والشيخ عبدالكريم بن حسين الممتن المتوفى سنة ١٣٧٥هـ،



والشيخ معتوق بن عمران السليم المتوفى سنة ١٣٧٩ هـ، وغيرهم كثيرون من المراجع والعلماء والأفاضل والمشايخ الأحسائيين.

أمّا الحوزات والمدارس العلمية فقد كانت هناك ثمان منها في تلك الفترة، في مدينة الهفوف (حوزة الشيخ محمد بن حسين أبو خمسين)، وفي مدينة المبرز (حوزة السيّد هاشم السلطان)، وفي القارة حوزتي (الشيخ محمد العيثان، ومدرسة ابن عمه الشيخ علي بن محمد العيثان)، بالإضافة إلى الحوزات والمدارس الأخرى في قرى (الحليّة) و (العمران الشمالية) و (الجبيل)، ويشير الباحثون في حركة النشاط العلمي في الأحساء وفي قراها، مثل: قرية القارة، والتي هي مسقط رأس الشيخ الرئيس العيثان، مؤكّدين على «أنّ الحركة العلمية بها كانت نشطة في عصر الشيخ محمد العيثان، حيث كانت (القارة) تضمُّ عددًا كبيرًا من العلماء والخطباء والأدباء، ونظرة واحدة إلى تلاميذ الشيخ محمد العيثان والأعلام الذين يحتمل تتلمذهم على يده من قرية القارة، نرى مدى صحّة ما ذهبنا إليه»^{٣٠}(١).

٣٠ - (١) راجع كتابنا (الرئيس العيثان)، ص ٤٩-١٢١.



الفصل الثاني

حكمتنا الإسلامية





على عتبة الفلسفة:

لم يكن للعرب قبل الإسلام تاريخ أو فلسفة، ولم تكن لهم حضارة رسالية، بل ولم يعرف العرب أبطالاً حقيقيين، ولكن ماهي الفلسفة؟

الفلسفة في جوهرها تفكير في الماورائيات، والعرب قبل الرسالة لم يعرفوا هذا النوع من التفكير.

الإسلام لفت نظر العرب إلى الماوراء، وجعلهم يفكّرون تفكيراً ما ورائياً في الخالق، وفي الخلود، وفي الخلق أيضاً.

الفتوحات الإسلامية، واحتكاك العرب بالأمم الأخرى، وحركات الترجمة والنقل من علوم تلك الأمم، كانت مناهلاً للاقتباس، والحالة العربية الحضارية كحال الحضارات الأخرى، مرّت بمراحل حتى تصل إلى نضج فلسفي، إلا أنّ النضج الفلسفي الذي يشير إليه أكثر المؤرّخين للفلسفة الإسلامية، قد حاد بها عن جوهرها الأصيل، وأبعدها عن مقاصدها العالية، ولعلّ البدايات يمكن تأريخها من وقت بروز (علم الكلام) على الساحة الإسلامية، فقد برز المتكلّمون كمدافعين عن العقائد الإسلامية، بالأدلة العقلية، والبراهين الفكرية، فبرزت معها الفلسفة^(١).

ظهر علم الكلام كعلم يمكن بواسطته إثبات العقائد الدينية بالحجج، ودفع الشبهات، وإلزام الخصم بإقامة البراهين القطعية، وإذا استوحى علم الكلام من الشريعة الإسلامية الغاية والهدف، فإنّه استوحى من الفلسفة مناهجها العقلية^(٢)، على الرغم من أنّ معظم الفلاسفة حاولوا التوفيق بين الدين والفلسفة، أو اتّجهوا لتقريب العلاقة بين الوحي والعقل، واتكأت منهجية الفلسفة على عنصرين رئيسين:

١ - (١) راجع: الفلسفة العربية عبر التاريخ، رمزي نجار، دار الآفاق الجديدة، بيروت، ١٩٧٧م، ص ٨٠.

٢ - (١) راجع العرفان الإسلامي، محمد تقي المدرسي، دار البيان العربي، بيروت، ١٩٩٢م، ص ١٦.





الأول: مصدرية تشريع العقل الإنساني.

الثاني: الموروث الفلسفي اليوناني.

ويشير الدكتور محمد يوسف مرسي في كتابه (بين الدين والفلسفة) إلى أن أبرز المحاولات التوفيقية في تاريخ الفلسفة الإسلامية، هي تلك التي قام بها الفيلسوف (الكندي) في مشكلة العالم وصلته بالله، حيث يوافق رأيه الفلسفي رأي علماء الكلام في عصره، ويخالف فيها فلاسفة اليونان، من أمثال: (أرسطو) الذي ذهب إلى قدم العالم، ويعتبر رأي الكندي خطوة مبكرة في طريق التوفيق بين الدين والفلسفة، إلا أن محاولات التوفيق لم تنحصر بمحاولة الكندي، بل إن للمعلم الثاني -الفارابي- محاولة كبرى في التوفيق بين العقل والوحي، حيث يذهب الفارابي إلى حقيقة واحدة، ولكنه يعبر عنها بصورة مغايرة؛ حيث عمد إلى التوفيق بين رأي أرسطو وأفلاطون في كتابه الشهير (الجمع بين رأيي الحكيمين)؛ فجاءت محاولته تطبيقاً لمبدأ التوفيق.

وإذا تصفحنا كتب ابن سينا، وخاصة الكتب المتقدمة، مثل: (الشفاء) و (النجاة)، وكتبه المتأخرة، مثل: (الإشارات والتنبيهات) نلاحظ محاولات التوفيق واضحة فيها، وعلى الرغم من أن ابن سينا يميل للفلسفة الإشراقية، إلا أنه استطاع أن يرسم لنفسه منهجاً فلسفياً خاصاً به، يقوم هذا المنهج على الحدس العقلي لا التجربة والاختبار، وما اعتمده ابن سينا نظرية (الفيض) من جديد، إلا محاولة توفيقية واضحة بين الدين والفلسفة.

واستمرت محاولات التوفيق لقرون طويلة في تاريخ الفكر الإسلامي لفلاسفة كبار، من أمثال: السجستاني، ومسكويه، وبطليموس، وابن طفيل، وابن رشد، حتى جاءت المحاولة التوفيقية الكبرى لملاً صدرا في حكيمته المتعالية.





فلسفتنا العربية:

لا نجد للعرب قبل اتصالهم بالشعوب الأخرى وخاصة الشعب اليوناني فلسفة محدّدة، فمعظم تراث الأمة العربية في تلك الأيام الغابرة إنّما هو قليل من الشعر والخطابة، ولا غرابة في ذلك؛ حيث ينظر للفلسفة على أنّها دلالة على رقيّ الأمم وتطوُّرها، والحقيقة أنّ الفكر والفلسفة يحتاجان إلى مناخ متكامل من العناصر الثقافية الأخرى اللازمة للأمم، وتتطلب الفلسفة تربة خصبة؛ لأنّها من أعقد الزراعات^٣(١).

ولا يعني هذا أنّ العرب عاجزون عن الإتيان بفلسفة مستقلة، إنّما أنّ المناخ لم يكن مهياً لإنتاج فلسفة شاملة، أي إنّ اختمار فلسفة عربية لم تكتمل في تلك الأيام، كما أنّ نضج الفلسفة اليونانية لم يكن حصيلة بضع فلاسفة كبار، من أمثال: أرسطو وأفلاطون، بل هو جهد بشري ضخم، ومحصّلة نتاج جمعي، وخلاصة أفكار وجهد متواصل ومتكاثر، إنّهُ جهد عميق ومعمور بالتأمل والدرس^٤(٢).

الجزيرة العربية بعد مجيء عصر النبوات أصبحت مهياً لظهور العلوم التأمّلية، وفي مقدّماتها الفلسفة، وبعد قدوم عصر الإسلام، وانقضاء العصر الأوّل من الخلافة، ظهرت العديد من المسائل الفكرية والعقائدية، حيث برزت مسألة النص والتفسير، وتوالت العديد من إشكالات المسائل العقائدية ذات الأبعاد الفلسفية، كقضية الصفات الإلهية، والقضاء والقدر، والظاهر والباطن^٥(١)؛ فحرّكت هذه المسائل العقل العربي لابتداع مناهج وأطر فلسفية، يقيم عليها تطوُّراته الفكرية وأسسها العقائدية، ومع توسّع رقعة الدولة الإسلامية، ودخول أمم جديدة في هذه الرقعة الواسعة، وازدياد حركة الترجمة؛ أمكن للعقل العربي أن يحتكّ بثقافات الحضارات الأخرى، فاحتكّ بثقافات مغايرة، مثل:

٣ - (١) راجع كتابنا (آخر الفلاسفة)، ص ١٠٥.

٤ - (٢) انظر: فلاسفة الشيعة، عبدالله نعمة، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت، لبنان ص ٢٢.

٥ - (١) راجع: مدخل إلى فلسفة الشيخ أحمد الأحسائي، حسن فيوضات، توزيع دار المحجة، بيروت، لبنان، ١٤٢٤هـ، ص ٥٣.



الهندية والرومية والفارسية، بالإضافة لاحتكاكه بالأمم القديمة كاليونانية، مبتدئاً بتقليد فلسفات الأمم السابقة، ومقتبساً منها العديد من الأفكار الفلسفية، إلا أنه وبعد فترة من الزمن ليست بالقصيرة، تمكّن العرب من خلق فلسفتهم الخاصة بهم، بالرغم من تأثرهم بالفلسفات الأخرى، وخاصة اليونانية، ونسجهم على منوال أرسطو وأفلاطون وسقراط.

ما يميّز الفلسفة العربية عن اليونانية عقلانيتها من جهة، ومنهجيتها التوفيقية من جهة أخرى؛ حيث إتّها لم تتخطّ الدين، بل حاولت المزاجية الفكرية بين الوحي وبين العقل، ورغم تعدّد مسارات الفلسفة العربية في ظلّ المجتمع الإسلامي إلى مسارات متباينة، إلا أنّ معظمها بقي معتمداً في غايته على الكتاب والسنة، ثم حكّمت العقل في الكثير من المشكلات الماورائية التي واجهتها، مثل: الجبر والتفويض، كمشكلة عقائدية برزت في الصدر الإسلامي الأول.

جاءت (الجهمية) ودعت إلى أنّ الإنسان مجبور في أفعاله، ولا قدرة له ولا اختيار، ويقابل تلك الفرقة الإسلامية (الجهنية) التي أكّدت أنّ الفرد الإنساني هو مصدر أفعاله، ولا تسيطر عليه أيّ قوّة خارجية على إرادة أفعاله، أي أنّه هو ربّ أفعاله، وهو يمتلك الحرية المطلقة، أمّا الإمامية فقالت: «لا جبر ولا تفويض، ولكن أمر بين أمرين» (١)، وهو الموقف الوسط.

البعض من المؤرّخين يربطون - كما أشرنا سالفاً - ظهور الفلسفة بظهور علم الكلام، هذا العلم الذي برز للدفاع عن العقائد الإسلامية، وأثار المتكلمون العديد من القضايا الكلامية الهامّة، التي ميّزت الفرق الإسلامية عن بعضها البعض، فجاءت (المعتزلة) - ومؤسسها واصل بن عطاء - بمبدأ: أنّ العقل هو قياس الحقيقة، وأنّ الشك ضرورة حسنى للوصول إلى اليقين، ولا إيمان إلاّ بالافتناع، واعتزل حلقة الحسن البصري^٦ (٢).

٦ - (١) بحار الأنوار، العلامة المجلسي، ج ٧٥، ص ٣٥٤
 (٢) راجع: الفلسفة العربية عبر التاريخ، رمزي نجار، دار الآفاق الجديدة، بيروت، ١٩٧٧م، ص ٨١.

وفيما رأت المعتزلة وجوب تقديم العقل على النقل حين تعارضهما، جاءت (الأشعرية) مناهضة للمعتزلة، وبدور متوسط بين البصريين والمعتزلين، بعد أن كان الأشعري معتزلياً، وقررت الأشعرية أن الصفات الوجودية للذات الإلهية هي معانٍ أزلية قائمة بالذات، ونسبت وجود العرش، واليد، والوجه لله سبحانه وتعالى، بل وذهبت إلى رؤية الله سبحانه وتعالى يوم القيامة، كما ذهبت إلى أن أفعال المخلوق مخلوقة من الله، ولكنها للمخلوق كسباً ووقوعاً عند قدرته.

واعتمدت الأشاعرة في تفسيرها على الوحي وظاهر القرآن الكريم، فخاطبت الكثير من سواد المسلمين، فاستوعبت الأشعرية أكثر الناس من المسلمين في مذهبها.

ويُرجع البعض الآخر من المؤرخين أصل علم الكلام إلى المعتزلة أو الأشاعرة، وهذا خطأ فاحش؛ لأن فيه تغافلاً عن دور الشيعة الإمامية في علم الكلام، الذي يعدّ البداية لظهور الفلسفة الإسلامية، ويقصرون دور الشيعة على نقلهم من المعتزلة وتقليد آرائها وأفكارها العقائدية، فنحن الشيعة الإمامية نعتقد أن أول من سنّ علم الكلام والاحتجاج هو الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام لا سيما أيام الشورى، والجمل، وصفين.

ومن احتجاجات الإمام علي وفاطمة عليهما السلام إلى احتجاج الإمام الحسن عليه السلام على معاوية عام الجماعة على المنبر بالكوفة، وكذلك احتجاج الإمام الحسين عليه السلام على معاوية وعلى أهل الكوفة يوم كربلاء، كما روي عن الأئمة عليهم السلام الكثير من الاحتجاجات، مثل احتجاج الإمام السجاد والإمام الرضا عليهما السلام.

ونصل إلى نتيجة: أن المعتزلة هم من أخذ عن الشيعة، ولم يأخذ الشيعة من المعتزلة أفكارهم وآراءهم العقائدية، وكيف يكون ذلك والأئمة من آل محمد عليهم السلام بين ظهرانيهم؟!.

إن الشيعة -ومما لا شك فيه- كانوا من أهمّ المساهمين في

انطلاق وتطوير الحضارة الإسلامية بكل ألوانها وصورها، وفي مختلف الميادين ابتداءً من تأسيسهم لعلم الكلام، إلى جميع الميادين العلمية والفكرية والدينية، التي ساهم فيها الشيعة بكل اعتزاز وفخر.

لم نقصد في هذا المدخل المتشعب أن نتعد عن دراستنا الرئيسة - عن الشيخ محمد بن حسين أبي خمسين - إلى استعراض مبادئ وآراء الفرق الإسلامية، ولكن دراستنا عن أبي خمسين هي دراسة معقدة ومتشابكة، نحتاج إلى فهم كل المتغيرات التي ساهمت في إجلاء شخصية مرجعنا أبي خمسين، ولم نقصد دراسة الفرق الإسلامية ولا مناقشتها؛ لأن ذلك خارج عن إطار البحث، ولكننا أردنا الإشارة لهذه المدارس فقط؛ لإسهاماتها المتباينة في الحضارة الإسلامية، كما أننا لم نقصد أن نسلط الضوء كاملاً على كل إسهامات الفكر الشيعي، أو كل عطاء الفكر الإمامي؛ لأن ذلك يحتاج إلى دراسات موسّعة مستقلة، إننا أردنا الإشارة التاريخية لهذه المدرسة الإسلامية المباركة، وإسهامها فيما يخص علم الكلام على نحو الاختصار.

ونؤكد أننا أردنا من هذه الإشارة السريعة الوصول إلى أن جميع المدارس الإسلامية - بلا استثناء - قد مهّدت عبر مساهماتها في علم الكلام لدخول الفلسفة أو لإنضاج العلوم العقلية المختلفة، وتلت مرحلة علم الكلام مرحلة فلسفية أخرى جديدة، وجاءت بمنهج فلسفي مستقل، وبفيلسوف عربي قام بخطوة توفيقية أولى في تاريخ الفلسفة العربية، تمثلت بمرحلة أبي يوسف يعقوب بن إسحاق الكندي (٨٠١م - ٨٧٢م)، الذي قام بدور حضاري شبيه بدور سقراط اليوناني، وبعد الكندي جاء فلاسفة كثر، من أمثال: الفارابي وابن سينا وانتهاءً بملاً صدر^(١).

ويؤكد الباحثون اليوم أن الفكر الشيعي كان من أهم المساهمين على الإطلاق في الحضارة الإسلامية، في بدايتها وفي مختلف عصورها، بل أن العلماء الشيعة كانوا من أبرز العلماء المسلمين عطاءً وزخماً في

٧ - (١) راجع كتابنا (آخر الفلاسفة)، ص ١٠٩.

جميع الميادين الفكرية والعلمية في تلك العصور، وقد سبق الفكر الشيعي غيره من المدارس الأخرى والفرق في شتى العلوم.

الحقيقة أنّ الشيعة سبقت المعتزلة والأشاعرة، ولا صحّة لما يردده بعض المستشرقين غير المنصفين، كأدم مستر في كتابه (الحضارة الإسلامية) من «أنّ الشيعة ورثت المعتزلة»، وأخذت منها جلّ علومها وأفكارها.

إنّ الشيعة ومنذ تأسيسها وجودها سبقت جميع المدارس الإسلامية على الإطلاق، والحقيقة أنّ جميع المدارس الإسلامية أخذت من الشيعة، عندما أخذت من الإمام علي وأولاده عليهم السلام، بل وتميّزت أفكار الشيعة بصفائها وخلوّها من الشوائب، ونعود فنؤكّد أنّ المدارس الأخرى هي التي أخذت من الشيعة، فالمعتزلة أخذوا الكثير من أفكار الشيعة، ودونك الشيخ أبو زهرة -من العلماء المتأخرين- يرى هذا الرأي أيضاً.

وفي الجهة المقابلة يذهب آخرون، من أمثال: عبدالرحمن الشرقاوي، ومحمد عمارة -إلى أنّ الشيعة هم الذين أخذوا من المعتزلة، وهذا الأمر من الدكتور محمد عمارة -بالذات- ليس غريباً، فهو ينتصر للمعتزلة في كلّ كتاباته، ولكنّه لم يسأل نفسه: هل بقي معتزلي واحد إلى اليوم؟، لقد انقرض المعتزليّون، واندثرت المعتزلة، ولم يبق لها من أثر إلّا في كتب الدكتور عمارة!، والمضحك في الأمر أنّ عمارة في كتابه (المعتزلة ومشكلة الحرّية الإنسانية) الذي يناقش فيه نشأة مفهوم الحرّية والعدل، يؤكّد على «أنّ المعتزلة يرجعون بسلسلة أفكارهم في هذا الباب إلى أمير المؤمنين علي بن أبي طالب»، ويدلّل على هذا القول بتعليق أبي محمد إسماعيل الفرزاذي في مقدّمة شرح القاضي عبدالجبار للأصول الخمسة عند المعتزلة بقوله: «أنّه أخذ هذه الأصول من الفقيه الإمام الأوحد نجم الدين أحمد بن أبي الحسين الكني، وهو عن الفقيه الإمام الأجل محمد بن أحمد الفرزاذي، وهو عن عمه الشيخ السعيد البارع إسماعيل بن علي الفرزاذي، وهو عن محمد بن مزدك، وهو

عن أبي محمد بن متّويه، وهو عن الشيخ أبي سعيد النيسابوري، وهو عن قاضي القضاة عماد الدين بن عبد الجبار بن أحمد - رحمه الله - ، وهو عن الشيخ المرشد أبي عبد الله البصري، وهو عن الشيخ أبي علي بن خلاد، وهو عن الشيخ أبي هاشم، وهو عن أبيه الشيخ بن علي الجبائي، وهو عن أبي يعقوب الشحام، وهو عن عثمان الطويل، وهو عن الشيخ أبي الهذيل، وهو عن واصل بن عطاء، وهو عن أبي هاشم محمد بن الحنفية، وهو عن أبيه أمير المؤمنين علي، عليه السلام، وبعد هذا التدليل الطويل على أنّ المعتزلة أخذت عن الشيعة يعود الدكتور عمارة بعد أقلّ من ثلاث ورقات ليقول: «يكفي أن نعلم أنّ مع المعتزلة في القول بالعدل، والانتصار لحريّة الإنسان واختياره، فرقًا كثيرة من مدارس عدّة...»، ويعدّد تلك الفرق، ومنها: الشيعة، والخوارج، والزيدية، ولا غرابة في هذا الدفاع المستميت والتمهات في دفاع الدكتور محمد عمارة، فربما هو المعتزلي الوحيد اليوم على وجه البسيطة!

ما يهّمنا هنا أنّ الدلائل كلّها تشير وتؤكد أنّ الشيعة أسبق من الأشاعرة والمعتزلة جميعًا في شتّى العلوم العقلية والنقلية، ولقد أشرنا - سابقًا - إلى أنّ الإمام علي عليه السلام هو أوّل من أسّس علم الكلام والاحتجاج، ونعتقد أنّ الأئمة عليهم السلام هم مصدر جميع العلوم.

لقد سبق الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام جميع الفرق بالحديث عن التوحيد، واهتمّ بفلسفته، والدفاع عن العقائد، والعدل بالمنطق، وأسّس التفكير العقلاني قبل أن يأتي واصل بن عطاء، «وقد صيغت تعاليمهم هذه في قضايا فلسفية طغت على قول الكثيرين من علماء الكلام، وفلاسفة المسلمين، فرددوها على ألسنتهم ودونوها في أسفارهم، واتخذوها أساسًا لفلسفتهم من حيث يقصدون أو لا يقصدون»^(١)، ويؤكد الشيخ مغنية في (معالم الفلسفة) هذا المعنى مرات عدّة بقوله: «إنّ أئمة الفرق والمذاهب ابتدأوا بعلم الكلام حيث

٨ - (١) انظر: معالم الفلسفة الإسلامية، محمد جواد مغنية، دار القلم، بيروت، ١٩٧٣م، ص ١٦٩.

انتهى منه أهل بيت النبي عليهم السلام، قال ابن أبي الحديد: «إن أصحابنا المعتزلة ينتمون إلى واصل بن عطاء، وواصل تلميذ أبي هاشم بن محمد بن الحنفية، وأبو هاشم تلميذ أبيه محمد، ومحمد تلميذ أبيه علي بن أبي طالب عليه السلام»^٩(٢).

من هنا يتضح بجلاء صفاء الفكر الشيعي، وأسبقته على جميع المدارس الإسلامية الأخرى، فبدايته كانت على يدي نبينا محمد صلى الله عليه وآله والأئمة الأطهار عليهم السلام، ونهايته - ولا نهاية له - على أيدي الأعلام من علماء الشيعة الكبار، نعم؛ لا نهاية لفكر استمدّ ضياءه من وحي السماء، ولكن قد يحتاج القارئ إلى تأريخ، أو إلى حقب زمنية، تحدّد له مراحل نمو ومسيرة الفكر الشيعي الذي ابتدأ في القمة، نعم؛ قد يحتاج القارئ إلى معرفة المراحل أو الحقب الزمنية للفكر الإمامي، في إطار مصادره وتعاقب رجالاته، من هذه الزوايا التاريخية يمكن لنا أن نحدّد أربع حقب زمنية لتطور الفكر الشيعي، كما يراها المستشرق الفرنسي هنري كوربان في كتابه (تاريخ الفلسفة الإسلامية).

الأولى: وهي حقبة الأئمة المعصومين عليهم السلام، وتلامذتهم الكبار من أمثال: المفضل بن عمر، وهشام بن الحكم، وجابر بن يزيد الجعفي، وهي مرحلة التأسيس للمذهب الإمامي الشيعي، واستمرت هذه المرحلة حتى تاريخ الغيبة الكبرى للإمام المهدي المنتظر عليه السلام (٣٢٩هـ - ٩٤٠م).

الثانية: وتمتدّ هذه الحقبة الزمنية من تاريخ الغيبة الكبرى للإمام المهدي عليه السلام حتى مجيء الشيخ نصير الدين الطوسي (٦٧٢هـ - ١٢٧٣م)، وفي هذه الحقبة نجد ابن بابويه القمي - الشيخ الصدوق - والشيخ المفيد، والسيد الشيرازي والمرتضى.

الثالثة: وتبدأ من زمن المعلّم الأكبر نصير الدين الطوسي حتى النهضة الصفوية في إيران، وتتميّز هذه الحقبة بخصوبتها الفكرية؛ الأمر

٩ - (٢) شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد، ج ٢، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، ص ١٢٨.



الذي هيأ لتلك النهضة، وفيها العديد من الأسماء الكبيرة، من أمثال: العلامة الحلبي وأفضل الكاشاني.

الرابعة: وهي تختصّ بالنهضة الصفوية مع نهضة مدرسة أصفهان، والميرداماد (١٠٤١هـ) والملاّ صدرا وتلاميذهما، من أمثال: أحمد علوي، ومحسن الفيض، وعبد الرزاق اللاهيجي، والقاضي سعيد القمّي وغيرهم.

الخامسة: وهي تختصّ بالفكر الحكمي الذي نشأ على يدي الشيخ أحمد بن زين الدين الشيخ الأوحّد، والأبعاد الإيمانية في فلسفته الحكمية، ويمكن أن نؤرّخ لبداية هذه المرحلة، بولادة الشيخ الأوحّد عام ١١٦٦هـ، وتستمرّ هذه الحقبة إلى الآن، مع استمرار تتابع تلامذة الشيخ الأوحّد ممّن يحملون نفس خطّه الحكمي، وتكثر الفلاسفة ممّن ساروا على نهجه، أو المستمّرّين على نهج الملاّ صدرا الشيرازي، إلاّ أنّه من الصعب إحصاء كلّ فلاسفة الشيعة ومتكلّميها في هذا الفصل من مختلف العصور الإسلامية.

ماهية الفلسفة:

الفلسفة هي نوع من التأمّل والتساؤل، وما جاءت البشرية إلّا لتسأل لا لتجيب، لذلك فإنّ فرانسيس بيكون يعبر عنها: «بالمعرفة الناشئة عن العقل»، وتعريفٌ للفلسفة كهذا جدير بالملاحظة والاختبار^(١)، وتساؤل الفلسفة تساؤل قديم ومشروع، قديم قدم الإنسانية، وقدم الإنسان الأوّل الذي وقف أمام المجهول متسائلاً حائرًا، وممّا لا شكّ فيه أنّ الفكر قد سبق الكلام قطعًا.

طبّعًا؛ إنّ تعريف فرانسيس بيكون ليس هو التعريف الوحيد، وهناك تعاريف أخرى لفلاسفة من مختلف الأمم والحضارات، يجدر

١٠ - (١) انظر: من الكندي إلى ابن رشد، موسى الموسوي، بيروت، لبنان، ١٩٧٧م، ص ٥.



الاطلاع على بعض منها أيضًا، ومن أهمّها: تعريف سقراط: «هي البحث العقلي عن حقائق الأشياء المؤدي إلى الخير، وأنها تبحث عن الكائنات الطبيعية وجمال نظامها، ومبادئها وعلتها الأولى»^{١١} (٢)، ولا يختلف تعريف أفلاطون وأرسطو عن تعريف أستاذهما سقراط، إلا أنّ هذا التعريف قد تغيّر كثيرًا بعد أن انسلخ عن الفلسفة معناها العام الذي كان يطلق عليها في العصور المتقدّمة.

ويعرّفها الفيلسوف الكندي فيقول: «هي علم الأشياء بحقائقها، وهذه الحقائق كليّة؛ لأنّ الفلسفة لا تطلب معرفة الجزئيات، إذ إنّ الجزئيات غير متناهية، واللامتناهي لا يحيط به العلم، وللفلسفة من حيث كذا شرف على جميع العلوم الإنسانية، ولكنّ الشرف الأعلى بين علوم الفلسفة للفلسفة الأولى»^{١٢} (١).

ومهمّة الفيلسوف مهمّة عقلية - كما ترى - وليست لفظية، وإذا ما استعمل اللفظ؛ فإنّما يستعمله كوسيلة فقط، وأداة للتعبير عن حقائق عقلية مجردة، وقد عرّف ابن سينا الفلسفة بقوله: «الحكمة استكمال النفس الإنسانية، بتصور الأمور، والتصديق بالحقائق النظرية والعلمية، على قدر الطاقة الإنسانية»، من هنا كانت الفلسفة العلم الوحيد الذي يبحث في الوجود وماهيّته وعلته، مجردًا من القيود، أي أنّ موضوع الفلسفة هو الكون، وما بعده، والإنسان.

وليس أدلّ على هذا الفهم العقلي للفلسفة من تعريف الفلاسفة المتأخّرين لها، كالشيرازي والسبزواري، ومن غير المسلمين ديكارت، وهيغل، فمثلاً يرى ملاّ صدرا الشيرازي أنّ الفلسفة: «استكمال النفس الإنسانية بمعرفة حقائق الموجودات على ما هي عليها، والحكم بوجودها تحقيقًا بالبراهين، لا أخذًا بالظنّ والتقليد، بقدر الوسع الإنساني، وهي نظم العالم نظمًا عقليًا على حسب الطاقة البشرية؛ ليحصل التشبّه

١١ - (٢) المرجع السابق، ص ٦.

١٢ - (١) من الكندي إلى ابن رشد، موسى الموسوي، بيروت، لبنان، ١٩٧٧م، ص ٦.

بالباري»^{١٣}(٢).

أمّا الفيلسوف السبزواري فإنّه يعرفها بقوله: «بالحكمة صيرورة الإنسان عالمًا عقليًا مضاهيًا للعالم العيني، وهي العلم بأحوال أعيان الموجودات على ما هي عليه في نفس الأمر بقدر الطاقة البشرية»^{١٤}(١).

ويعرّفها هيجل بتعريف قصير له دلّلته الفكرية في علم الفلسفة: «الفلسفة معرفة الحقائق الثابتة»، وهي عند ديكارت: «العلم العام لجميع العلوم، وهي معرفة العناصر الأساسية من كلّ علم، وهي معرفة الكائن الجدير بالكينونة»^{١٥}(٢).

هناك تعاريف عديدة للفلسفة، ولكن ليس هنا محلّ استعراضها جميعًا، كما أنّنا لا ننوي الإسهاب في الشرح والتفصيل في تعاريف الفلسفة، ولكننا نهدف إلى الإشارة إلى قاسم مشترك يجمع بينها، وهذا القاسم هو أنّها تتفق على عامل مهم هو محصلتها النهائية، ألا وهو (أنّ الفلسفة علم خير) أو علم نافع، فبفضل الفلسفة وبحوثها يتوسّح الإنسان بالحكمة الخالدة التي لولاها لما بقي معنى للخير والشرّ والسعادة والألم، بل لولا الفلسفة لانهارت جميع القيم الإنسانية السامية.

كما ترشدنا تلك التعاريف بشكل واضح إلى منهج الفلسفة وطريقها وهو العقل، وللعقل أسلوبان لاستخراج الحقيقة، الأول: قديم، وهو القياس الصوري الذي اعتمده أرسطو واضع علم المنطق، والثاني: الاستنباط الرياضي الذي اعتمده ديكارت وسلّم به العقليون من بعده^{١٦}(١).

وسُمّي الأسلوب الأوّل -القياس الصوري- صورياً؛ لأنّه يهتم بصورة التفكير وهيأته، قال أرسطو: «لا يصحّ الحكم على أمرٍ بأنّه

١٣ - (٢) المرجع السابق، ص ٧.

١٤ - (١) من الكندي إلى ابن رشد، موسى الموسوي، بيروت، لبنان، ١٩٧٧م، ص ٧.

١٥ - (٢) المرجع السابق، ص ٧.

١٦ - (١) راجع: معالم الفلسفة الإسلامية، محمد جواد مغنية، دار القلم، بيروت، ١٩٧٣م، ص ١٨.

صديق، إلا إذا كان نتيجةً لقياسٍ مضبوطٍ»^{١٧} (٢)، أي أنّ هناك تلازمًا عقلائيًا بين قولين، فإذا ما سلّمنا بصحّة المقدمات؛ فيلزمنا التسليم بالنتيجة؛ باعتبارها قهرية لهذه المقدمات، فالقياس ينتقل بنا من مقدمات معلومة إلى حقيقة مجهولة، ولا شك أنّ أرسطو وضع ذلك القياس في أسلوب منهجي كامل مرتبط^{١٨} (٣).

أمّا الاستنباط الرياضي - الأسلوب الثاني للفلسفة - فيتلخّص في استخراج الحقيقة من البديهيات التي يجزم بها العقل لذاتها دون دليل^{١٩} (٤).

هذه الحقيقة تنتقل للذهن مباشرة، دون أيّ عمليات فكرية وسيطة، يقصد بها الاستدلال، أي ينتقل الذهن من حقيقة معلومة إلى حقيقة جديدة مجهولة مباشرة، كانتقالنا من «أنا أفكر» إلى «أنا موجود»، إلا أنّ الفلاسفة المسلمين يعتمدون على القياس الأرسطي، ولا ينكرون الاستدلال الرياضي ولا التجربة كأسلوب ثالث للفلسفة^{٢٠} (١).

من هنا وطبقاً لهذين الأسلوبين السابقين، فإنّ الفيلسوف يقوم دائماً بإرجاع مباحثه الفلسفية إلى مبادئها الأساسية وفروضها التي قامت عليها؛ قاصداً الكشف عن الأسس التي تقوم عليها الممكنات^{٢١} (٢).

وعندما يبحث فيلسوف عن الماهيات، فإنّه يستخدم العقل بأساليبه معوّلاً عليها كلّ التعويل؛ باعتبارها منهجاً جريئاً يقوم على افتراض قدرة الطريقة العلمية وسدادها في كلّ ميدان، بل أنّ النظرة التأملية الفلسفية نظرة عالية لا تقلّ عن النظرة الدينية التأملية عن عالم خلقه إلهٌ قادر على كلّ شيء، وباعتماد الفلاسفة المسلمين على (العقل)

١٧ - (٢) المرجع السابق، ص ١٨.

١٨ - (٣) انظر: الفلسفة العربية عبر التاريخ، رمزي نجار، دار الآفاق الجديدة، بيروت، ١٩٧٧م، ص ٤٥.

١٩ - (٤) راجع: معالم الفلسفة الإسلامية، محمد جواد مغنية، دار القلم، بيروت، ١٩٧٣م، ص ١٩.

٢٠ - (١) معالم الفلسفة الإسلامية، محمد جواد مغنية، دار القلم، بيروت، ١٩٧٣م، ص ٢٢.

٢١ - (٢) انظر: من الكندي إلى ابن رشد، موسى الموسوي، بيروت، لبنان، ١٩٧٧م، ص ١٨.

في جميع مباحثهم الفلسفية؛ فإن المسافة بين الدين والفلسفة أضحّت تطول وتقتصر من فيلسوف لآخر، فجاءت الحاجة للتوفيق بين الدين والفلسفة؛ ليحقق الانسجام بين نظرتيه العقلية ومعتقده الديني^{٢٢} (٣)، وهذا التوفيق بين الدين والفلسفة أصبح اتجاهًا سائدًا لتقرير العلاقة بين الوحي والعقل.

محاولات التوفيق -هذه- لا ينكرها أحد من الفلاسفة المسلمين، بل نجدهم يؤكّدون على هذه المحاولات التوفيقية، وعلى رأس هؤلاء الفلاسفة ابن رشد الذي أكّد بأنّ الحكماء من الفلاسفة لا يجيزون الجدل في مبادئ الشرائع، بل وذهب إلى أنّ الفلسفة لا ينبغي لها التعرّض لقول مثبت أو مبطل لمبادئ الشرائع العامة^{٢٣} (١)، وبالتأكيد فقد سبق ابن رشد العديد من الفلاسفة العرب، وتأخّر عنه العديد من الفلاسفة الآخرين ممّن نادوا بتلك المحاولة التوفيقية.

بعض الفلاسفة اتكأ على العقل ولم يبال بالوحي، كما أنّ البعض الآخر من العلماء رفضوا الفلسفة بحجة كونها هدمًا للدين وللمعتقدات، إلا أنّ هناك أصحاب الموقف الوسط، حيث حاول أصحاب هذا الموقف التوفيق بينهما، إلا أنّهم لم يخرجوا عن تلك الأطر (المواقف) الثلاثة حتى جاء الشيخ الأوحّد ليقرّر منهجًا جديدًا للفلسفة الإسلامية.

هناك العوامل الموضوعية التي مهّدت لنشوء علم الكلام على الساحة الإسلامية، إضافة إلى ذلك هناك الخلافات السياسية والعقائدية والفكرية، التي ساهمت هي الأخرى في دفع علم الكلام إلى الواجهة، ورغم ذلك فقد تأثّر علم الكلام بالفلسفة واستعملها للذود عن العقيدة الدينية، حتى اختلط مع الفلسفة بشكل قد يصعب فصلهما عن بعضهما البعض^{٢٤} (١).

٢٢ - (٣) راجع: بين الدين والفلسفة، محمد يوسف مرسي، جمهورية مصر العربية، ١٩٥٩م، ص ٤٥.

٢٣ - (١) راجع: بين الدين والفلسفة، محمد يوسف مرسي، جمهورية مصر العربية، ١٩٥٩م، ص ٢٤.

٢٤ - (١) معالم الفلسفة الإسلامية، محمد جواد مغنية، دار القلم، بيروت، ١٩٧٣م، ص ٢٤.

ورغم هذا الاختلاط والتشابك بين علم الكلام وعلم الفلسفة نستطيع أن نجيب على عدد من الأسئلة الشائعة هنا: ما هي غاية علم الكلام وما موضوعه؟ وهل غايته وموضوعه متشابهان مع غاية الفلسفة وموضوعها؟ ولماذا سمّي علم الكلام بهذا الاسم؟ وما هي أوجه الشبه والاختلاف بينه وبين علم الكلام؟

العلماء المسلمون عرّفوا علم الكلام بعلم التوحيد، أو علم الأصول الذي يمكن بواسطته الاستدلال على آراء الفرق الإسلامية على حقيقته منه^{٢٥} (٢)، إلا أن تسميته بعلم الكلام جاءت متأخرة تاريخياً؛ فلم يعرف هذا العلم بهذه التسمية إلا في العصر العباسي عندما تصاعدت الاختلافات عند الفرق الإسلامية، وتحديدًا في مسألة كلام الله (هل هو حادث أم قديم؟)، والتي تعتبر من أشهر مسائله، فسُمّي العلم باسمها؛ وبالتالي فإن علم الكلام عرّف على أنه «علم يمكن بواسطته إثبات العقائد الدينية بالحجج، ودفع الشبهات، وإلزام الخصم بإقامة البراهين القطعية»^{٢٦} (٣).

بعض العلماء الآخرين عرّفوا علم التوحيد -علم الكلام- بتعريف آخر، بأنّه «إثبات الحقائق الدينية بالبراهين العقلية»^{٢٧} (١).

ولكن يمكننا التأكيد على المقاصد البحثية الستة التي تناولتها الكتب الكلامية:

أولاً: إثبات الصانع (الإله)، وصفاته وعلاقته بالعالم.

ثانياً: النبوة وما يتبعها من المعجزة والعصمة.

ثالثاً: الإمامة وشروطها.

رابعاً: المعاد وأحواله.

٢٥ - (٢) المرجع السابق، ص ٢٥.

٢٦ - (٣) راجع: العرفان الإسلامي، محمد تقي المدرسي، دار البيان العربي، بيروت، ١٩٩٢م، ص ١٦.

٢٧ - (١) راجع: العرفان الإسلامي، محمد تقي المدرسي، دار البيان العربي، بيروت، ١٩٩٢م، ص ١٦.



خامساً: الموجودات الممكنة.

سادساً: الوجود.

وإذا كان علم الكلام يتناول هذه المقاصد البحثية، فإنّ الفلسفة تعالج هذه المباحث أيضاً، لكنّ الفلاسفة يختلفون عن المتكلمين في الطريقة والمنهج؛ فالتكلم يسلم بمبادئ العقيدة، ثم يستدلّ على صحتها بالبراهين العقلية، ويدفع الشبهات عنها، أمّا الفيلسوف فإنّه يبدأ بمبادئ الفلسفة أو حقائقها، فيسلمّ بها، وإذا كان مسلماً حاول التوفيق بينهما^{٢٨}(١).

وبالرغم من أنّ نشأة علم الكلام داخلية كما يرى السيّد المدرسي في عرفانه الإسلامي، إلا أنّ الفلسفة أثّرت كثيراً في علم الكلام، فتحدّي الفلسفة لم يمنع علماء الكلام من تقليد الفلاسفة في كثير من المسائل العقائدية، بل إن علم الكلام في مقاصده استوحى المنهج العلمي من الفلسفة، ابتداءً من المنطق الأرسطي إلى مناهج الجدل وطبيعة الحجج، حتى آل الأمر إلى استدراج علم الكلام شيئاً فشيئاً إلى حيث الفلسفة لا في المنهج فقط، وإنّما في اقتباس مفردات البحث ولغته الفلسفية في كثير من مباحثه الكلامية أيضاً.

ذكرنا أنّ الشيعة الإمامية لم تأخذ علم الكلام من المعتزلة أو الأشاعرة، بل إنّ مؤسس علم الكلام عند الشيعة هو الإمام علي بن أبي طالب، ومن بعده الأئمة المعصومين عليهم السلام أجمعين، وتمتلك الشيعة عشرات الأدلّة على هذا الرأي، حتى قبل أن تنشأ فرقة المعتزلة، وقد أشرنا سالفاً إلى رواد علم الكلام عند الشيعة الإمامية، وهناك رواد آخرون من رواد علم الكلام عند الشيعة الإمامية، كآل نوبخت المعروفين بحبّهم وولايتهم للإمام علي وآل بيته عليهم السلام، ومنهم: الفضل نوبخت الذي عاصر هارون العباسي، وأولاه القيام بخزانة كتب الحكمة،

٢٨ - (١) راجع: معالم الفلسفة الإسلامية، محمد جواد مغنية، دار القلم، بيروت، ١٩٧٣م، ص ٢٥ -





وأبو عثمان المازني بن محمد النحوي البصري المشهور، والفضل بن شاذان النيسابوري، وإبراهيم بن محمد سعيد الثقفى، ويعقوب بن أبي سهيل نوبخت، وغيرهم من علماء الكلام عند الشيعة في القرون المتقدمة^{٢٩}(١).

وجاء المتكلمون بعد علماء الكلام الشيعة بعقود عديدة، ومنهم الجعد بن درهم الذي كان مولى لبني مروان، وهو أول من تكلم بخلق القرآن، وقد قاوم الفقهاء قول الجعد، وشهد عليه قاضي الرقة بالكفر والردة أمام الخليفة هشام؛ فأصدر حكمًا بإعدامه فقتله خالد القسري، وكذلك جهم بن صفوان وهو أحد تلامذة الجعد، ويعتق الجبرية، إلا أن الجهم نفى الصفات الأزلية لله سبحانه وتعالى، بخلاف مسألة الجبر الذي اعتقد فيه أن الله خالق الإنسان وأفعاله، والإنسان أشبه بالريشة، وبسبب معتقداته هذه أُعدم على يد الأمويين في خراسان^{٣٠}(٢).

كما أُعدم الأمويون غيلان الدمشقي؛ لأنه ومعبد الجهني كانا يقولان بحرية الإرادة وخلق القرآن، وأن الخلافة تصلح لغير القرشي، وأن العمل لا يدخل في الإيمان.

وفيما قال الدمشقي والجهني بحرية الإرادة، قال الحسن البصري بالقدر خيره وشره، ويرى كثير من المؤرخين أنه أول من تكلم في القدر، كما أنه من أبرز العلماء الذين أثروا فيما تلا من مراحل الحركة الكلامية، وانتشر مذهبه على يد جماعة كبيرة من تلاميذه وأتباعه، ومن هنا فإن الحسن البصري تنتهي إليه العديد من المذاهب العقائدية، مثل: المعتزلة، والصفوية، والأشاعرة، وأمسى قدوة الكثير من العلماء الذين أخذوا فكرة القدرية التي أشاعها بين تلاميذه المتصوفة، من أمثال: رابعة العدوية التي سكنت البصرة، وذهبوا إلى الجبر، وقالوا: إن أفعال العباد كلها مخلوقة من الله سبحانه وتعالى، تمامًا كما قال بها لأول

٢٩ - (١) راجع: أعيان الشيعة، محسن الأمين، دار التعارف للمطبوعات، بيروت، لبنان،

١٤٠٦هـ/١٩٨٦م، ص ١٣٤.

٣٠ - (٢) راجع كتابنا (آخر الفلاسفة)، ص ١٠٥-١٣٠.





مرة الجهم بن صفوان.

القواعد الفلسفية:

يمكن أن نشير هنا إلى أهمّ القواعد الفلسفية التي ارتكزت عليها أبرز النظريات الهامة، والتي سبق بها مفكرو الشيعة نظراءهم منذ بدايات العصور الإسلامية الأولى، الكندي جاء بأول قاعدتين فلسفيتين، واللّتين تعدّان جديدتين ومغايرتين للفكر العربي الفلسفي البسيط والسائد آنذاك، ولكنّ الفلاسفة العرب وعوا قواعد فلسفية عدّة:

الأولى: أنّ الشيء لا يصدر ولا يكون عن عدم مطلق، وأنّ الأشياء معدومة بنظر إضافي فحسب؛ لأنّ طبيعة العدم التي فرضوها تحول دون قبول مطلق العدم بدون ترجيح.

الثانية: أنّ الواحد لا يصدر عنه إلا الواحد^{٣١}(١)، ومن هنا اعتبر الكندي -رغم شطحاته الكبيرة- من أوائل الفلاسفة المسلمين الذين حاولوا التقريب بين الفلسفة والوحي، أو كما قيل: إنّ الكندي يتحرّك في إطار العقيدة الإسلامية ومبادئها.

الثالثة: بطلان التسلسل واللامتناهي.

الرابعة: استحالة بقاء سلسلة المتحرّك والمحرّك دون نهاية.

الخامسة: حركة الأجسام ذاتية.

وكان للكندي محاولات كبرى في التوفيق بين العقل والنقل، والتي تمثّل إحدى مظاهر هذا التوجّه الإسلامي، عارض فيها النظريات اليونانية والهندية والبرهمية التي دأبت للترويج على أنّ العقل وحده هو المصدر الكافي لجميع العلوم والمعارف والخير، وأنّه لا حاجة للإنسانية للرسول أو الأنبياء على أساس أنّ الأنبياء جاؤوا بما يوافق العقل، ولم يكن إليهم حاجة؛ فالعقل مغن، وإذا جاء الأنبياء بما يخالف العقل فهو

٣١ - (١) راجع كتابنا (فيلسوفان ثائران)، ص ٣٥.



مردود عقلاً^{٣١}(١).

أمّا قاعدة بطلان التسلسل واللامتناهي فيوضحها الكندي في رسالته (في وحدانية الله وتناهي جرم العالم): «أنّ جرم العالم متناهٍ ومحدود، وذلك من خلال مقدّمات عقلية واضحة، تركز بشكل أساسي على الأسس الرياضية، وإلاّ لو فرضنا الضدّ، وفصلنا جزءاً محدوداً من جرم العالم كان الباقي محدوداً كذلك؛ فيكون -بالإضافة- متناهياً؛ لأنّ الجرمين متناهيان أيضاً في اجتماعهما، وبهذا يكون العالم متناهٍ في آنٍ واحد، ولا يكون اجتماع الضدين»^{٣٣}(٢).

وأمّا إذا كان باقي الوجود غير متناه، ثم أضيف ما فصل منه، كان بمجموعهما أكبر منه بعد الفصل، ولكنّه هو؛ لأنّه متناهٍ، فالمتناهي يمكن وصفه بأنه أصغر من اللامتناهي، واللامتناهي يوصف بأنّه أكبر وأصغر، -وهو تناقض- وأثبت أنّ الوجود متناهٍ، كان غير أزلي بلا شكّ، وإلاّ إذا كان لا أوّل لوجوده كان غير متناهٍ، وقد ثبت قبل أنّه متناهٍ؛ فهو موجود، وهو جرم من العدم، فاحتاج إلى واجد وهو الله سبحانه وتعالى، وهذا البرهان العقلي الذي عرض له الفيلسوف الكندي اعتمد عليه كثير من فلاسفة الشيعة، ممن أتوا بعده، من أمثال: أبي الفتح الكراجكي المتوفى سنة (٤٤٩ هـ)، والطوسي المتوفى سنة (٦٧٢ هـ)، والمحقّق الدواني المتوفى سنة (٩١٨ هـ)، وغيرهم من الفلاسفة، حينما تناولوا هذا البرهان بأشكال عدّة^{٣٤}(١).

كما أنّ من أبرز النظريات الدقيقة التي تناولها فلاسفة الشيعة (الحركة) وتحديدها، وأثرها على النظريات الكلّيّة^{٣٥}(٢).

ويعدّ هشام بن الحكم من أوائل من عرضوا آراءهم في الحركة في إطارها الفلسفي الدقيق، عندما فسّر الحركة بالفعل، وفسّر السكون بعدم

٣٢ - (١) انظر: من الكندي إلى ابن رشد، موسى الموسوي، بيروت، لبنان، ١٩٧٧م، ص ٢٥.

٣٣ - (٢) انظر: بين الدين والفلسفة، محمد يوسف مرسي، جمهورية مصر العربية، ١٩٥٩م، ص ٢٥.

٣٤ - (١) انظر: فلاسفة الشيعة، عبدالله نعمة، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت، لبنان، ص ٣٣.

٣٥ - (٢) المرجع السابق، ص ٣٣.



الفعل، لذلك فهي عنده من (مقولة الفعل)، وليست من (مقولة الأين)، كما يراها الكثير من الفلاسفة المتأخرين عنه.

وممن تناول الحركة في إطارها الفلسفي، الشيخ الرئيس (ابن سينا) في تعريفه (للتنبيه)، والتنبيه كما أراده الفيلسوف هو الدلالة على وجود الله، واعتبر كل حركة تصدر من محرّك في متحرّك، حتى ينتهي المحرّكون والمتحرّكون إلى محرّك غير متحرّك؛ وذلك لاستحالة بقاء سلسلة المتحرّك والمحرّك دون نهاية^{٣٦}(٣)، ويضيف ابن سينا: أن تسلسل العلل اللانهائي باطل، وإذا افترضنا معلولاً وفرضنا له علّة، والعلّة علّة، من المستحيل أن نكمل إلى ما لا نهاية له، بل يجب أن نصل إلى علّة غير معلولة هي العلّة الأولى.

ومن الفلاسفة الذين لم يفرّقوا بين الحركة والتغيير الفيلسوف الكندي؛ لأنه لم يرَ فرقاً بينهما، وقد ربط بين الزمان والحركة، وربطهما معاً بالجسم، فالزمان زمان الجسم (أي مدّة وجوده) إذ ليس للزمان وجود مستقل، والحركة هي حركة الجسم، وليس لها وجود مستقل، والجسم مستقل، والجسم - أي جسم - متبدّل بأحد أنواع التبدّل، من الحركة المحورية حول مركزه، أو حركة النقلة من مكانٍ لآخر، أو حركة النمو والتقلّص والزيادة والنقصان، أو حركة الاستحالة والتوالد، أو الحركة الجوهرية في صور الكون والفساد^{٣٧}(٢).

ومن الفلاسفة الشيعة الذين تكلموا في الحركة جالينوس العرب (الرازي)، وله نظرية مبتكرة هنا تركز على أن الجسم يحوي في ذاته على مبدأ الحركة، ووضع رسالة في هذا الرأي خالف فيها علماء اليونان، من أمثال: أرسطو، وأطلق عليها عنوان (مقالة في أن للجسم تحريكاً من ذاته، وأن الحركة مبدأ طبيعي)، ويؤكد في هذه الرسالة أن

٣٦ - (٣) راجع: الفلسفة العربية عبر التاريخ، رمزي نجار، دار الآفاق الجديدة، بيروت، ١٩٧٧م، ص ١٣٢.

٣٧ - (١) راجع: الفلسفة العربية عبر التاريخ، رمزي نجار، دار الآفاق الجديدة، بيروت، ١٩٧٧م، ص ٣٤.



الحركة لا يمكن رؤيتها، بل معلومة، وذاتية الحركة وامتناع رؤيتها من القواعد الفلسفية في نظرية الرازي التي خالف فيها الفلسفة القديمة الموروثة، بالرغم من أن هشام بن الحكم أشار إلى امتناع رؤية الحركة.

وللمعلم الثاني (الفيلسوف الفارابي) رأي في الحركة، وهو أن مبدأ الحركة عنده مرتبط بالإرادة، وتسمّى طبيعية، متى لم يكن من خارج أو عن إرادة، أمّا الحركات اللاإرادية فإنّها حركات متساوية، وتسمّى نفساً نباتية، أمّا الحركة مع إرادة، أو على لون واحد ألوان كثيرة كيفما كانت، وتسمّى النفس الحيوانية، والنفس الفلكية.

ويذهب الفارابي إلى ربط الحركة بالزمان، فالحركة عنده متصلة بها أشياء تسمّى زماناً، ومقطع الزمان يسمّى أنا، إلا أنّ الحركة عنده دون بداية ونهاية، أي لا يجوز أن يكون للحركة ابتداء زمني، ولا آخر زمني؛ فإذا يجب أن يوجد متحرّك على هذا اللون ومحرّك لذلك، والمحرّك الذي لا يكون متحرّكاً، يجب أن يكون واحداً، ولا يكون ذا عظم، ولا جسمًا، ولا يكون متجزئًا، ولا فيه كثرة بوجهه^{٣٨}(١).

أدوات الفلسفة:

الفلاسفة اتخذوا من العقل والبرهان والمنطق أدوات للفلسفة، إلا أنّ بعضاً من هؤلاء الفلاسفة عدّوها جزءاً من الفلسفة، وسواء كانت أدوات أم جزءاً من الفلسفة؛ فالفلاسفة الشيعة لهم مساهماتهم المعروفة في صدر العصور الإسلامية.

الفارابي وابن سينا رائدان من رواد علم المنطق في العصر الإسلامي، وتحديداً ساهم الفارابي في شروحاته وجوامعه ومختصراته، وكذلك ابن سينا في موسوعيته وتنسيقه ومنهجه^{٣٩}(١).

٣٨ - (١) راجع كتابنا (آخر الفلاسفة)، ص ١٢٦.

٣٩ - (١) راجع: المنطق السينيوي، جعفر آل ياسين، بيروت، لبنان، ١٩٨٣م، ص ٧.



إنَّ المؤسَّس الأوَّل لعلم المنطق هو الفيلسوف اليوناني أرسطو طاليس، وهذا من المسلَّمات التاريخية، إلاَّ أنَّ المفكرين العرب والفلاسفة المسلمين أضافوا الكثير لهذا العلم، ولهم تجديداتهم الأصيلَّة، ومن أبرز التجديدات الأصيلَّة التي أضافها الفلاسفة المسلمون كانت على يد أحد أبرزهم وهو الفارابي الملقَّب بالمعلم الثاني، والذي اهتمَّ تحديدًا بالمنطق الأرسطي شرحًا، وتعليقًا، وتعريبًا؛ حتى نال هذا اللقب.

الاهتمام بعلم المنطق كأداةٍ من أدوات الفلسفة حدا بالفارابي أبي قاسم صاعد الأندلسي في كتابه (طبقات الأمم) أن يقول عن الفارابي أنَّه: «بزَّ في صناعة المنطق جميع فلاسفة الإسلام، وأربا عليهم بالتحقيق فيها؛ فشرح غامضها، وكشف سرَّها، وقرب تناولها، وجميع ما يحتاج إليه منها في كتب صحيحة العبارة، لطيفة الإشارة، منبِّهًا على ما أغفله الكندي وغيره من صناعة التحليل وأنحاء التعاليم، فجاءت كتبه في ذلك الغاية الكافية والنهائية الفاصلة»، والمنطق عند الفارابي على جملة من القوانين التي من شأنها أن تقوم العقل، وتسدّد الإنسان نحو الاستنتاج الصحيح، وتأخذ مقدماته بعقل الفرد نحو الحق في مجمل ما يمكن أن يقع فيه العقل، من أغلاط من المعقولات^{٤٠} (١).

ومن أبرز التجديدات التي جاء بها الفارابي في علم المنطق، ما نجده في الفصل الثاني من كتابه (إحصاء العلوم) الذي قسّم فيه المنطق إلى موضوعات، وحدّد أقسام المعرفة، وأشار إلى أنَّ المنطق يمكن تقسيمه إلى قسمين رئيسين:

الأول: ويشتمل على المعاني والحدود، وهو قسم تصوّر وأحد أقسام المعرفة.

والثاني: ويشتمل على مباحث القضايا والأقيسة والبراهين، وهو قسم التصديق، وهو القسم الثاني للمعرفة.

٤٠ - (١) راجع: الفارابي، فوزي عطوي، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، ١٩٧٨م، ص ٦٢.



ولا شك أنّ الفارابي ومساهماته وإضافاته في علم المنطق محل إعجاب وتقدير من الفلاسفة والباحثين، والفارابي نفسه يشير في كتابه إلى أهمية المنطق وشدة حاجته، ويلقي نظرة خاطفة على المقولات والعبارة، وأنواع القياس الخمسة: البرهانية، الجدلية، السفسطائية، الخطيية، الشعرية.

كل ذلك كتبه الفارابي في الفصل الثاني من كتابه، أمّا في الفصل الثالث من الكتاب فهو عن التعاليم، وقصد به علم العدد والهندسة والأثقال، والفلك وغيرها من العلوم الطبيعية^{٤١} (١).

واهتمّ ابن سينا في دراساته وكتبه بعلم المنطق، على الرغم من أنّ الباحثين يؤكّدون أنّ ابن سينا اقتفى إلى حدّ كبير خطوات الفارابي، فاهتمّ بشكل خاص بنظرية التعريف، وبمنطق القضايا بالدرجة الثانية، والذي هو ضرب من ضروب الاستدلال الاستنباطي، ومنطق القضايا هو نوع من القياس، ومبحث القياس من المباحث الرئيسة بالنسبة للمنطق السينيوي، سواء كان ذا علاقة بالشكل أم بالقياس البرهاني، التي حدّد بناء أشكالها المنطقية، وصياغتها الحملية على اختلاف الصور، بالإضافة إلى تجديد ابن سينا أصولها وفروعها الفلسفية.

وفي البناء القياسي والبرهاني لمنطق القضايا عند ابن سينا، لا بدّ من وجود مقدّمتين، مع أداة ثالثة هي (الحدّ الأوسط)، وهو المفتاح الرئيس لتلك المقدّمات، «فلولاه لا ينهض بناء الشكل القياسي، ولا يتوصّل إلى نتيجة معينة، أي لا يمكن الوصول من حكم إلى آخر، فهو إذن أساس ضروري في البرهنة»^{٤٢} (٢).

٤١ - (١) انظر: من الكندي إلى ابن رشد، موسى الموسوي، بيروت، لبنان، ١٩٧٧م، ص ٨٥.
٤٢ - (٢) راجع: المنطق السينيوي، جعفر آل ياسين، بيروت، لبنان، ١٩٨٣م، ص ٦٧.

خُطُّ النهاية:

أشرنا قبل قليل إلى الحقب الزمنية الأربع التي أشار إليها الفيلسوف الفرنسي هنري كوربان، والحقبة الخامسة التي تمثّلت في ظهور حكمة آل البيت عليهم السلام على يد الشيخ الأوحّد، هذه الحقب لتاريخ الفكر الفلسفي الإسلامي الشيعي، حيث وصف الحقبة الزمنية الرابعة (النهضة الصفوية ومدرسة أصفهان) بأنّها تمثّل ظاهرة متميّزة لا نظير لها في العالم الإسلامي، وتكذّب ادعاءات الكتاب من أنّ الفلسفة انتهت بموت ابن رشد، فالفكر الشيعي مازال كنزاً دفيناً، يرتبط بشكل وحدوي مع الوحي النبويّ والفكر الإسلامي الأصيل، ولذلك فإنّ آثار ملاّ صدرا الضخمة هي عبارة عن شرح قيّم لمؤلّفات الأصول الشيعية، التي تركها الكليني وغيرهم من عمالقة الشيعة، كذلك فإنّ العلامة المجلسي، وبالرغم من عدم ميله للفلسفة، فإنّ آثاره تدلّ على أنّه فيلسوف من الطراز الأوّل، كما يرى الفيلسوف الفرنسي هنري كوربان.

ولكن لا بدّ أن نتذكّر أنّ الحقبة الرابعة بالذات هي التي قادت إلى الحقبة القاجارية التي تألّقت فيها مدرسة آل البيت الحكيمية بزعامة الشيخ الأوحّد.

وبعد وفاة الشيخ أحمد بن زين الدين الشيخ الأوحّد بُعثت الفلسفة التقليدية من جديد حول آثار الملاّ صدرا والشيخ الأوحّد معاً^{٤٣}(١).

حكمتنا والفلسفة:

لقد انشغل الفلاسفة المسلمون قبل زمن الشيخ الأوحّد عليه الرحمة بمحاولة التوفيق بين تراث الفلسفة اليونانية، وبين مبادئ

٤٣ - (١) راجع كتابنا (آخر الفلاسفة)، ص ١٠٥-١٣٠.

وقيم الفكر الإسلامي، ساعين في ذلك إلى رفع التعارض في مؤدَي كلٍّ منهما، ولعلّ السبب في بروز هذا المنهج التوفيقى عند فلاسفة المسلمين - بلا استثناء - منذ فيلسوف العرب الكندي وحتى ابن رشد يعود إلى هيمنة روح الفكر اليوناني على مفكّري الحضارة الإسلامية، كما أنّ عملية التوفيق هذه لم تكن خالية من التحيّز وعدم الإنصاف؛ ولهذا ظهرت فلسفات إسلامية في الشكل غير صافية الجوهر، بل هي كما يراها العديد من الكتّاب، خليط متداخل من الفلسفات المتناثرة والدين، وغالبًا ما يكون الدين تابعًا لوجهة نظر الفلسفة، وليس متبوعًا لها.

لقد عمل فيلسوف المغرب ابن رشد - مثلاً - بشكل علمي وممنهج على نصوص (المعلم الأول)، يتعلّمها ويلخصّها ويشرحها، حتى قدّم شروحاته الثلاثة لأرسطو، ولقّب ابن رشد بالشارح الكبير؛ وذلك بعد أن أيقن بأنّها الفلسفة الحقّة، والحكمة المتكاملة، وأخيرًا استقرّ رأيه على التوفيق بين الفلسفة والشريعة، وتصحيح الدين مما علق به - في ظنّه - من مخالفات المتكلّمين، وتشويش الفقهاء^{٤٤} (١)، ولم تسلم فلسفة ابن رشد كذلك من خلط الفلسفة بالدين.

ولما كانت تلك الفلسفات عرجاء تجعل من الدين تابعًا لها؛ فقد «عمل الشيخ الأوحّد على استفراغ وسعه في إعادة صياغة المنظومة الفكرية الفلسفية المخالفة لمذهب آل البيت عليهم السلام من جديد على أساسٍ متين، سائرًا في هذا الدرب على ضوء كلمات أهل البيت الأطهار عليهم السلام، وإرشاداتهم القيّمة»^{٤٥} (٢).

هذه المنظومة الفكرية الجديدة ليست سوى مدرسة آل البيت الحكيمية تستمدّ جذورها من القرآن الكريم، ومن أحاديثهم عليهم السلام، الأمر الذي خلق تيارًا فكريًا ضخمًا، وحركةً علميةً ثقافيةً أثرت

٤٤ - (١) راجع كتابنا (فيلسوفان ثائران)، ص ١٠ - ١٣.

٤٥ - (٢) مدخل إلى فلسفة الشيخ أحمد الأحسائي، حسن فيوضات، توزيع دار المحجّة، بيروت، لبنان، ١٤٢٤ هـ، ص ١٥.

في موطن الشيخ الأوحـد الأصيلي (الأحساء) وفي العديد من البلدان الإسلامية، هذا من حيث الحقيقة (المروية) التي هي مصدر رئيس من مصادر التاريخ، كما يراها المؤرخون.

أمّا من حيث (الحقيقة الخطية) وهي مصدر آخر من مصادر التاريخ، فليست سوى آثاره التي خلفها لنا الشيخ الأوحـد، وجميعها تدلّ على تأصيله الفكري لأركان مدرسة آل البيت الحكيمة، بل إنّ كثيراً من تلك الكتب والرسائل هي في مختلف العلوم والمعارف، حتى عمد العديد من الكتاب والباحثين لإفراد مصنّفات خاصة وفهارس متخصصة؛ للإلمام بعناوين وإعداد مصنّفات له لكثرتها، وهي كما قال عنها السيّد كاظم الرشتي: «كثيرة يضيّق عنها قلم الإحصاء»^{٤٦}(١).

وأورد السيّد الرشتي في دليله (٨٦) مصنّفاً للشيخ الأوحـد، وذكر الحاج رياض طاهر في فهرسه: أنّ مؤلّفات الشيخ المطبوعة بلغت (١٠٤) مؤلّفات، أمّا ما صدر عن الشيخ من خطبٍ وفوائد وقصائد فبلغ (١٥٤)، ومجموع أجوبة المسائل (٥٥٥) مسألة مخطوطة ومطبوعة، وأشار آغا بزرك الطهراني في الذريعة إلى أنّ رسائل الشيخ أحمد بلغت (٧٥) رسالة، وذكر السيّد العاملي في الأعيان أنّ للشيخ (١٠٢) من المؤلّفات، أمّا الدكتور حسين محفوظ فيذكر أنّ الشيخ ترك (١٤٠) كتاباً، وأجوبة بلغت (٥٥٠) تقريرياً، وعدّد السيّد الشخص في أعلام هجر (١٦٨) مؤلّفاً للشيخ الأوحـد، وبلغ عدد مصنّفاتهِ طبقاً لرصدنا إلى (١٨٥) بين مؤلّفٍ ورسالةٍ وجوابٍ^{٤٧}(١).

وتبقى الحقيقة (المريّة) أبرز وأهم المصادر التاريخية، ولا نجد أدقّ مصداقٍ لهذا المصدر التاريخي إلاّ تلامذته الكثر، وتلامذتهم البارزين من أعلام المدرسة، وإذا كانت الحقيقة (المريّة) هي أوثق المصادر على الإطلاق، فإنّ البلدان الإسلامية -والأحساء تحديداً- شهدت وخالطت

٤٦ - (١) دليل المتحرّين، كاظم الرشتي، جامع الإمام الصادق، الكويت، ط ٣، ١٤٢٣هـ / ٢٠٠٢م، ص ١٣٩.

٤٧ - (١) راجع كتابنا (آخر الفلاسفة)، ص ٦١ - ص ١٠٢.



تلامذة الشيخ الأوحّد، وتلمذت على أيديهم طوال قرنين من الزمن، وهؤلاء العلماء (التلاميذ) هم المرأة الحقيقية والصادقة التي تعكس للمؤرّخ المنصف ماهيّة فكر الشيخ الأوحّد، وعلوّ همّته، وغازاة فكره؛ لذلك يمكننا القول بكامل الوثوق: إنّ مدرسة آل البيت الحكّمية التي تزعمها شيخنا الأوحّد، بأثاره الكثيرة، وبذلك العدد الضخم من تلاميذ مدرسته، قد خلقت تيارًا ثقافيًا وعلميًّا في منطقة الأحساء؛ أدّى إلى تكاثر العلماء والفقهاء في القرنين الثالث عشر والرابع عشر الهجريين.

مدرسة آل البيت الحكّمية:

وهي الحقبة الخامسة والأخيرة التي أشرنا إليها في الفصل السابق من تاريخ الفلسفة الإسلامية، وهي المرحلة القاجارية كما أسماها هنري كوربان، ونسّمّيها مرحلة أو حقبة مدرسة آل البيت الحكّمية، التي أسّسها الشيخ أحمد الشيخ الأوحّد، ومن أبرز أساتذتها الشيخ محمد أبو خمسين.

هذه المرحلة الزمنية تميّزت ببروز حكمة مدرسة آل البيت الحكّمية، أصدق الفلسفات الإسلامية وأقربها إلى واقعنا الإسلامي، كما أنها من أبرز المحاولات الحكّمية التوفيقية الناجحة في العهود الإسلامية.

نعم؛ كانت هناك محاولات توفيقية - كما أشرنا سابقًا - للتوفيق بين الفلسفة والوحي، مثل: محاولات السجستاني، ومسكويه، وابن سينا، وابن رشد، ولكن تلك المحاولات لم توفّق بسبب تابعيتها للفلسفة وأدواتها.

ومن أبرز الدلالات على محاولة الشيخ التوفيقية الناجحة تلك، قوله في (شرح الفوائد) حينما تحدّث عن منهجه الحكمي، ومناهج من سبقوه من الفلاسفة: «وأنا لم أسلك طريقهم، وأخذت تحقيقات ما



علمت عن أئمة الهدى عليهم السلام، ولم يتطرق على كلماتي الخطأ؛ لأنني ما أثبت في كتبي فهو عنهم، وهم عليهم السلام معصومون عن الخطأ، والغفلة والزلل، ومن أخذ عنهم لا يخطئ من حيث هو تابع، وهو تأويل قوله تعالى: ﴿سِيرُوا فِيهَا لِيَالِي وَيَأْمَأْمِنِينَ﴾ سورة سبأ: ١٨، وقولي: لم يجر ذكرها في خطاب، يعني لم يذكر في الأحاديث، إلا بالإشارة والتلويح لأهله، وعلى الله قصد السبيل».

وفي إطار السياق مع هذا المنهج الحكمي المبتكر، الذي اعتمد على استنباط الأحكام العقائدية الإمامية من القرآن الكريم، وأخبار آل البيت عليهم السلام، جاءت محاولة الشيخ الحكمة المباركة، أي أن الشيخ أحمد بن زين الدين الأحسائي يرى أن استنباط الأحكام العقائدية الإمامية من الكتاب والسنة النبوية أولى من استنباط الأحكام الفرعية منهما؛ لأصالة العقائد الإمامية في الدين^{٤٨} (١).

ولكن لا بد أن نشير بوضوح هنا إلى أن محاولة الحكيم الشيخ الأوحى التوفيقية المباركة، أو المحاولة التأسيسية الناجحة لحكمة آل البيت عليهم السلام التي قام بها الشيخ الأوحى، لم تكن جديدة، إلا أن الجديد الذي ادّعاه الشيخ، والذي يمكن اعتباره منهجاً جديداً في علم الحكمة، هو عدم اعتماده على القواعد المقررة سلفاً في علم الفلسفة وحدها، بل ابتدع أدوات فلسفية جديدة، وقواعد مبتكرة، معتمداً على أخبار أهل البيت عليهم السلام، فهو يعتمد الحكمة المستخلصة من تراث الأئمة عليهم السلام، ولا اعتبار عنده بما لا تقرّه أخبارهم^{٤٩} (٢).

ويرى الشيخ الأوحى أن منهجه المبتكر (محاولته التوفيقية) هو منهج سليم، ويدلّل على سلامة هذا المنهج الحكمي الجديد، بعجز العقل البشري عن التشريع، فالمرشد للعقل في جميع استنتاجاته، هو

٤٨ - (١) راجع: فكر ومنهج في فكر الشيخ الأحسائي، عبد الجليل الأمير، دار النخيل، بيروت، لبنان، ط ٢، ١٤١٥هـ / ١٩٩٥م، ص ٥١.

٤٩ - (٢) انظر: أعلام هجر، هاشم محمد الشخص، مؤسسة أم القرى، الطبعة الثانية، ١٤١٦هـ، ص ١٧٩.

التشريع السماوي المحفوف بالعصمة الإلهية، فلازم على العقل اتّباع الدليل التشريعي حتى يأمن الزلل، وبالأخص في الأمور العقائدية؛ «لأنّ العقائد كلّها موقوفة على الوصف والنعته؛ لتوحيد وتنزيه صفات وأسماء الباري تعالى، وكلّ ذلك توفيق من الحق سبحانه لا يقاس بالعقل»^{٥٠}(١)، بل إنّ الشيخ الأوحدي يرى أنّ الشريعة الإسلامية اهتّمت بالأمور الصغيرة جدًّا، وجعلت لها أحكامًا خاصة، فمن الأولى الرجوع إلى التشريع السماوي في الأمور العقائدية.

نحن نحتاج للتوقّف أكثر عند المحاولة الجادة للشيخ أحمد بن زين الدين الأحسائي، وهذه المحاولة الجادة التي قام بها لا بدّ من وضعها في إطارها العام، ألا وهو مدرسة آل البيت الحكيمية، فالشيخ الأوحدي عالم إمامي، استطاع أن يلوي عنق الاتجاه التقليدي السائد في الحوزات الدينية إلى اتجاه إلهي، وضمّ الألاف من رواد المعرفة إلى الفلسفة الإلهية.

انطلق الشيخ الأوحدي في منهجه الحكمي من مبدأ تعميمي، بمعنى أنّ منهجه الفقهي طبّقه على منهجه الحكمي؛ حيث إنّهُ اتكأ على القرآن الكريم والأحاديث النبوية في استنباط الأحكام العقائدية؛ فما وافقهما أخذ به، وما خالفهما أزاحه جانبًا^{٥١}(١)، إلّا أنّ الشيخ كانت مهمته أصعب بكثير من الفلاسفة السابقين؛ ذلك لأنّ الشيخ لم يكن حكيمًا يحاول تقريب فلسفته للشريعة فحسب، بل كان عالم دين كبير يحاول فهم المعرفة الإلهية من خلال النقل أيضًا، بالإضافة إلى ذلك تقريب الفلسفة لا للشريعة فقط، بل إلى حظيرة المذهب الشيعي الإمامي باتجاهه الأصولي، من هنا فقد أضاف الشيخ إلى الحكمة الإسلامية آراء مبتكرة فيما يطابق العقل والنقل معًا؛ لأنّه كان ممّن يرى ضرورة التوفيق

٥٠- (١) راجع: فكر ومنهج في فكر الشيخ الأحسائي، عبد الجليل الأمير، دار النخيل، بيروت، لبنان، ط ٢، ١٤١٥هـ/ ١٩٩٥م، ص ٤٧.

٥١- (١) راجع: فكر ومنهج في فكر الشيخ الأحسائي، عبد الجليل الأمير، دار النخيل، بيروت، لبنان، ط ٢، ١٤١٥هـ/ ١٩٩٥م، ص ٨٥.

بين العقل والنقل، كما يقول محمد كاظم الطريحي^{٥٢} (٢).

ولذلك فإن ردود الشيخ أحمد بن زين الدين في العقائد والمسائل، ينحى هذا الجانب الحكمي التوفيقي، والذي برز بشكل واضح بعد أن تكاثرت الردود عليه، وتعالى الاتهامات، رغم أن الشيخ خالف كبار الفلاسفة في نهجهم، ودحض العديد من آرائهم؛ لأنه استوحى أحكامه وعقائده الفلسفية من الكتاب والسنة^{٥٣} (٣)، لذلك فإن الخلاف بينه وبينهم في الحكمة والفلسفة أن الشيخ قلّد الأئمة المعصومين في كل شيء، بحيث جعل من منهجه الفكري تابعاً للشريعة الإسلامية.

إنّ المنهج الفكري عند الشيخ الأوحى يمكن تأصيله إلى ثلاثة مرتكزات، في إطار محاولته التوفيقية الحكمية الناجحة:

أولاً: ابتكاره لمنهج فلسفي جديد لم يسبقه إليه أحد، خلاصته التوفيق بين الفلسفة وبين أخبار آل البيت عليهم السلام؛ لأنه يستخلص الحكمة من تراثهم المنقول عنهم.

ثانياً: تفسيره للعديد من الأخبار، وحلّ الكثير من المسائل الشائكة، وقدرته على فكّ الرموز الغيبية في هذه الأخبار، ممّن تركها القوم في (سنايلها) خشيةً من تناولها^{٥٤} (١).

ثالثاً: تناوله بالشرح أعمق الكتب الفلسفية آنذاك، ومنها (المشاعر) و(العرشية) لملاً صدرا، وابتداعه للعديد من المفردات والمصطلحات الحكمية، التي لم يألفها المشتغلون بالحكمة أنفسهم.

وعندما تناول الشيخ الأوحى (المشاعر) و(العرشية) تناولهما

٥٢ - (٢) انظر: مقدمة كتاب (الرجعة)، أحمد بن زين الدين الأحسائي، بيروت، لبنان ١٩٩٣ م، ص ٩.

٥٣ - (٣) راجع: فكر ومنهج في فكر الشيخ الأحسائي، عبدالجليل الأمير، دار النخيل، بيروت، لبنان، ط ٢، ١٤١٥ هـ / ١٩٩٥ م، ص ٨٦.

٥٤ - (١) انظر: أعلام هجر، هاشم محمد الشخص، مؤسسة أم القرى، الطبعة الثانية، ١٤١٦ هـ، ص ٢٢٩.

بعمق، وبذهن ثاقب، وجودة في السليقة، وبفكر صافٍ من آثار الحكمة اليونانية الوثنية.

ويستطيع الباحث المدقق أن يلاحظ أن له مذهباً خاصاً في التوصل إلى النتائج الفلسفية؛ فهو لا يكتفي بما توصل إليه عن طريق العقل فقط؛ لأنه يرى أن العقل إذا لم يسترشد بالنقل تنكب عن الطريق السوي، كما لا يكتفي كذلك بما يحصل عليه من النقل فحسب؛ لأنه يرى أن النقل إذا نزل بمفرده لا يستطيع الوقوف على قدمه طويلاً، فهو لا يكتفي بهذا وحده، ولا بذلك، وإنما يعمل جاهداً على أن يطابق بينهما مطابقة تامة^{٥٥} (١).

إن علماء الشيعة الكبار والفقهاء اتفقوا على منهج الشيخ الحكيم، بينما خالفه بعض الفلاسفة، كما اتفق الفقهاء على غزارة علمه، وتضلعه في مختلف العلوم وإن خالفه بعض الفلاسفة في آرائه الحكمية، وأشاروا أنه كان بارعاً أكثر في العلوم العقلية والنقلية، وله فيها مصنّفات، وقد كان بارزاً بالخصوص في علم الكلام والحكمة^{٥٦} (٢).

إن الفاحص المتبّع لكتابات الشيخ الأوحّد ومنهجه البحثي، وبالذات في كتابيه (شرح العرشية) و (شرح المشاعر) - يلحظ بوضوح أن الشيخ الأوحّد يبدأ أولاً بشرح موسّع لنظرية الملائّ صدرًا، وذلك طبقاً لمدى غموض النظرية ودقتها، ثم يشرع في نقل ما تيسر له من آيات القرآن الكريم، والروايات ذات العلاقة بموضوع النظرية وجوهرها، ثم يقارن بين النظرية العقلية ومفاد الآيات والروايات المنقولة، ولا بدّ حينئذٍ أن يخرج بإحدى نتيجتين: إمّا التطابق أو التناقض^{٥٧} (١)، وإذا كان الأمر متناقضاً استطرد في دحض النظرية بطريقة النقض والإبرام، والنقيض وعكس النقيض، ثم يترسل في إعطاء آرائه ونظريته المخالفة لنظرية

٥٥ - (١) انظر: كتاب (حقائق)، علي الشيخ إبراهيم إسماعيل، دار الزمان، بغداد، العراق، ١٩٦٥م، ص ١٨.

٥٦ - (٢) انظر: كتاب (الرجعة)، أحمد بن زين الدين الأحسائي، بيروت، لبنان ١٩٩٣م، ص ١٨.

٥٧ - (١) انظر: كتاب (حقائق)، علي الشيخ إبراهيم إسماعيل، دار الزمان، بغداد، العراق، ١٩٦٥م، ص ١٨.



الملاً صدرا، والمتوافقة لدلالات النقل، حينها يوسّع دائرة البحث بذكر البراهين العقلية والحجج المنطقية التي تؤيد آراءه ومفاهيمه.

لقد قامت شهرة الشيخ الأوحّد على عطائه الحكمي الأصيل، النابع من القرآن الكريم، وروايات آل البيت عليهم السلام؛ الأمر الذي جعله مؤسساً لمدرسة آل البيت الحكّمية، ذات المنبع الإسلامي الصرف، من هنا عُرف الشيخ أحمد بن زين الدين الأحسائي، بتضلّعه في الحكمة الإلهية، الأمر الذي قد يصاغ منهجه الفكري من جانب ما اشتهر به، فإنّ الشيخ قد برع في علوم شتّى ينبغي على الدارسين بحثها؛ لاستكشاف الجوانب الأخرى من شخصية الشيخ العلمية الرائدة، فقد كان حقاً من علماء ورجالات الشيعة اللامعين، الذين أخذوا بأسباب المعرفة والفكر، والحكمة والكلام، والفقه والعرفان، هذا إلى جانب تمرّسه بالطب والرياضيات، والنجوم والكيمياء، وعلم الأعداد والكلمات والحديث والأصول^{٥٨}(٢).

حكمة أبي خمسين:

بعد تلك الرحلة الطويلة في فلسفة القوم، وحكمة مدرسة آل البيت الحكّمية، ليس صعباً الآن رؤية حكمة مرجعنا أبي خمسين بوضوح تام، وبعدهما طُبع وحُقّق العديد من كتبه الهامة، اتضحت رؤيته الحكّمية، ومنهجه الفكري الذي سار عليه، ولقد أطلقنا على هذا الاتجاه الحكمي (مدرسة آل البيت الحكّمية) في العديد من كتبنا ودراساتنا السابقة، بزعامة الشيخ الأوحّد رضوان الله عليه، فراجع كتابنا (أول المجتهدين) و (الرئيس العيثان).

ولا بدّ أن نوّكد أنّنا في هذا الكتاب نستعرض آراء الشيخ الأوحّد وتلامذته - كما كتبناها في مؤلفاتنا السابقة - قبل الإتيان برأي الشيخ

٥٨ - (٢) انظر: فلاسفة الشيعة، عبدالله نعمة، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت، لبنان، ص ١١٣.



أبي خمسين، ولا بدّ من الإشارة إلى أنّ منهج علماء وأعلام المدرسة منذ بدايتها على يد مؤسّسها الشيخ الأوحّد وإلى الآن منهج متماسك ومتكامل، فلم نجد بعد التدقيق والتمحيص آراء حكمية صارخة كان يقول بها الشيخ الأوحّد وخالفه فيها بقية أعلام المدرسة، هذا التوافق والتطابق الرصين بين علماء المدرسة يدلّ على مصداقيتها وتماسكها وقوّتها في وجه الفلسفات الأخرى، ومن جهة أخرى يدلّ على أنّ ينبوعهم واحد، ألا وهو محمد وآل محمد عليهم السلام^{٥٩} (١).

أثار (علم الله سبحانه وتعالى) الكثير من الجدل والنقاش بين المتكلّمين والفلاسفة، ومما لا شكّ فيه أنّ الله يعلم ذاته، ويعلم الكون بما فيه من أحداث كليّة وجزئية، كما أنّ علمه سبحانه وتعالى غير مقيّد بزمان ولا مكان؛ لذلك فإنّ علمه بالجزئيات كعلمه بالكليّات، ولا يبدل شيئاً من تفرّده ووحدانيته، ولا ذاته وصفاته^{٦٠} (٢).

ويرى الطباطبائي تحقّق أنّ للواجب تعالى علماً حضورياً بذاته، وعلماً حضورياً تفصيلياً بالأشياء في مرتبة ذاته قبل إيجادها وهو عين ذاته، وعلماً حضورياً تفصيلياً بها في مرتبتها وهو خارج من ذاته، ومن المعلوم أنّ علمه بمعلولاته يستوجب العلم بما عندها من العلم^{٦١} (٣).

وللشيخ الأوحّد استدلاله الخاص في إثبات العلم الجزئي والكليّ لله سبحانه وتعالى: «أنّه عزّ وجلّ عالم، بدليل أنّه خلق العلم في بعض خلقه والعالم المتّصف به، ومن لم يكن عالماً لم يصح أن يصنع من هو عالم بما يصنع فيه من العلم، ولأنّه صنع الأفعال المحكمة المتقنة الجارية على مقتضى غاية الحكمة، ونهاية الاستقامة، ومن لم يكن عالماً لم يصدر عنه مثل ذلك، وعلمه قسمان: علمٌ قديم هو ذاته، وعلمٌ حادث وهو ألواح المخلوقات، كالقلم واللوح وأنفس الخلائق، فأما العلم القديم فهو ذاته تعالى بلا مغايرة ولو بالاعتبار؛

٥٩ - (١) راجع كتابنا (آخر الفلاسفة)، ص ١٨٩ - ١٩٣.

٦٠ - (٢) معالم الفلسفة الإسلامية، محمد جواد مغنية، دار القلم، بيروت، ١٩٧٣م، ص ١١٢.

٦١ - (٣) بداية الحكمة، محمد حسين الطباطبائي، ص ٢٢٨.

لأنّ هذا العلم لو كان حديثاً كان تعالى خالياً منه قبل حدوثه، فيجب أن يكون قديماً، ثم لا يخلو إمّا أن يكون هو ذاته بلا مغايرة أو لا، فإذا كان هو ذاته بلا مغايرة ثبت المطلوب، وإن كان غير ذاته تعددت القدماء وهو باطل.

وأما العلم الحادث فهو حادث بحدوث المعلوم؛ لأنه لو كان قبل المعلوم لم يكن علمًا؛ لأنّ العلم الحادث شرط تحقّقه وتعلّقه أن يكون مطابقاً للمعلوم، وإذا لم يوجد المعلوم لم تحصل المطابقة التي هي شرطه، وأن يكون مقترناً بالمعلوم، وقبله لم يتحقّق الاقتران، وأن يكون واقعاً على المعلوم وقبله لم يتحقّق الوقوع، وهذا العلم الحادث هو فعله ومن فعله وهو من جملة مخلوقاته، وسمّيناه علمًا لله؛ تبعًا لأثمتنا عليهم السلام، واقتداءً بكتاب الله، حيث يقول تعالى: ﴿قَالَ عَلِمَهَا عِنْدَ رَبِّي فِي كِتَابٍ لَا يَضِلُّ رَبِّي وَلَا يَنْسَى﴾ سورة طه: ٥٢، ويقول تعالى: ﴿قَدْ عَلِمْنَا مَا تَنْقُصُ الْأَرْضُ مِنْهُمْ وَعِنْدَنَا كِتَابٌ حَفِيظٌ﴾ سورة ق: ٤﴾^{١٢}(١).

ولا ينسى الأوحّد أن يشير إلى استنتاجاته وتقريراته الفلسفية بالأدلة الثقلية من القرآن الكريم والأحاديث النبوية الشريفة؛ لذلك فإنّ الله سبحانه وتعالى عالم لأنّه أوجد الموجودات على أفضل الوجوه وأحسنها، ونظّمها بشكل محكم، وأودع فيها علمها وأسرارها، وهذا الإتقان الذي أودعه الله في الخلائق يدلّ على علم الله، وهو البرهان الذي أورده الأوحّد، كما أشار كذلك إلى أنّ كلّ موجود سوى الله ممكن، وكلّ ممكن مستند إليه، ومحتاج بشكل مباشر أو بوسائط، ومحمد وآل محمد عليهم أفضل الصلاة والسلام هم الوسائط، فذواتهم إذن علّة لكلّ شيء، والله سبحانه وتعالى يعلم ذاته بالضرورة، والعلم بالعلّة يستلزم العلم بالمعلول.

وهذا الرأي في علم الله سبحانه وتعالى للأحسائي هو مذهب

٦٢ - (١) حياة النفس، أحمد بن زين الدين الأحسائي، ص ١٢.

جميع الإمامية، الذي يشير إليه الشيخ المفيد رحمه الله: «إِنَّ اللَّهَ عَالِمٌ بِكُلِّ مَا يَكُونُ قَبْلَ كَوْنِهِ، وَأَنَّهُ لَا حَادِثَ إِلَّا وَقَدْ عَلِمَهُ قَبْلَ حَدُوثِهِ، وَلَا مَعْلُومٌ وَمِمَّا مَكَّنَ أَنْ يَكُونَ مَعْلُومًا إِلَّا وَهُوَ عَالِمٌ بِحَقِيقَتِهِ، وَأَنَّهُ سَبَّحَانَهُ لَا يَخْفَى عَلَيْهِ شَيْءٌ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ، وَبِهَذَا اقْتَضَتْ دَلَائِلُ الْعُقُولِ وَالْكِتَابِ الْمَسْطُورِ وَالْأَخْبَارِ الْمُتَوَاتِرَةَ عَنِ آلِ الرَّسُولِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ - وَهُوَ مَذْهَبُ جَمِيعِ الْإِمَامِيَّةِ»^{٦٣} (١).

إِلَّا أَنَّ الشَّيْخَ رَمْضَانَ بْنَ إِبْرَاهِيمَ سَأَلَ الشَّيْخَ الْأَوْحَدَ عَنِ تَقْسِيمِ الْعِلْمِ إِلَى قَدِيمٍ وَحَادِثٍ، وَتَسَاءَلَ الشَّيْخَ رَمْضَانَ عَنِ مَصْدَرِ هَذَا التَّقْسِيمِ؛ فَأَجَابَهُ الشَّيْخُ الْأَوْحَدُ مَوْضِحًا: «وَهَذَا التَّقْسِيمُ مِنْ كَلَامِ النَّاطِقِينَ عَنْهُ تَعَالَى عَلَيْهِمُ السَّلَامُ؛ حَيْثُ جَعَلُوا الْعِلْمَ ذَاتَهُ وَهَذَا هُوَ الْقَدِيمُ، وَجَعَلُوا لَهُ عِلْمًا آخَرَ وَهُوَ اللَّوْحُ الْمَحْفُوظُ، كَمَا قَالَ فِي كِتَابِهِ الْعَزِيزِ: ﴿قَالَ فَمَا بَالُ الْقُرُونِ الْأُولَىٰ قَالَ عَلِمَهَا عِنْدَ رَبِّي فِي كِتَابٍ لَا يَضِلُّ رَبِّي وَلَا يَنْسَىٰ﴾ سورة طه: ٥١-٥٢؛ فَجَعَلَ ذَلِكَ الْعِنْدَهُ هُوَ الْكِتَابَ الَّذِي فِيهِ عِلْمُهُ، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿قَدْ عَلِمْنَا مَا تَنْقُصُ الْأَرْضُ مِنْهُمْ وَعِندَنَا كِتَابٌ حَفِيفٌ﴾ سورة ق: ٤، وَأَمْثَالُ ذَلِكَ فِي الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ كَثِيرٌ، وَيَبْنُوا ذَلِكَ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ، وَمِنْهُ قَوْلُ عَلِيِّ بْنِ الْحُسَيْنِ عَلَيْهِمَا السَّلَامُ: «الْعَرْشُ وَالْكَرْسِيُّ بَابَانِ مِنَ الْعِلْمِ»، وَيَبْنِي عَلَيْهِ السَّلَامُ أَنَّ الْعَرْشَ هُوَ الْعِلْمُ الْبَاطِنُ، وَفِيهِ عِلَلُ الْأَشْيَاءِ وَالْكِيفِيَّةُ وَمَظْهَرُ الْبَدْعِ وَالْكَرْسِيُّ هُوَ الْعِلْمُ الظَّاهِرُ، وَهَذَا إِنْ شَاءَ اللَّهُ ظَاهِرٌ»^{٦٤} (١).

وَرِغْمَ هَذَا الْوَضُوحِ فِي تَقْرِيرِ عِلْمِ اللَّهِ سَبَّحَانَهُ وَتَعَالَى إِلَّا أَنَّ الْبَعْضَ مِنَ الْفَلَسَفَةِ ذَهَبُوا فِي عِلْمِ اللَّهِ إِلَى مَجْمُوعَةٍ مِنَ الْأَقْوَالِ الَّتِي لَا تَتِمَّاشِي مَعَ مَذْهَبِ الْإِمَامِيَّةِ^{٦٥} (٢):

أَوَّلًا: عِلْمُ اللَّهِ بِالْكَلِّيَّاتِ بِأَنْفُسِهَا، وَعِلْمُهُ الْجَزَائِيَّاتِ بِمَا هِيَاتِهَا؛ لِأَنَّ

٦٣ - (١) أوائل المقالات، محمد بن محمد النعمان (الشيخ المفيد)، دار الكتاب الإسلامي، بيروت، لبنان، ١٤٠٣ هـ/١٩٨٣ م، ص ٥٧.

٦٤ - (١) رسائل الحكمة، أحمد بن زين الدين الأحسائي، دار العلوم، بيروت، لبنان، ١٩٩٠، ١٤١٠ م، ص ٢٣٤.

٦٥ - (٢) فلسفات إسلامية، محمد جواد مغنية، دار الجواد، بيروت، لبنان، ١٩٩٣ م، ص ٥٥٦.



الكليات ثابتة لا تتغيّر، أما الجزئيات فهي متغيّرة.

ثانيًا: علم الله بذاته، ولا علم غيره؛ لأنّ العلم هو ارتسام صورة المعلوم في ذات العالم، ولتعدّد الموجودات، يلزم من علم الواجب بها تجمّع الصور الكثيرة المختلفة في ذاته.

ثالثًا: أنّ الله لا يعلم شيئًا أبدًا، لا ذاته ولا غيره، سواء أكان ذلك الغير كليًا أو جزئيًا ذهنيًا أو خارجيًا؛ لأنّ العلم يستدعي التغيرات بين العالم والمعلوم، ولا مغايرة في واجب الوجود.

ولقد ناقشت الفلسفة الإسلامية تلك الأقوال السابقة في علم الله وأثبتت فسادها، فالأقوال التي نفت العلم عن الله، أو التي نفت علمه بالجزئيات، ارتكزت على أنّ علم الواجب كعلمنا نحن متناسية أنّ علمنا يحصل بواسطة الحواس والعقل، أمّا علمه سبحانه وتعالى فهو عين ذاته، كما أنّ علمنا تابع لوجود المعلوم، أمّا المعلوم تابع لعلم الله سبحانه وتعالى، ويبقى علمنا عبارة عن ارتسام الصور بالذهن، أمّا علمه تعالى بها فهي حضورها عنده وانكشافها لديه، وهذا ما ذهب إليه الشيخ الأوحّد عند الإشارة إلى علم الله سبحانه وتعالى.

أما ملّا صدر الشيرازي فينطلق في تحديد موقفه من دلالة مفهوم العلم بشكل شامل، حيث إنّ العلم في منظوره كالوجود سواء بسواء، وعن هذا السبيل يرى صدر المتألّهين الشيرازي أنّ الإله يكون عالمًا بجميع الأشياء بذاته، كتبعية وجود الأمور الأخرى لذاته أيضًا، كما يرى من جهة أخرى أنّ للواجب علمين، أحدهما علم إجمالي، هو كمال ذاته وثابت لذاته في مرتبة ذاته، التي يعبر عنها بالمرتبة الأحدية، والآخر علوم تفصيلية تشمل سائر الجواهر والأعراض^{٦٦} (١).

وناقش العلامة الحلّي في شرح التجريد أدلّة الفلاسفة تلك حيال علم الله، وردّ عليها، كما يرى الشيخ محمد جواد مغنية: «إنّ كلّ موجود

٦٦ - (١) الفيلسوف الشيرازي، جعفر آل ياسين، مكتبة الفكر الجامعي، بيروت، لبنان، ١٩٧٨م، ص ١١٠.



سوى الله فهو ممكن مستند إليه؛ فيكون عالمًا به، سواء أكان جزئيًا أو كليًا، وسواء أكان موجودًا قائمًا بذاته أو عرضًا قائمًا بغيره، وسواء أكان موجودًا في الأعيان أو متعلقًا في الأذهان؛ لأن وجود الصورة في الذهن من الممكنات أيضًا، فيستند إليه، وسواء أكانت الصورة الذهنية صورة أمر وجودي أو عدمي ممكن أو ممتنع؛ فلا يعزب عن علمه شيء من الممكنات ولا من الممتنعات، وهذا برهان شريف قاطع»^{٦٧} (٢).

ونعود إلى استدلالات الشيخ الأوحى وتقريراته في علم الله، بعد أن أطال الفلاسفة الحديث ونقضوا، وأبرموا العديد من الأدلة والبراهين، وجعلوا من معرفة علم الله أمرًا صعبًا على الأفهام والتفهم^{٦٨} (٣): «إنه تعالى عالمٌ بكلِّ معلوم وقادر على كلِّ مقدور؛ لأن نسبة جميع المعلومات والمقدورات في الاحتياج إليه على السواء، وغني ذاته عن كلِّ ما سواه فلا تكون بشيء أولى منها بآخر، ولو كان تعالى عالمًا بشيء دون آخر وقادرًا على شيء دون آخر لاختلفت نسبته إليها، والمختلف أحواله ونسبة حادث متغير تعالى الله عن ذلك علوًا كبيرًا».

وبذلك يمكن القول إنه لو افترض أن الموجودات لم تصدر عن الله؛ لانتج السؤال والاختلاف أن الله عالم بها أو غير عالم؟ ولكن بعد التسليم بأن الله خالق جميع الممكنات وأنه لا يتجدد له علم، وأنه فوق الزمان والمكان فلا مجال لبحث هذا الموضوع في الأصل، بل لا بد من الإيمان بأن الله سبحانه يعلم كل شيء؛ لأن كل شيء صادر عن قوله تعالى: ﴿عَالِمِ الْغَيْبِ لَا يَعْزُبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ وَلَا أَصْغَرُ مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْبَرُ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ﴾، سورة سبأ: ٣.

ولا بد من الإشارة هنا إلى أن رؤية مدرسة آل البيت الحكيمة للحقيقة المحمدية، والعلل الأربع، والمقامات الأربعة، والتفويض - قد ذكرها الشيخ الأوحى في معرض حديثه عن فضائل محمد وآل محمد عليهم السلام في العديد من كتبه وشروحاته، إلا أننا هنا وبحكم منهجنا

٦٧ - (٢) فلسفات إسلامية، محمد جواد مغنية، دار الجواد، بيروت، لبنان، ١٩٩٣م، ص ٥٥٧.

٦٨ - (٣) حياة النفس، أحمد بن زين الدين الأحسائي، ص ١٤.

البحثي وضعناها تحت عنوان واحد؛ بهدف إعطاء صورة إجمالية للمشهد الحكمي للمدرسة طالما أن حديثنا عن آراء المدرسة الحكمة المتعددة.

وسنأتي وبشكل موجز إلى دفاع الشيخ الأوحدي وتلامذته لهذه الآراء إجمالاً، وبالأخص رؤية الشيخ محمد أبي خمسين؛ ذلك لأنّ التفصيل يستدعي أن يكون الكتاب معنياً بالحكمة الإلهية، كما أن التفصيل قد يخرج بنا عن الإطار البحثي الذي رسمناه لهذا الكتاب.

في بيان معنى التفويض لآل البيت دخلت مدرسة آل البيت الحكمية في معارك فلسفية كبرى مع الفلاسفة في إثبات التفويض الشرعي لآل البيت عليهم السلام (الولاية التكوينية)^{٦٩}(١)، وهنا يعتقد الشيخ الأوحدي أنه يأخذ من الشارح المجلسي رحمه الله معنى التفويض، أي اعتقاد الخلائق بقولهم، وإسلام جميع الأمور إليهم حتى يصلحوا خللها في الحياة وفي الممات، ومسلمين معهم عليهم السلام كما سلموا لله تعالى وأمره عارفين إياها، ويؤكد الشيخ الأوحدي هذا المعنى في شرحه للزيارة: «ومفوض في ذلك كله إليكم ومسلم فيه معكم» ما نقله عن السيّد نعمة الله الجزائري في شرح التهذيب «فوضت أمري إليك أي رددته، يقال فوض الأمر إليه تفويضاً إذا رده إليه وجعله الحاكم فيه»^{٧٠}(٢)، وفي شرح الزيارة يؤكد الشيخ الأوحدي هذا المعنى في التفويض بكلمات دقيقة، موجزة، معبرة عن المعنى بدقة: «أقول معنى التفويض في اللغة كما سمعت، وعلى هذا يكون المعنى انتهاء بعد التصديق أو مبالغة فيه أو تفرغاً عليه -إني في استشفاعي إلى الله عز وجل بكم وتقربني بكم إليه وتقديمي لكم أمام طلبتي وحوائجي وإرادتي في كل أحوالي وأموري وكذا في ما ذكر قبل ذلك، مفوض وراذ في ذلك كله إليكم، أي أنني رضيت بكم حاكمين في كل أحوالي وأموري وبحكمكم في جميع ذلك كله؛ لأنني مؤمن بسرّكم وعلايتكم،

٦٩ - (١) راجع كتابنا (آخر الفلاسفة) ص ٢٥١-٢٦٢، و(أول المجتهدين) ص ١٠٥.

٧٠ - (٢) راجع كتابنا (آخر الفلاسفة، ج ٣، ص ١٥٣.

وشاهدكم وغائبكم، وأولكم وآخركم، أو بسبب إيماني هذا وأن مقتضى إيماني هذا واستقامتي عليه، ولا أشك ولا أرتاب، تفويض جميع أموري وجميع أحوالي ممّا قضى لي وعليّ، ومما يراد فيّ، وممّا خلقت له إليكم مسلم جميع ذلك إليكم ولكم تسلماً..»^{٧١}(١).

أشرنا سالفاً إلى أنّ رؤية الشيخ الأوحّد للحقيقة المحمدية، والعلل الأربع، والمقامات الأربعة، والتفويض، قد ذكرها الشيخ الأوحّد في معرض حديثه عن فضائل محمد وآل محمد في العديد من كتبه وشروحاته، وقد وضعناها تحت عنوان (حكمة أبي خمسين) طالماً أنّ حديثنا عن مدرسة آل البيت الحكّمية.

وسنأتي وبشكل موجز عن دفاع الشيخ الأوحّد وأبي خمسين لهذه الآراء إجمالاً؛ ذلك لأنّ التفصيل يستدعي أن يكون الباحث مشتغلاً بالحكمة الإلهية أو علم الفلسفة، كما أنّ التفصيل يجب ألا يخرج بنا عن الإطار البحثي الذي رسمناه لهذا الكتاب، بل يستدعي اتخاذ موقف معرفيّ واضح من الشيخ أبي خمسين وآرائه الحكّمية، ونحن نوكل ذلك للمشتغلين بهذه العلوم، على أنّ الدارسين المتخصّصين ينبغي لهم أن يفرّدوا مواضيع دقيقة لكل واحد من العناوين الحكّمية الهامة التي أدلى بها الشيخ الأوحّد وتلامذته فيها بدلّوهم.

ولقد نفى الشيخ الأوحّد تهمة الغلو عن نفسه، ودافع عن آرائه بمنطق علمي، مؤكّداً أنّ الأئمة الأطهار عليهم السلام ليسوا سوى محالّ مشيئة الله وواسطته العامة، وأنّهم إنّما يفعلون كلّ ذلك بأمر من الله سبحانه وتعالى: «وأوصيك وصية ناصح ألا تستغرب هذه الأشياء أو تنكرها، فإنّنا لا نريد بذلك أنّهم عليهم السلام فاعلون أو خالقون أو رزاقون، بل نقول: إنّ الله سبحانه وتعالى هو الخالق والرازق، وهو الفاعل لما يشاء وحده عز وجل، لم نجعل له شريكاً في شيء، إلا أنّنا نقول: إنّ الله سبحانه لا يفعل شيئاً بذاته؛ لتكرّمه وتنزّهه عن المباشرة، وإنّما

٧١ - (١) شرح الزيارة الجامعة، أحمد بن زين الدين الأحسائي، طبعة حديثة، ج ١، ص ١١٢.

يفعل ما يشاء بفعله وبمفعوله من غير تشريك، بل هو الفاعل وحده، أمّا فعله للشيء بفعله فهو أنّه إذا أراد شيئاً كان ما أراد كما أراد من غير حركة، ولا ميل، ولا انبعاث، ولا تفكّر، ولا رويّة، وليس معه شيء يفعل به ما يفعل زائد على فعله لما فعل، إذ ليس شيء غير ذاته المقدّسة وفعله ومفعوله، فلا يصحّ عليه إطلاق الشّيئية إلا ذاته ثم فعله شيء بشيئية ذاته، أي فعله إنّما هو شيء بذاته تعالى، ومفعوله إنّما هو شيء بفعله، وأمّا مفعوله فهو تعالى يفعل بما شاء من مفعولاته ما شاء من صنعه، مثلاً: إذا أراد أن ينبت الحنطة خلق الماء كذلك، وخلق زيدها مثلاً يزرعها، وخلق لزيد جميع ما يتوقّف عليه عمله من القوى والعلوم، وتسليطه على البذر والماء والأرض، فإذا ألقى البذر في الأرض وسقاه، كما علّمه الله وألهمه أنبت الله سبحانه بهذه الأشياء التي هي مفعولاته ما شاء من صنعه، فقال تعالى: ﴿أَفَرَأَيْتُمْ مَا تَحْرُثُونَ أَأَنْتُمْ تَزْرَعُونَهُ أَمْ نَحْنُ الزَّارِعُونَ﴾ سورة الواقعة: ٦٣ - ٦٤، والله سبحانه هو الزارع وحده من غير تشريك...»^{٧٢}(١).

ويناقد الشيخ الأوحّد العلل الأربعة من خلال شرحه لمفهوم الشفاعة؛ حيث يرى أنّ الشفاعة نوع من التصرف في أمر الحساب والجنة؛ لذلك فإنّ الأئمة عليهم السلام لهم هذه الولاية العامة على كلّ شيء على اعتبار أنّ الله سبحانه وتعالى جعل إياب الخلق إليهم، كما تواترت الأخبار، إلا أنّ المنكرين - كما يرى الشيخ الأوحّد - جاء إنكارهم نتيجة عدم احتمالهم لأمر آل البيت؛ لأنّ أمرهم صعب مستصعب، ولأنّ عقولهم لم تتأدّب بأداب آل البيت، ويدافع الشيخ الأوحّد عن جعل أمور الخلق بيد الأئمة بأنّه ليس تفويضاً: «... كلّ من تتبّع آثار الفريقين وجد هذا المعنى في الأحاديث من الطرفين قد ملأ الخافقين، فلمّا خلقهم وجعلهم أولياء أمور الخلق كلّهم، وأولى بهم من أنفسهم فوض أمور الخلق إليهم، وليس معنى هذا التفويض رفع يده واستقلالهم بالخلق؛ لأنّ هذا شرك بالله تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً، ولكنّ معناه ما

٧٢ - (١) شرح الزيارة الجامعة، أحمد بن زين الدين الأحسائي، طبعة حديثة، ج ٣، ص ١٥٣.

ذكرناه سابقاً في مواضع متعدّدة من أنّ معناه أنّ الله سبحانه خلقهم له، فلم يجعل لهم مشيئة غير مشيئته ولا إرادة غير إرادته؛ لأنّه تعالى جعلهم محالّ مشيئته وألسنة إرادته، كما قال تعالى في حقهم: ﴿لَا يَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ وَهُمْ بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ﴾ سورة الأنبياء: ٢٧^٣(١).

ودافع الشيخ محمد بن حسين أبو خمسين وتلامذة الأوحده عن آراء أستاذهم، ونفوا تهمة الغلو التي ألصقتها القوم بهم، وذهب السيّد كاظم الرشتي أبرز تلامذة الشيخ الأوحده، والشيخ حسن الشهرير (بكوهر) وغيرهما من تلاميذه في الدفاع عن آراء أستاذهم بعدما تبوّها جميعاً، وخاصة تلك الآراء المتعلقة بالأئمة الأطهار عليهم السلام، يقول الرشتي «إنّ خاتم النبيين مبدئ وجود الكائنات وكلّ الذرات الوجودية بتوسّطه، وجدوا كأشعة الشمس بالنسبة إليها، فجميع الأنوار المنبثة في الأشعة جزء من سبعين جزءاً من نور الشمس»^{٧٤}(٢)، وهو يشير إلى العلل الأربع التي ذكرها الشيخ الأوحده في شرح الزيارة.

ويعود الرشتي ليؤكّد مفهوم التفويض الذي تحدّث فيه الشيخ بقوله: «وأما الرزق فهو خير ينتفع به صاحب الحياة في حياته، وليس لغير الله سبحانه، وغير رسول الله وأهل بيته أن يمنع الرزق من شخص صاحب الحياة»^{٧٥}(٣).

واعتبر الرشتي أنّ تلك فضائل الأئمة ويجب على المؤمنين نشرها، وانتقد من يكتّم فضائلهم: «...وهؤلاء كتموا فضائلهم ومناقبهم، حتى أنكروا الزيارة الجامعة الكبيرة المروية عن الهادي عليه السلام، التي قام عليها إجماع الشيعة أن تكون منهم، ومحو فقرات من الزيارة؛ محتجّين بأنّ الناس يضلّون إذا رأوا هذه الفقرة، ومنعوا أن يقرؤوها، فصاروا هم أعلم من الله..»^{٧٦}(١).

٧٣ - (١) شرح الزيارة الجامعة، أحمد بن زين الدين الأحسائي، طبعة حديثة، ج ٤، ص ٥٧.
٧٤ - (٢) أصول العقائد، كاظم الرشتي مكتبة الحائري، الطبعة الأولى، ١٤٢٩هـ/ ٢٠٠٨م، ص ٢٣٠.
٧٥ - (٣) المرجع السابق، ص ٢٧٥.
٧٦ - (١) دليل المتحرّرين، كاظم الرشتي، جامع الإمام الصادق، الكويت، ط ٣، ١٤٢٣هـ/ ٢٠٠٢م، ص ٩٥.

ولعلَّ أوَّل المجتهدين (الميرزا موسى الحائري) هو من أبرز المدافعين عن مدرسة آل البيت الحكيمية من المتأخرين بكتابه (إحقاق الحق)، الذي تناول فيه كلَّ الإشكالات الفلسفية التي أثيرت ضدَّ الشيخ الأوحد، وناقشها بعمق وتحليل فلسفي عميق، يقول في نقاشه للعلل الأربع: «إنَّ من المعلوم أنَّه لا يوجد شيء في الأرض ولا في السماء إلا بعلل أربع: علَّتَان داخلتان، وهما: مادة الشيء، وصورته، وعلَّتَان خارجتان: العلة الفاعلية للشيء، والعلة الغائية له، والفائدة منه السابقة على الشيء تصوُّراً واللاحقة له وجوداً، وبفقدان أحدهما لا يتكوَّن الشيء ولا يدخل إلى عرصة الوجود...»، ثم يؤكِّد الحائري على أنَّ العلل هم الأئمة الأطهار (من كلمات الشيخ الأوحد من كون الأئمة الطاهرين واسطة وآلةً لفعل الله سبحانه في إيجاد الأشياء)^{٧٧}(٢).

ويرى الميرزا موسى الحائري أنَّ رأي المدرسة الحكيمية في التفويض هو الموقف الوسط، وأكَّد أنَّ القسم الأوَّل أخذوا طريق الإفراط؛ فغلوا في حقِّ الأئمة عليهم السلام، أمَّا القسم الثالث فإنَّهم من أهل التفريط، وكلا القسمين من الهالكين ومن الفرق الضالة، أمَّا القسم الأوسط «فهم استقرُّوا على النمط الوسط والجادة الوسطى، ووقفوا على معرفة مواليهم على ما صدر منهم في النفي والإثبات، ولم يتعدَّوا طورهم في طريق النجاة»^{٧٨}(١).

ويرى كلَّ من كتب من تلامذة الشيخ الأوحد أنَّه وتلامذته بريئون من كلِّ التهم الباطلة التي وُجِّهت ضدَّهم، وطريقتهم أصولية اثني عشرية، يقول الميرزا علي الحائري: «إنَّ الشيخ أحمد وجميع تلامذته حتى السيِّد كاظم الرشتي رحمه الله ما توجد عندهم طريقة خاصة، ولا مذهب مخصوص، وطريقتهم ليست إلاَّ طريقة الإمامية الاثني عشرية لا غير، وكلَّهم منزَّهون عن العقائد الباطلة حسب ما تفحصنا لا مزيد

٧٧ - (٢) إحقاق الحقِّ، موسى الحائري، منشورات جامع الإمام الصادق، ط٤، الكويت،

١٤٢١هـ/ ٢٠٠٠م، ص ١٧١-١٧٣.

٧٨ - (١) إحقاق الحقِّ، موسى الحائري، منشورات جامع الإمام الصادق، ط٤، الكويت،

١٤٢١هـ/ ٢٠٠٠م، ص ٢٨٠.

عليه^{٧٩}(٢).

وقام الميرزا علي الحائري بتحقيق معنى الغلو في نهاية كتابه (عقيدة الشيعة)، وردّ فيها مفصلاً على اعتراضات ومضادات السيّد محسن الأمين العاملي في ترجمته للشيخ أحمد الأحسائي، وفي دفاعه هذا أشار إلى أنّ «كلّ ما سوى الله تعالى حادث ممكن، وأنّ الله جلّ وعلا هو الواجب القديم»، وأوضح أنّ الغنى والاستقلال عين ذاته، كذلك الفقر والاحتياج ذاتي الممكن لا يفارقه بوجه فهو مفتقر أبداً حدوداً وبقاءً، ومحتاج إلى بارئه في جميع الأحوال، وكذلك هم الأئمة عليهم السلام، وأكد أنّه لا يمكن ولا يعقل من حادث أن يكون شريكاً لله تعالى ولو في جزئي، لذلك فإنّ الشراكة أو التفويض ولو في أمر جزئي فهو غلو وإفراط، ونفى قول الأوحّد بأنّ الأئمة الأطهار وكلاء من القديم في أمر من الأمور، ولا شيء نظير الوكالة أيضاً، وأنّ الأئمة عليهم السلام لا يمكن لهم الاستغناء عن خالقهم، «فجميع ما يصدر منهم من معجزات وخوارق العادات والتصرّفات في الكون، وفي أركان الوجود فهي أفعال الله تعالى، وهم مظاهر وحوامل لها كما أنّ البلّور مظهر الشمس...»^{٨٠}(١).

ثم توالى الدفاعات عن مدرسة آل البيت الحكيمية، تنفي عنها تهمة الغلو في آل البيت، وتؤكد مظلوميتها مما نسب إليها، ولعلّ من أهم تلك الكتب والمقالات ما كتبه الميرزا حسن الإحقاقي (الدين بين السائل والمجيب)^{٨١}(٢)، والميرزا عبد الرسول الإحقاقي (حقائق الشيعة وتوضيح الواضحات)، ومحمد حسنين السابقي (عبقريّة الأوحّد) ١٣٩٣هـ، والخطيب علي الشيخ إبراهيم إسماعيل (حقائق)، الكويت ١٩٦٥م، والأستاذ صالح السليمي (أضواء على مدرسة الشيخ الأوحّد)، الكويت، وغيرهم كثير.

٧٩ - (٢) عقيدة الشيعة، علي الحائري الإحقاقي، ب م، ١٩٨٦م، ص ٨٩.

٨٠ - (١) عقيدة الشيعة، علي الحائري الإحقاقي، ب م، ١٩٨٦م، ص ١١٨ - ص ١٢٤.

٨١ - (٢) المرجع السابق، ص ١٠٧ - ١٢٥.

وفي معنى الحقيقة المحمدية، وضّحت المدرسة الحكيمية دلالات هذا المعنى في العديد من بحوثها العقائدية حين تتعرض لمقام النبوة والإمامة.

أشرنا سابقاً إلى الآراء الحكيمية التي تميّزت فيها المدرسة، منها رأيها الحكمي في مقام النبوة، وبيان الشيخ الأوحّد لما يجب على المكلفين الاعتقاد به من إرسال الرسل^{١٢} (١)، وأنّ نبيّ هذه الأمة هو محمد بن عبدالله صلى الله عليه وآله وسلم، وهو خاتم النبيين فلا يكون نبي بعده ولا معه، وللنبي الأكرم معاجزه العديدة التي صدّق الله بها دعواه، منها: انشقاق القمر، ونبع الماء من بين أصابعه، وإشباع الناس بطعام يسير.

ولكن على المستوى الفلسفي فإنّ هناك حقيقة أخرى للنبي الأكرم صلى الله عليه وآله عند المدرسة: «... وإنّما يقال في العلة الفاعلية على نحو ما ذكرنا سابقاً من كون الفاعلية هي المثل المتقوم بالفعل، فإنّ المثل الذي هو اسم الفاعل، كالقائم لزيد هو المشية المتقومة بالحقيقة المحمدية تقوّم ظهور، بمعنى أنّ المثل هو المشية حال تعلّقها بالحقيقة المحمدية، كما تقول: إنّ السراج هو النار حال تعلّقها بالدهن، والأولى في التحقيق أن يقال: إنّ الحقيقة المحمدية حال تعلّق المشية بها وربطها بها، كما تقول: إنّ السراج هو الدهن حال تعلّق المشية بها المعبر عنه في الآية الشريفة (آية النور) بمسّ النار في قوله تعالى: ﴿يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ﴾ سورة النور: ٣٥، والمراد من هذا السراج المضيء للغير الذي تعلّقت به الأشعة وتوهّجت إليه في عبادتها له بافتقارها إليه في تلقي وجوداتها منه، إنّما هو في الحقيقة الدهن الذي تكّلس بحرارة النار ويوستها، حتى كان دخاناً فانفعل بالضياء عن مسّ النار التي هي الحرارة واليبوسة فمسّها هو فعلها أبرزته بنفسه لا من ذاتها؛ لأنّه ليس جزءاً منها، وهذا هو الذي أشار إليه تعالى ﴿يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ﴾،

٨٢ - (١) حياة النفس، أحمد بن زين الدين الأحسائي، ص ٣٩-٤٠.

ولم يقل يكاد النار تضيء ولو لم تتعلّق بالدهن؛ لأنّ الاستنارة إنّما هي من الدهن وذلك لشدّة صفائه وبياضه، قال يكاد يضيء لكنه لا يضيء إلاّ بمسّ النار، فالدهن هو المضيء بمسّ النار...»^{٨٣}(١).

ويوضّح الشيخ الأوحّد حقيقة الزيت وحقيقة آل محمد بقوله: «... والحقيقة المحمدية هي الزيت المستضيء بمسّ النار، والزيت هو الوجود المخترع بالفعل فاستضاءته بهذا الاختراع، فالحقيقة المحمدية بالاختراع هو المثال المشار إليه، فكما أنّ السراج الظاهر الذي بيّن لك أنّه في الحقيقة هو الدخان المنفعل بالاستضاءة عن مسّ النار هو علّة وجود الأشعة، بل لا وجود لشيء منها إلاّ بكونه صورة ظهور ذلك السراج، وهو العلّة الفاعلية لتلك الأشعة، كذلك الحقيقة المحمدية بالاختراع أي بكونها محلاً له هي علّة وجود الأشعة، وهي العلّة الفاعلية لها؛ لأنّ الحقيقة المحمدية بذلك هي اسم الفاعل فهي كالقائم بالنسبة إلى زيد من حيث هو فاعل القيام، وهذا آية معرفة ذلك للعالمين بكسر اللام...»^{٨٤}(١).

وفي بيان العلل الأربع دافعت مدرسة آل البيت الحكّمية عن هذه الآراء الحكّمية بالدليل والحجة والبرهان، وقد انبرى علماء المدرسة لإثبات تلك الآراء الحكّمية، منذ الشيخ الأوحّد رضوان الله عليه وانتهاءً بمرجعنا أبي خمسين.

وعندما يشرح الأوحّد عبارة «مؤمنٌ بإيابكم مصدّقٌ برجعتم» من الزيارة الجامعة يرى أنّ الأئمة عليهم السلام هم علل الوجود التامة: «إنّ كلّ واحدٍ منهم عليهم السلام علّة تامّة لوجود العالم في صدوره وفي بقائه، فهو بالله علّة فاعلية، وهم بأمره يعملون، وشعاعهم بمشيئة الله علّة مادية، ومن آياته أن تقوم السماء والأرض بأمره، وظلّ هياكلهم بإرادة الله علّة صورية، وأحوالهم بقدر الله علّة غائيّة، ولا ينافي ما قلنا في منتخب بصائر سعد عن أبي عبد الله عليه السلام في الحديث

٨٣ - (١) شرح الزيارة الجامعة، أحمد بن زين الدين الأحسائي، طبعة حديثة، ج ٣، ص ٢٩٨.

٨٤ - (١) شرح الزيارة الجامعة، أحمد بن زين الدين الأحسائي، طبعة حديثة، ج ٣، ص ٢٩٩.

القدسي إلى أن قال تعالى: «... يا محمد عليُّ أوَّل من أخذ ميثاقه من الأئمة -عليهم السلام- يا محمد، عليُّ آخر من أقبض روحه من الأئمة -عليهم السلام- الحديث..»^{٨٥}(٢).

وفي مكان آخر من شرح الزيارة يعود الشيخ الأوحديشير إلى أن الأئمة عليهم السلام تراجعهم لوعيِّ الله الوجودي الكوني والوجودي التشريعي؛ لذلك فإنهم: «علل جميع الخلائق، العلل الفاعلية؛ لكونهم محالَّ مشيئة، وألسنة إرادته، وأيدي إيجاده وإبداعه، والعلل المادية؛ لكون مواد الأشياء من فاضل أنوارهم وأشعة وجوداتهم، والعلل الصورية؛ لكون صور الأشياء من فاضل هيآت ذواتهم وحركاتهم وإقبالاتهم وإدباراتهم للمؤمن على نحو التوالي والموافقة، وللكافر على نحو خلاف التوالي وعلى المخالفة، والعلل الغائية؛ لكون الأشياء ألسن الثناء عليهم»^{٨٦}(١).

ويبين السيّد الرشتي فضائل الأئمة عليهم السلام التي يجب على المؤمنين نشرها، وأنكر على من يكتمها: «وهؤلاء كتموا فضائلهم ومناقبهم، حتى أنكروا الزيارة الجامعة الكبيرة المروية عن الإمام الهادي عليه السلام التي قام عليها إجماع الشيعة أن تكون منهم»^{٨٧}(٢)، كما أشرنا قبل قليل أيضاً إلى دفاع الميرزا موسى الحائري عن الشيخ الأوحدي في كتابه (إحقاق الحق) الذي تناول فيه كل الإشكالات الفلسفية التي أثيرت ضدَّ الشيخ الأوحدي، وناقشها بعمق وتحليل فلسفي عميق ومنها العلل الأربع.

ونعطي مثلاً واحداً لحكمة مرجعنا أبي خمسين: العلل الأربع التي استعرضناها من كتب الشيخ الأوحدي وكتب أعلام المدرسة، فنجد أن الشيخ الكبير محمد بن حسين أبا خمسين يفردها كتاباً خاصاً، يُعدّ

٨٥ - (٢) المرجع السابق، ج٣، ص٦٥.

٨٦ - (١) شرح الزيارة الجامعة، أحمد بن زين الدين الأحسائي، طبعة حديثة، ج٣، ص٢٥٥.

٨٧ - (٢) دليل المتحريين، كاظم الرشتي، جامع الإمام الصادق، الكويت، ط٣، ١٤٢٣هـ/٢٠٠٢م، ص٩٥.



من أهم كتبه (نجاة الهالكين) في حصر العلل الأربع في محمد وآل محمد عليهم السلام.

وخلافاً للفلاسفة القدماء؛ فإنَّ الشيخَ أبا خمسين لا يجوز إطلاق العلة على الله سبحانه وتعالى؛ فليس من قواعد مدرسة آل البيت الحكيمة أنَّ الله سبحانه هو علة العلل.

ويرى شيخنا أبو خمسين أنَّ أسماء الله تعالى توقيفية فلا يجوز لأحدٍ أن يسميه من تلقاء نفسه؛ للأخبار المستفيضة عن آل البيت عليهم السلام، فلا أحد يعلم من الفلاسفة أو العلماء ما هو الاسم اللائق لله جل جلاله، بل إنَّ العلة هو إطلاقها على الخلق لا على الخالق، كما هو صريح قوله عليه السلام في دعاء العديلة «كان عليماً قبل إيجاد العلم والعلة».

وإذا ثبت عدم ورودها على لسان المعصوم؛ ظهر عدم جواز إطلاقها على الخالق.

ويستدل مرجعنا أبو خمسين بعدم جواز إطلاق العلة على الخالق بقاعدة حكمية ثابتة، فالعلة قسمان: تامة وناقصة، فإذا كانت الأولى يستحيل تخلف المعلول عنها، وإلا لكان لا معنى لوصفها بالتمام، فلو كان الله عز وجل علة الكائنات لما جاز تخلفها عنه، ولزم أن يكون مقترناً بها ومتصلاً بها ويكون محلاً لها وهذا باطل.

وإذا كانت الثانية للزم استكمالها واحتياجه إلى ممدٍ يعينه ويمدّه، وذلك يستلزم حدوثه، فظهر من هذا التقرير التام أنَّ كونه تعالى علة لغيره باطل عاطل أي علة كانت^{٨٨}(١).

ومن حكمة الشيخ أبي خمسين المستمدة من مدرسة آل البيت الحكيمة إثباته بطلان كون ذات الله تعالى علة غائية للموجودات، ويرى أبو خمسين بطلان أنَّ الحق علة غائية بكل معنى، فلو جاز ذلك لجاز

٨٨ - (١) نجاة الهالكين، محمد حسين أبو خمسين، ص ٤٩.



كونه غاية تنتهي إليه الأشياء وأنه تعالى مرجع ما في الأرض والسماء، وإذا صحّ ذلك في حقّه تعالى ثبت كونه متجانساً لها ومماثلاً لها وأنه من سنخها لثبوت عدم انتهاء الشيء إلى الشيء إلى مغايره ومخالفه، وعدم عوده إلى مباينه ومضاده، بل يعود إلى جنسه وينتهي إلى شكله «انتهى المخلوق إلى مثله وألجأه الطلب إلى شكله».

أمّا المعنى الآخر فلظهور أنّ الغائية ما لأجلها الفعل والإيجاد، فهي لا توجد ولا تتحقّق إلاّ بعد الفعل؛ لأنّه لأجل حصولها، فلو كانت حاصلّة لما احتيج إلى الفعل، وهنا يقرّر الشيخ أبو خمسين «فعلى القول بكونه غاية بهذا المعنى يلزم تأخّره تعالى عن أفعاله، وهذا بطلان بمكان لظهور عدم النفع في التقدّم الصوري»^{٨٩}(١).

فالصحيح في حكمة أبي خمسين هو أنّ الأسماء هي للظهورات لا للذات؛ لثبوت عدم الاسم لها، لكنّ المقصود من الأسماء عند الإطلاق هي الذات لا غير، وإذا ثبت أنّ الذات ليس لها اسم ولا صفة بل هما لظهوراته، وظهوره تعالى صفته ودليله، فكما أنّه تعالى مجرد في غاية التجردّ ومنزّه عن جميع صفات الإمكان، وبسيط في أعلى مراتبها، فكذلك صفته ودليل عنوانه يجب أن يكون مجرداً واحداً بسيطاً في أعلى مراتب التجريد والبساطة، بحيث لا يكون فيه تعدّد وكثرة واختلاف وكلّية وجزئية وعموم وخصوص إلاّ بحسب المرايا والمظاهر التي يتصف بها وبغيرها من الأحوال^{٩٠}(٢).

ومن آراء مرجعنا أبي خمسين الحكمية: حصر العلة الفاعلية والمادية في محمد وآل محمد عليهم السلام؛ حيث يحشد الشيخ أبو خمسين في كتابه (نجاة الهالكين) عشرات الآيات والأحاديث ومقتطفات من زيارات الأئمة عليهم السلام تؤكد على أنّ محمداً وآله هم الوساطة، وأنّه سبحانه يفعل بهم، مثل ما رواه المجلسي في تحفة الزائر «مَنْ أَرَادَ اللَّهُ بَدَأَ بِكُمْ، بِكُمْ يُبَيِّنُ اللَّهُ الْكُذِبَ، وَبِكُمْ يُبَاعِدُ اللَّهُ الزَّمَانَ الْكَلْبَ،

٨٩ - (١) نجاة الهالكين، محمد حسين أبو خمسين، ص ٥٦.

٩٠ - (٢) المرجع السابق، ص ٦١.

وَبِكُمْ فَفَاحَ اللَّهُ وَبِكُمْ يَخْتِمُ اللَّهُ، وَبِكُمْ يَمْخُو مَا يَشَاءُ وَيُثَبِّتُ، وَبِكُمْ يَفُكُ الدَّلَّ مِنْ رِقَابِنَا، وَبِكُمْ يُدْرِكُ اللَّهُ وَتَرَةً كُلِّ مُؤْمِنٍ يَطْلُبُ بِهَا، وَبِكُمْ تَنْبُتُ الْأَرْضُ أَشْجَارَهَا، وَبِكُمْ تُخْرِجُ الْأَرْضُ ثِمَارَهَا، وَبِكُمْ تُنَزِّلُ السَّمَاءُ قَطْرَهَا وَرَزَقَهَا، وَبِكُمْ يَكْشِفُ اللَّهُ الْكَرْبَ، وَبِكُمْ يُنَزِّلُ اللَّهُ الْغَيْثَ، وَبِكُمْ تُسَبِّحُ الْأَرْضُ الَّتِي تَحْمِلُ أَبْدَانَكُمْ وَتَسْتَقِرُّ جِبَالُهَا عَنْ مَرَاسِيهَا إِرَادَةَ الرَّبِّ فِي مَقَادِيرِ أُمُورِهِ تَهْبِطُ إِلَيْكُمْ وَتَصْدُرُ مِنْ بِيُوتِكُمْ وَالصَّادِرُ عَمَّا فَصَّلَ مِنْ أَحْكَامِ الْعِبَادِ»^{٩١}(١).

وفي دعاء العشاء في شهر رمضان «اللَّهُمَّ أَشَدُّ بِهِ أَرْزَنَا، وَاقْضِ بِهِ حَوَائِجَنَا، وَأَنْجِحْ بِهِ طَلِبَتَنَا، وَفُكِّ بِهِ أَسْرَنَا، وَبَيِّضْ بِهِ وُجُوهَنَا».

ومن خلال استعراضه للعديد من الأدلة القرآنية والأحاديث الشريفة، يقرّر الشيخ أبو خمسين: «أنّ الأدعية والزيارات مشحونة بأنّ محمداً وآله هم الواسطة، وأنّه سبحانه يفعل بهم، وأمّا كونهم عليهم السلام علّة ماديّة؛ فلأنّ كلّ ما في الكون من أشعة أنوارهم ومظاهر أسرارهم، ومن عكوسات ظلالهم وأنوارهم، ومن مبدأ أصوات خطاباتهم في تسيّحاتهم، فمواد الأشياء الداخلة في حيّز الإمكان والأكوان من أشعتهم المنفصلة من أنوارهم»^{٩٢}(٢)، بل إنّ مرجعنا أبا خمسين حصر العلة الغائيّة والصوريّة بالحقيقة المحمديّة، بعد أن حصر العلة الفاعليّة والماديّة فيهم عليهم السلام كما بيّنا.

ويوضّح الشيخ أبو خمسين معنيين عند استدلاله على كون محمد وآله علّة غائيّة للموجودات:

الأولى: أنّ الموجودات بأسرها خلقت لأجلهم ولمنافعهم.

والثانية: أنّ مرجع الخلائق إليهم، وحسابهم عليهم، كما أشار إليه تأويل

٩١ - (١) نجاة الهالكين، محمد حسين أبو خمسين، ص ٧٦.

٩٢ - (٢) المرجع السابق، ص ٧٧.



قوله تعالى: ﴿وَأَنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ الْمُنتَهَىٰ﴾ سورة النجم: ٩٣ (١) ٤٢.

ويرى الشيخ أبو خمسين عدم جواز كون الذات المقدسة علّة فاعلية ومادّية وغائيّة للمخلوقات؛ والسبب لمنافاة العليّة مقام الصمد، ولمنافاة العليّة مقام الأزل، فالله خالق الموجودات، وساحة عزّه أرفع من أن تناله هذه الصفات، وما يجري على المخلوقات لا يجري على الخالق.

ويؤكّد أنّ محمداً وآله هم العلّة الصورية لجميع الكائنات؛ «لأنّها لما كانت مكوّنة من فاضل طينتهم عليهم السلام؛ فصورها من هيآت الأشعة المنفصلة عن أجسامهم؛ لأنّ هذه الأشعة مواد للمخلوقات، والمادة لها هيآت: هيأة بحسب الفطرة الأولى التي خلق الله كلّ موجودٍ عليها، وهيأة بحسب الفطرة الثانوية التي يقع فيها التغيير بحسب السعادة والشقاوة، ومعاملة كلّ بفعله الصادر عنه بالاختيار، وفعله عمله، وعمل الشيء أم الشيء، ولذا ورد: «السعيد من سعد في بطن أمّه، والشقي من شقي في بطن أمّه»، أي عمله المتلبّس به»^{٩٤} (١).

ومن خلال حكمة الشيخ أبي خمسين يظهر لنا هذا التماسك القوي في آراء مدرسة آل البيت الحكّمية، فمرجعنا أبو خمسين لا يتعد عن رأي المدرسة في بيان مراتب آل البيت عليهم السلام، ألا وهي مقام البيان، ومقام المعاني، ومقام الأبواب، ومقام الإمامة.

فالأول: مقام البيان، «هو المعبر عنه في أحاديثهم وأدعيتهم وخطبهم بالجلالات، والمقامات، والعلامات التي لا تعطيل لها في كلّ مكان، وهذا المقام لا اسم له ولا رسم؛ لأنّه مقام الحديد المحمّاة بالنار، كما قال عليه السلام: «ظاهري ولأية، وباطني غيب لا يدرك».

والثاني: مقام المعاني، «ومقام الولاية المطلقة، واستواء صفة الرحمانية على العرش، وإعطاء كلّ ذي حقّ حقّه، وسوق كلّ مخلوق

٩٣ - (١) نجاته الهالكين، محمد حسين أبو خمسين، ص ١٠٥-١٠٦.

٩٤ - (١) نجاته الهالكين، محمد حسين أبو خمسين، ص ١١١.



إلى رزقه، فهم في هذه المرتبة ذات الله العليا، وشجرة طوبى، وسدرة المنتهى، وجنة المأوى التي من عرفها لم يشق أبداً، ومن جهلها ضلّ سعيه وغوى، والإضافة في ذات الله العليا اللامية، يعني ملك الله وعبد، ولأجل شرفه نسبه إلى نفسه، كما قال تعالى عن الكعبة «بيتي» في الآية الشريفة: ﴿ أَنْ طَهَّرَا بَيْتِي لِلطَّائِفِينَ وَالْعَاكِفِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ ﴾ سورة البقرة: ١٢٥، وقوله تعالى: ﴿ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي ﴾، سورة الحجر: ٢٩^{٩٥}(١).

والثالث: مقام الأبواب، أي «مقام السفراء إلى خلقه، وهو مقام أوّل باب العقل، والسفارة للخلق في قوس الإدبار والإقبال، والسفارة العامة في جميع الوجودات الشرعية والشرعية الوجودية، وهم عليهم السلام في هذا المقام باب الله الذي لا يؤتى إلاّ منه، كما في الأحاديث المتواترة والزيارات المتظافرة، مثل قوله عليه السلام: «مَنْ أَرَادَ اللَّهَ بَدَأَ بِكُمْ، وَمَنْ وَحَدَهُ قَبْلَ عَنكُمْ، وَمَنْ قَصَدَهُ تَوَجَّهَ بِكُمْ»^{٩٦}(٢).

والرابع: مقام الإمامة الظاهرة للناس، فمنزلتهم في هذا المقام هو «قطب الوجود وسرّ الشاهد المشهود؛ لأنّهم غوثه في البلاد، وعينه في العباد، وحفظه الشريعة والوارد، وبهم تقوم السموات والأرض، ولولا وجودهم في هذا العالم لانهدمت السموات ولساخت الأرضون بمن فيها؛ لأنّهم رحي الموجودات وحقيقة الكائنات، وقد أشار إلى هذا المعنى أمير المؤمنين عليه السلام: «أَمَّا وَاللَّهِ لَقَدْ تَقَمَّصَهَا فُلَانٌ وَإِنَّهُ لَيَعْلَمُ أَنَّ مَحَلِّي مِنْهَا مَحَلُّ الْقُطْبِ مِنَ الرَّحَى»^{٩٧}(١).

وإذا دققنا في حكمة مرجعنا أبي خمسين؛ وجدناها من حكمة مدرسة آل البيت الحكيمية، إلاّ أنّ الشيخ أبا خمسين غاص في أعماقها، واستخرج لآلئ حكمتها، هذا الأمر واضح جليّ في كتب مرجعنا أبي خمسين، ويكفي الرجوع إلى كتابه الشهير (مفاتيح الأنوار في بيان

٩٥ - (١) نجات الهالكين، محمد حسين أبو خمسين، ص ١١٥.

٩٦ - (٢) المرجع السابق، ص ١١٥.

٩٧ - (١) نجات الهالكين، محمد حسين أبو خمسين، ص ١١٧.

معرفة مصابيح الأسرار) حتى ندرك الأسرار التي كشف عنها الشيخ أبو خمسين، فهذا الكتاب اختصَّ بالحكمة الإلهية، ودافع عن مدرسة آل البيت الحكيمية بالأدلة العقلية، مستدلاً بالروايات الشرعية.

ومن أبرز استدلالاته في بيان معنى الظهور وإطلاقاته، وما يتعلّق به في هذا الكتاب، أنّه أكّد أنّ المعنى الجامع للظهور هو أنّ كلّ شيء فيه تفصيل لشيء يقال له ظهور، ويعطي أبو خمسين أمثلة للظهور، كالكرسي، فإنّه ظهور العرش؛ لكونه مقام التفصيل ومحل البروج والمنازل، ويعدّ الولاية ليست إلاّ ظهوراً للنبوّة؛ لأنّها محل للتفصيل ومقام الهداية، بخلاف الولاية التي يرى أبو خمسين أنّ لها الأمر كلّها، لما ذكر أنّها في مقام التفصيل، وهو الإعطاء والمنع، وله إطلاقات، وبعد أن يعدّد الشيخ أبو خمسين الإطلاقات بالتفصيل إلى إيضاح معنى السلسلة الطولية والسلسلة العرضية، ويشرح بدقّة حكيم مبرز الظهورات في السلسلتين الطولية والعرضية، حتى يأتي إلى بيان ظهور الحقيقة، «فأول الظهور بأول المظهر، هو الحقيقة المحمدية - سلام الله عليها - بالمعنى العام الشامل للأربعة عشر عليهم السلام على نهج البساطة، وأول الظهور بثاني المظهر على الاختلاف، هو الملائكة العالين، الذين أخبر الله في القرآن عنهم بقوله: ﴿أَسْتَكْبَرْتَ أَمْ كُنْتَ مِنَ الْعَالِينَ﴾ سورة ص: ٧٥؛ لكونهم ما أمروا بالسجود لآدم عليه السلام، وهؤلاء أربعة ملائكة فوق الكروبيين:

فأعلاهم روح القدس، وهو أول من ذاق من حدائقهم - سلام الله عليهم - الباكورة، وهو القلم الأعلى، والركن الأيمن الأعلى، والنور الأبيض الذي مبدأ الأرزاق منه، وهو العقل الكلّي، وهو ملك له رؤوس بعدد أنفاس الخلائق، وهو الذي يستمدّ منه الأنبياء في أمورهم، وعلومهم وأطوارهم وشؤوناتهم، وهذا هو عقلهم عليهم السلام، وهو أول شجرة نبتت في أرض الممكن.

وثانيهم الروح من أمر الله، الذي أخبر عنه تعالى في كتابه العزيز: ﴿وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِنْ أَمْرِنَا مَا كُنْتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ

وَلَا الْإِيمَانُ ﴿ سورة الشورى: ٥٢، وهو مقام التفصيل بالنسبة إلى روح القدس، وهو الركن الأيمن الأسفل من العرش الأعظم، والنور الأصفر الذي هو مبدأ الحياة، وهو المداد الأول، والماء الذي به حياة كل شيء، وهو الروح الكلّي، فتستمد كل الأرواح منه في جميع مقاماتهم ومراتبهم، وهو روحهم سلام الله عليهم﴾^{٩٨}(١).

ويضيف مرجعنا أبو خمسين حول الروح قوله: «ولنا للروح إطلاقات، مرّة نطلقها على العقل، كما قال صلى الله عليه وآله وسلم: «أول ما خلق الله روعي»، يعني عقلي، للضرورة أنّه مخلوق قبله، ومرّة نطلقه على الفؤاد، لكونه أول موجود، ولأنّ قيام كل ما سواه به، ومرّة نطلقه على النفس والطبيعة، حتى على المثال الذي هو ممدّد لهذا البدن، كما أشار إليه الإمام عليه السلام، حين سُئل عن الروح، قال: «جسم لطيف في مادة أكثف منه»^{٩٩}(٢).

ويؤكد الشيخ أبو خمسين موضحاً منعاً من الالتباس على القارئ «لكنّ إطلاقه أولاً وبالذات على الذي ذكرنا، وعلى باقي المعاني من حيث الاعتبار: فروعاته، وشؤوناته، وأطواره»^{١٠٠}(٣).

٩٨ - (١) مفاتيح الأنوار في بيان معرفة مصابيح الأسرار، محمد بن حسين أبو خمسين، دار المحجة البيضاء، بيروت، ٢٠٠٣م، ج ١، ص ١٩٠ - ١٩٢.
٩٩ - (٢) المرجع السابق، ج ١، ص ١٩٢ - ١٩٣.
١٠٠ - (٣) المرجع السابق، ج ١، ص ١٩٣.

الفصل الثالث

عرفاننا الإسلامي





التصوّف والعرفان:

في عالمنا الإسلامي هناك الكثير من العلماء الكبار، ولكن هناك القليل من العرفاء العظام الذين ساروا في عرفانهم على نهج وطريقة محمد وآل محمد عليهم أفضل الصلاة والسلام، وبالمقابل هناك كثير من المتصوّفين الذين اتخذوا من التقشّف ولبس الصوف طريقًا لكسب العلم، وهناك قليل من الزاهدين الذين اتخذوا من بساطة الحياة طريقة لمساواتهم بالفقراء من أفراد المجتمع الإسلامي.

إلا أنّ البعض من علماء المسلمين خلطوا بين الزهد المشروع، والتقشّف المكروه، وخلطوا بين الأساليب المشروعة لطلب العلم، وتزكية النفس، وبين الأساليب غير المشروعة لكسب المعرفة، وتعذيب النفس، بحجة الوصول إلى الحقيقة.

إنّ الحقيقة التي جاء بها الإسلام تتمثّل في إباحة الطيبات، وتحريم الفواحش ما ظهر منها وما بطن؛ لأنّ الحرام هو الشرك، والكذب، والبغي، والإثم، والفواحش، والعيش على حساب الناس، أمّا العيش في النعيم المباح فلا حرج ولا إثم فيه، وهناك زهد مباح شرعي؛ لمساواة الحاكم بالمحكوم، والغني بالفقير، وهناك تقشّف منبوذ يقوم على التخلّي عن كلّ نعم الحياة وتحريمها، والانزواء عن الناس، والتوقّف عن العمل، والعيش على حساب الآخرين.

إنّ التقشّف المنبوذ هو غير الزهد الممدوح، ويدلّ على ذلك ما ورد في نهج البلاغة، عندما قال العلاء بن زياد الحارثي للإمام علي عليه السلام وكان من أصحابه: «يا أمير المؤمنين، أشكو إليك أخي عاصمًا، قال: وما له؟ قال: لبس العباءة، وتخلّى عن الدنيا! قال: عليّ به، فلما جاء قال: يا عدوّ نفسه، لقد استهام بك الخبيث -أي الشيطان- أما رحمت أهلك وولدك؟ أتري الله أحلّ لك الطيبات وهو يكره أن تأخذها؟ أنت أهون على الله من ذلك، قال: يا أمير المؤمنين، هذا أنت في خشونة ملبسك، وجشوبة مأكلك، قال: ويحك، إنّي لستُ



كأنتَ، إنَّ الله فرض على أئمة العدل أن يُقدِّروا أنفسهم بِضَعْفَةِ الناس؛ كيلا يتبيَّح بالفقير فقره» أي يهيج به ألم الفقر فيهلكه.

من هنا فإنَّ الزهد في الإسلام هو ألا تطغى عند الإنسان النزعة المادية على النزعة الروحية، والجانب الدنيوي على الجانب الآخروي، ولكنَّ الزهد الطبيعي المشروع الذي يسعى إلى تحقيق أهداف مشروعة، مقابل تصوّف منبوذ خرج عن الأهداف المشروعة التي وضعها الإسلام، أي أنَّ التصوّف شيء والزهد الممدوح شيء آخر.

إنَّ التصوّف في بداياته وإلى ما وصل إليه منهيٌّ عنه شرعاً، وليس التصوّف هو من أركان وأصول ومبادئ الإسلام، كما أنَّه ليس من الشعائر الدينية، ولا هو حقيقة اجتماعية وإنسانية فرضت نفسها فرضاً على حياة المسلمين.

البعض وجد أنَّ التصوّف هو في الزهد الشديد، والامتناع عن متاع الدنيا، ولبس الصوف والمرقعات، وحمل المسابح، وترك الكسب والعمل، والبعض الآخر من المتصوِّفة وجد في التصوّف طريقةً للعلم، واخترع نظريات ليست من الدين في شيء، بل تسرّبت إلى الفكر الإسلامي من الفلسفات الهندية واليونانية القديمة؛ فجاءت نظريات وحدة الوجود، والحلول، والاتحاد، وهناك تصوّف آخر كنوع من الشعوذة والمراء وادّعاء السحر، وكلّ نظريات التصوّف وأنواعه هذه مذمومة شرعاً، ومنهيٌّ عنها، يقابلها الطرق الشرعية (العرفانية) التي تتبع التعاليم الإسلامية، وتمارس الرياضات الإسلامية المشروعة.

يقول الإمام علي عليه السلام في ربط المعرفة بالعرفان: «إِنَّ مِنْ أَحَبِّ عِبَادِ اللَّهِ إِلَيْهِ عَبْدًا أَعَانَهُ اللَّهُ عَلَى نَفْسِهِ فَاسْتَشَعَرَ الْحُزْنَ وَتَجَلَّبَبَ الْخَوْفَ فَزَهَرَ مِصْبَاحُ الْهُدَى فِي قَلْبِهِ»، كما ربط الإمام بين المعصية والجهل بقوله: «من قارف ذنباً فارقه عقل لا يعود إليه أبداً».

العرفان أسلوب إسلامي يتجلّى فيه الورع والزهد والصفاء، بينما التصوّف تقشّف ورهينة وطرق ومسالك ومعارض ليست من الإسلام في



شيء، لذلك فإنّ العرفان شيء والتصوّف شيء آخر.

ويرى الشيخ مرتضى مطهري أنّ العرفان: هو علم المعرفة بالله سبحانه وتعالى، وينقسم إلى قسمين: عرفان نظري، وعرفان عملي، والغاية التي يبتغيها العارف هي الوصول إلى مقام من لا يرى في الوجود غيره (تعالى)، أي أنّ العارف يريد أن يصل إلى مرتبة فأَيْنَمَا تُوَلُّوا فَتَمَّ وَجْهُ اللَّهِ ﴿سورة البقرة: ١١٥﴾، يريد أن يصل إلى مقام فيه يرى الله أقرب إلى الإنسان من نفسه؛ لأنّه تعالى يحول بين المرء ونفسه.

والخلاصة: أنّ العارف السالك إلى الله يريد أن يصل إلى مقام «وما يزال عبدي يتقرّب إليّ بالنوافل حتى أحبه، فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به، وبصره الذي يبصر به، ويده التي يبطش بها».

العرفان النظري هو فرع من فروع المعرفة الإنسانية التي تحاول أن تعطي تفسيراً كاملاً عن الوجود ونظامه، ويمكن تحصيل هذه المعرفة من خلال دراسة كتب الحكمة والفلسفة الإسلامية، إلّا أنّ هناك فرقاً بين الفلسفة والعرفان النظري.

أمّا العرفان العملي: عبارة عن علاقة الإنسان وواجباته تجاه نفسه والكون وخالقه، وبذلك يكون العرفان -العملي- كالأخلاق، أي أنّه علم عملي ولكن مع فارقٍ سنينّه لاحقاً، وهذا القسم من العرفان يسمّى (علم السير والسلوك) الذي يتعرّض إلى بيان البداية التي ينبغي على السالك أن يخطوها للوصول إلى التوحيد الذي هو قمة الإنسانية المنيعة، والمنازل والمراحل التي يجتازها في طريقه، والحالات التي تعرض له في هذه المراحل^(١).

العارف يريد الوصول إلى التوحيد، وهناك فارق كبير بين التوحيد الذي يراه العارف قمة الإنسانية المنيعة والغاية القصوى التي ينتهي إليها في سيره وسلوكه، والتوحيد الذي يراه عامة الناس، بل الذي يؤمن به

١ - (١) العرفان، مرتضى المطهري، دار المحجة البيضاء، بيروت، لبنان، ١٩٩٣م، ص ١٤.



الفيلسوف أيضًا، فإنَّ توحيد العارف يعني - كما يراه البعض - أنَّ الموجود الحقيقي منحصر بالله تعالى، فكلُّ ما سواه ليس سوى (ضلال)، فليس هناك شيء سوى الله تعالى، والذين يخالفون العرفاء لا يرضون هذه المرحلة من التوحيد، بل يرونها أحيانًا كفرًا وإلحادًا، إلاَّ أنَّ العرفاء يرونها هي التوحيد الحقيقي، وأنَّ كلَّ ما سواه لا يخلو من شائبة الشرك^٢ (٢).

وعلى الرغم من الجهود الكبيرة التي يبذلها الكتّاب والعلماء في التفريق بين العرفان والتصوّف إلاَّ أنَّهم يخلطون كثيرًا بينهما، بل ويختلفون في تعريف معنى العرفان أيضًا، وعلى الرغم من أنَّ العلماء يحاولون ألاَّ يخلطوا بين العرفانيين والمتصوّفين إلاَّ أنَّ البعض في نهاية الأمر يجعلهم في سلّة واحدة، كما أنَّ عددًا من الكتّاب والمؤلفين يورد العديد من الأدلة من القرآن الكريم وروايات أهل البيت عليهم السلام في ذمّ التصوف والمتصوّفين، وتراهم بعد بضعة أسطر أو بضع صفحات يعودون للثناء على هؤلاء المتصوّفة، ويعدّونهم من أكابر العرفاء!.

بل إنَّ الأعجب في كلِّ ذلك أنَّهم يُعنونون كتبهم أو فصول كتبهم بعناوين شتى، مثل: (العرفان) أو (العرفان الإسلامي) أو (معالم الفلسفة الإسلامية) أو (التصوّف وأهل البيت) أو (الفلسفة الإسلامية)، ولكنهم لا يفرّقون بين العرفان والتصوّف؛ فيوردون الأدلة على ذمّ التصوّف، إلاَّ أنَّهم يكتبون عن نظريات التصوّف بانهار وتمجيد، ويمجّدون المتصوّفين، ويعدّونهم من أكابر العرفاء، ويخلطون بين الحكمة الإلهية وحكمة اليونان، أيَّ إنَّهم حينما يكتبون يخلطون (الحابل بالنابل)، ويكتبون عن (فلسفتنا) و (الحكمة الإلهية) ولا يعطون نموذجًا واحدًا للحكمة الإسلامية، ويناقدون (حركة الفكر الفلسفي)، ولا يناقدون الفكر الحكمي لآل البيت عليهم السلام.

٢ - (٢) المصدر السابق، ص ١٦-١٨.



مراحل التصوّف:

كانت البدايات الأولى للتصوّف هي الزهد؛ لحفظ التوازن في المجتمع الإسلامي، وبسبب المساواة بين الحاكم والمحكوم والغني والفقير، وهو زهد ممدوح، حتى لا تظغى المادة البغيضة على الجانب الروحي الإنساني.

ومن ثمّ أصبحت فكرة التصوّف وسيلةً للمعرفة، فلا يمكن تحصيل العلم عبر المدارس والمساجد وحلقات الدرس، وإذا ما روّضت النفس على الأكل الجشب واللبس الخشن؛ فإنّ الله سيلقي العلم في قلبه إلقاءً.

ويؤكّد الصوفيّون أنّ علمهم إلهامٌ من الله سبحانه وتعالى، وتطوّرت فكرة الإلهام أو إلقاء العلم إلى نظرية اتحاد الإنسان بالله، وجعلهما حقيقة واحدة، وذلك على يد أبي يزيد البسطامي (ت ٢٦١هـ)، وانتقلت فكرة حلول الله بالإنسان وسائر المخلوقات على يد الحلاج الذي قُتل سنة (٣٠٩هـ).

ويتفق الاتحاد والحلول في أنّهما حقيقتان اندمجتا وأصبحتا حقيقة واحدة، والفرق بينهما اعتباري لا جوهري؛ إذ معنى الاتحاد: أنّ المخلوق اتّحد مع الخالق، ومعنى الحلول: أنّ الخالق حلّ في المخلوق واتّحد معه^٣(١).

أمّا المرحلة الأخيرة للتصوّف والمتصوّفين فكانت على يد المتصوّف ابن عربي (ت ٦٣٨هـ)، والذي جاء بنظرية وحدة الوجود، وتتلخّص النظرية بأنّه لا يوجد حقائق متعدّدة في الكون ثم اتّحدت، وإنّما الوجود بأجمعه من أوّل الأمر حقيقة واحدة، وهو الله، وله مظاهر شتى تتكثّر بالصفات والأسماء وجوهرها واحد، فالجماد والنبات

٣ - (١) راجع: العرفان الإسلامي، محمد تقي المدرسي، دار البيان العربي، بيروت، ١٩٩٢م، ص ٥٧ -





والحيوان والإنسان، وكلّ وجود هو الله بالذات؛(١).

وكلّ تلك المراحل أو النظريات الصوفية التي انطلقت من الزهد في الحياة، حتى وصلت إلى نظرية وحدة الوجود، ليست سوى من شطحات الصوفية والمتصوّفين البعيدة عن جوهر الإسلام الحقيقي، والبعيدة عن تعاليم القرآن الكريم، وليست سوى سفسطات عقيمة، وأوهام فكرية تدعو إلى إقفال المعاهد والجامعات والمدارس، والانزواء في الأقبية والأديرة.

ومن هنا يتّضح أنّ التصوّف والعرفان شيان مختلفان، يبدأان من بداية واحدة، إلاّ أنّهما يسيران إلى غايات مختلفة، ويختلفان في الأساليب والطرق، حتى يصلا إلى نهايتين مختلفتين.

وتشير العديد من المصادر التاريخية إلى ظهور العديد من المتصوّفين في القرنين الثاني والثالث الهجريين، من أمثال: ذي النون المصري (ت ٢٤٦هـ)، والجنيد البغدادي (ت ٢٩٧هـ)، والحلاج، وغيرهم.

واستمرّ التصوّف في القرن الرابع للهجرة، ومن الشعراء المتصوّفة الذين ظهوروا فيه: الشاعر منصور بن إسماعيل المصري الضرير، من أئمة المذهب الشافعي.

وفي القرن الخامس للهجرة جمد التصوّف في مصر في العصر الفاطمي، في حين كان نشيطاً في العراق وفارس والمغرب والأندلس، ومن متصوّفته: أبو القاسم القشيري (ت ٤٦٥هـ)، والإمام الغزالي (ت ٥٠٥هـ).

أمّا في القرن السادس للهجرة ظهر عدد من أشهر المتصوّفة من أمثال: شهاب الدين السهروردي (ت ٥٠٧هـ)، وعبدالقادر الجيلاني البغدادي (ت ٥٦١هـ)، والسيد أحمد الرفاعي (ت ٥٧٨هـ).

٤ - (١) العرفان الإسلامي، محمد تقي المدرسي، دار البيان العربي، بيروت، ١٩٩٢م، ص ٧٠.



وبلغ التصوّف ذروته في القرنين السادس والسابع للهجرة،
وظهر آنذاك أشهر المتصوّفة مثل: عمر بن الفارض (ت ٦٣٢هـ)، ومحي
الدين بن عربي (ت ٦٣٨هـ)، والبوصيري (ت ٦٩٥هـ)، وابن عطاء
الله السّكندري (ت ٧٠٩هـ)، ومنهم من اشتهر بقول الشعر، والبعض
الآخر ممّن غلب على كتبه صبغة التصوّف الفلسفية البعيدة عن الفكر
الإسلامي^٥ (١).

وقد نشرت موسوعة (ويكيبيديا) على الإنترنت ترجمة موسّعة
عن حياة أشهر متصوّفي علماء السنة، ممّن أكثروا الابتداع في الدين،
وجاؤوا بطريقة مغايرة للخطوط الإسلامية العامة، وأنقل لكم هنا نص
ما نشرته الموسوعة، ولا بدّ من الالتفات إلى أنّ الموسوعة تؤكّد على
أنّه من أهل السنة والجماعة، وليس شيعياً، ولا صحّة للدّعاء بأنّ الشيخ
ابن عربي من علماء الشيعة، بل هو من المبتدعة في الدين الإسلامي:

«يُعرف الشيخ محيي الدين بن عربي عند الصوفية بالشيخ الأكبر
والكبريت الأحمر، وهو واحد من كبار المتصوّفة والفلاسفة المسلمين
على مرّ العصور، كان أبوه علي بن محمد من أئمة الفقه والحديث،
ومن أعلام الزهد والتقوى والتصوّف، وكان جدّه أحد قضاة الأندلس
وعلمائها، فنشأ نشأة تقيّة ورعة نقيّة من جميع الشوائب الشائبة، وهكذا
درج في جوّ عامر بنور التقوى، فيه سباق حرّ مشرق نحو الشرفات
العليا للإيمان.

انتقل والده إلى إشبيلية وحاكمها آنذاك السلطان محمد بن
سعد، وكانت عاصمة من عواصم الحضارة والعلم في الأندلس. وما كاد
لسانه يبين حتى دفع به والده إلى أبي بكر بن خلف عميد الفقهاء،
فقرأ عليه القرآن الكريم بالقراءات السبع، وقرأ عليه كتاب الكافي، فما
أتمّ العاشرة من عمره حتى كان مبرزاً في القراءات ملهمًا في المعاني
والإشارات، ثم سلّمه والده إلى طائفة من رجال الحديث والفقه، تنقل

٥ - (١) العرفان، مرتضى المطهري، دار المحجة البيضاء، بيروت، لبنان، ١٩٩٣م، ص ٤٩-٨٦.



بين البلاد واستقر أخيراً في دمشق طوال حياته، وكان واحداً من أعلامها حتى وفاته عام ١٢٤٠م.

وذكر أنه مرض في شبابه مرضاً شديداً وفي أثناء شدة الحمى رأى في المنام أنه محاط بعدد ضخم من قوى الشر، مسلّحين يريدون الفتك به، وبغته رأى شخصاً جميلاً قوياً مشرق الوجه، حمل على هذه الأرواح الشريرة ففرقها شذر مذر ولم يبق منها أي أثر، فسأله محيي الدين: من أنت؟ فقال له الرجل: أنا سورة يس، وعلى أثر هذا استيقظ فرأى والده جالساً إلى وسادته يتلو عند رأسه سورة يس، ثم لم يلبث أن شفي من مرضه، وألقي في روعه أنه معدّ للحياة الروحية وأمن بوجوب سيره فيها إلى نهايتها.

تزوَّج بفتاة كانت تعتبر مثالاً في الكمال الروحي والجمال الظاهري وحسن الخلق، فساهمت معه في تصفية حياته الروحية، بل كانت أحد دوافعه إلى الإمعان فيها، وفي هذه الأثناء كان يتردّد على إحدى مدارس الأندلس التي تعلّم فيها سرّاً مذهب الأبيذوقلية المحدثه المفعممة بالرموز والتأويلات والموروثه عن الفيثاغورية والأورفيوسية والفطرية الهندية. وكان أشهر أساتذة تلك المدرسة في ذلك القرن ابن العريف المتوفى سنة ١١٤١م.

وممّا لا شكّ فيه أن استعداده الفطري ونشأته في هذه البيئة واختلافه إلى تلك المدارس الرمزية كلّ ذلك قد تضافر على إبراز هذه الناحية الروحية عنده في سنّ مبكّرة؛ فلم يكديختم الحلقة الثانية من عمره حتى انغمس في أنوار الكشف والإلهام، ولم يشارف العشرين حتى أعلن أنّه جعل يسير في الطريق الروحاني، وأنه بدأ يطلع على أسرار الحياة الصوفية، وأنّ عدداً من الخفايا الكونية قد تكشّفت أمامه، وأنّ حياته سلسلة من البحث المتواصل عمّا يحقّق الكمال لتلك الاستعدادات الفطرية، ولم ينزل عاكفاً حتى ظفر بأكبر قدر ممكن من الأسرار، وأكثر من ذلك أنّه حين كان لا يزال في قرطبة قد تكشّف له من أقطاب العصور البائدة من حكماء فارس والإغريق، كفيثاغورس



وأميذوقليس وأفلاطون، وهذا هو سبب شغفه بالاطلاع علي جميع الدرجات التنسكيّة في كلّ الأديان والمذاهب عن طريق أرواح رجالها الحقيقيين بهيأة مباشرة، وألّف كتاب (الفتوحات المكيّة) الذي يمكن تتبّع أقواله فيه.

وفي هذا العصر رأى ابن عربي في حالة اليقظة أنّه أمام العرش الإلهي المحمول على أعمدة من لهب متفجّر، ورأى طائرًا بديع الصنع يحلّق حول العرش ويصدر إليه الأمر بأن يرتحل إلى الشرق وينبئه بأنّه سيكون هو مرشده السماوي، وبأنّ رفيقًا من البشر ينتظره في مدينة فاس (٥٩٤هـ).

- وفي السنة (٥٩٥هـ) كان في غرناطة مع شيخه أبي محمد عبد الله الشكاز.

- وفيما بين سنتي (٥٩٧هـ - ٦٢٠هـ) الموافق سنة (١٢٠٠م - ١٢٢٣م) بدأ رحلاته الطويلة المتعدّدة إلى بلاد الشرق، فاتجه إلى دمشق واستقرّ فيها.

- في السنة (١٢٠١م) رحل إلى مكة فاستقبله فيها شيخ إيراني وقور جليل، عريق المحتد، ممتاز في العقل والعلم والخلق والصلاح، والتقوى بفتاة تدعى (نظام)، وهي ابنة ذلك الشيخ، وقد حباها الله بنصيب موفور من المحاسن الجسمية والميزات الروحية الفائقة، واتخذ منها محيي الدين رمزًا ظاهرًا للحكمة الخالدة، وأنشأ في تصوير هذا الرمز قصائد سجّلها في ديوان (ترجمان الأشواق) ألّفه في ذلك الحين.

- وفي ذلك الحين في إحدى تأملاته رأى مرشده السماوي مرةً أخرى يأمره أيضًا بتأليف كتابه الجامع الخالد (الفتوحات المكيّة) الذي ضمّن فيه أهمّ أرائه الصوفية والعقلية ومبادئه الروحية.

- وفي سنة (٥٩٩هـ) زار الطائف، وفي زيارته بيت عبد الله بن العباس ابن عم رسول الإسلام صلى الله عليه وسلم استخار الله، وكتب

رسالة (حلية الأبدال)، لصاحبيه أبي محمد عبدالله بن بدر بن عبد الله الحبشي، وأبي عبدالله محمد بن خالد الصدفي التلمساني.

- وفي سنة (٦٠١هـ، ١٢٠٤م) ارتحل ابن عربي إلى الموصل، حيث جذبته تعاليم الصوفي الكبير (علي بن عبد الله بن جامع) الذي تلقى لبس الخرقه عن الخضر مباشرة، ثم ألبسها لمحيي الدين بدوره، وفي نفس السنة زار قبر رسول الإسلام وكما قال «وقد ظلمت نفسي وجئت إلى قبره صلى الله عليه وسلم فرأيت الأمر على ما ذكرته، وقضى الله حاجتي وانصرفت ولم يكن قصدي في ذلك المجيء إلى الرسول إلا هذا الهجير».

- وفي سنة (١٢٠٦م) رحل إلى القاهرة.

- وفي سنة (١٢٠٧م) عاد إلى مكة، وأقام فيها ثلاثة أعوام، ثم عاد إلى دمشق، وزار قونية بتركيا؛ حيث يتلقاه أميرها السلجوقي باحتفال بهيج، وتزوج هناك بوالدة صدر الدين القونوي، ثم لم يلبث أن يرتحل إلى أرمينيا.

- وفي سنة (١٢١١م) رحل إلى بغداد ولقي هناك شهاب الدين عمر السهروردي الصوفي المشهور.

- وفي سنة (١٢١٤م) زار مكة، ووجد عددًا من فقهاءها الدسّاسين قد جعلوا يشوّهون سمعته بسبب القصائد التي نشرها في ديوانه الرمزي منذ ثلاثة عشر عامًا، فرحل إلى دمشق عائدًا.

- بعد ذلك رحل إلى حلب، وأقام فيها ردحًا من الزمن معززًا مكرّمًا من أميرها.

- وأخيرًا أقام في دمشق في الفترة (١٢٢٣م - ١٢٤٠م)، حيث كان أميرها أحد تلاميذه، ومن المؤمنين بعلمه ونقائه، وعاش حياته في دمشق يؤلّف ويعلم، وكان واحدًا من كبار العلماء بين أهل العلم والفقّه في دمشق، فدوّن وكتب مراجعته ومؤلفاته، وكان له مجلس للعلم والتصوّف في



رحاب مجالس دمشق، وبين علماء الفقه والعلم بدمشق ومدارسها.

أشهر كتب ابن عربي:

- كتاب تفسير ابن عربي، ويضمّ تفسيره للقرآن الكريم.
- كتاب الفتوحات المكيّة، المكوّن من (٣٧) سفرًا و (٥٦٠) بابًا، والذي وُصف بأنّه من النصوص الصوفية الموعلة في التعمّق، وأنّ لغته رمزية وبها إشارات إلهية.
- كتاب فصوص الحكم، الذي أثار جدلاً كبيرًا في وقته، ولا زال مصدرًا للجدل.
- ديوان ترجمان الأشواق، الذي خصّصه لممدح نظام بنت الشيخ أبي شجاع بن رستم الأصفهاني التي عرفها في مكة سنة (٥٩٨هـ) عندما قدم إليها لأول مرّة قادمًا من المغرب.
- كتاب شجرة الكون، يتحدّث فيه عن الكون مشبّهًا إيّاه بشجرة أصلها كلمة «كن».
- كتاب الإعلام بإشارات أهل الإلهام.
- كتاب اليقين، الذي تناول موضوع اليقين، الذي حيّر العديد من فلاسفة ذلك العصر.
- تُوفّي ابن عربي في (٢٨) ربيع الثاني من سنة (٦٣٨هـ) الموافق (١٦) نوفمبر من سنة (١٢٤٠م) ودفن في سفح جبل قاسيون في دمشق.
- وقد سُئل السيّد نعمّة الله الجزائري عن ابن عربي فقال: هو من أركان المتصوّفة، له كلمات مضلّة ودعاوى فاسدة، وقد عبّروا عنه بـ (مميّت الدين) بدلًا من محيي الدين؛ لكثرة كلماته المنحرفة في



مختلف مجالات العقيدة من: التوحيد والنبوة والإمامة.

قال في أوّل فتوحاته: «سبحان من أظهر الأشياء وهو عينها»، وهو ظاهر في وحدة الوجود والوجود، وإنكار الخالق والمخلوق أو عدم الفرق بينهما.

وقال في الفصوص: «اعلم أنّ التنزيه عند أهل التحقيق في الجنب الإلهي عين التحديد والتقييد، فالمنزّه إمّا جاهل وإمّا صاحب سوء...، إلى أن قال: فالحقّ محدودٌ بكلّ حدٍّ؛ لأنّ كلّ ما هو محدود بحدّ مظهر من مظاهره، ظاهره من اسمه الظاهر، وباطنه من اسمه الباطن، والمظهر عين الظاهر؛ باعتبار الأحدية».

وقال في وصف قوم نوح عليه السلام ﴿ مِمَّا خَطِيئَاتِهِمْ أُغْرِقُوا ﴾ سورة نوح: ٢٥: «فهي التي خطت بهم؛ فغرقوا في بحار العلم بالله وهو الحيرة، ﴿ فَأَذْخَلُوا نَارًا ﴾: في عين الماء، ﴿ فَلَمْ يَجِدُوا لَهُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَنْصَارًا ﴾، فكان الله عين أنصارهم؛ فهلكوا فيه إلى الأبد...، إلى أن قال: وإنّ كان الكلّ لله وبالله، بل هو الله».

وقال في الفص الهاروني: «فكان عتب موسى أخاه هارون لمّا وقع الأمر في إنكاره وعدم اتّساعه؛ فإنّ العارف من يرى الحقّ في كلّ شيء، بل يراه عين كلّ شيء».

وفي قوله تعالى: ﴿ إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ ﴾ سورة الكوثر: ١، فيقول: «أي معرفة الكثرة بالوحدة، علم التوحيد التفصيلي وشهود الوحدة عين الكثرة بتجلّي الواحد الكثير والكثير الواحد...».

وفي قوله تعالى: ﴿ وَقَالُوا لَا تَذَرُنَّ آلِهَتَكُمْ وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا ﴾ سورة نوح: ٢٣، يقول: «أي معبوداتكم التي عكفتم بهواكم عليها من ودّ البدن الذي عبدتموه بشهواتكم واحببتموه، وسواع النفس، ويغوث الأهل، ويعوق المال، ونسر الحرص، ﴿ مِمَّا خَطِيئَاتِهِمْ أُغْرِقُوا ﴾ في بحر الهيولا...».



وقد ادّعى العروج، وعلم الغيب ونحو ذلك، فمن أقواله: «إنّ لله تعالى أولياء يعرفون بالرجيبين، يعلمون بواطن الناس ويرونهم بصورتهم الواقعية»، وقد ادّعى أنّه لقي أحدهم وسأله: عمّا يرى، فقال: «إنّي أرى الرافضة في صورة الخنزير».

وقال: «لَمَّا عُرِجَ بي إلى السماء رأيت عليّاً في مرتبةٍ ودرجةٍ نازلة، ودون أبي بكر وعمر وعثمان، فقلت له -أي عليّاً-: كنت تدّعي في دار الدنيا أنّك أفضلهم، فما بدا ممّا عدا؟»

وادّعى أنّه يعلم الغيب، وكان يقول: «أذهب إلى العرش في كلّ ليلة عشر مرّات»، إلى غير ذلك من الأراجيف والكلمات التي تدلّ على ضلاله وانحرافه، وانهماكه في توهمات الصوفية ووساوسهم.

العرفان الأحسائي:

عرفت منطقة الساحل الشرقي -والأحساء تحديداً- منذ بدايات دخول المعرفة الإسلامية العديد من العلماء اللامعين في هذا المجال، إلا أنّنا لا بدّ أن نوّكد مرة أخرى على التداخل الشديد بين التصوّف والعرفان والفلسفة وحكمة الإشراف والحكمة الإلهية، ومن أبرز الأسماء الشيخ فخر الدين أحمد بن عبدالله المعروف بالمتوّج البحراني المتوفى سنة (٨١٠هـ)، والشيخ الزاهد جمال الدين حسن الشهرير بالمطوع الجرواني الأحسائي، والشيخ محمد بن أبي جمهور المتوفى بعد عام (٩٠١هـ)، وعدد آخر من علماء الكلام والتصوّف والفلسفة.

ومن بين هذه الأسماء الكبيرة برزت أسماء وتيارات فلسفية ذات طابع صوفي بحت، ابتعدت عن الطريق الإسلامي الصحيح، مثل: الطريقة (النوربخشية) نسبة إلى محمد بن عبدالله الملقّب بـ (نور بخش) أي واهب الأنوار، هاجر وأبوه من الأحساء وسكن بلدة (قاين)، وانتسب للطريقة الهمدانية، ثم أكّد نسبته للإمام علي بن ابي طالب عليه



السلام عن طريق الكشف، فعرف أنه من سلالة الإمام موسى الكاظم عليه السلام، وكان يصرّح علناً أنّ حركته ترمي إلى الجمع بين التصوّف والتشيع، وادّعى نور بخش المهديّة على الطريقة الشيعية، حسب النصوص السنية، وتوفي سنة (٨٦٩هـ).

وفي ظلّ التاريخ الأحسائي المتراكم بنظريات العلماء العرفانيين، ومصطلحات الكلاميين، برز كبار العلماء ممن يستنكر التيارات الصوفية البعيدة عن الحظيرة الإسلامية، ويصحّح المعتقدات والآراء الفلسفية ذات الطابع الصوفي.

ولم يمضِ منتصف القرن الثاني عشر الهجري، حتى برز اسم الشيخ أحمد بن زين الدين الأحسائي (١١٦٦-١٢٤١هـ) الذي بدّد أوهام المتصوّفة، ونفض فلسفات المشائين والرواقيين، ووضع أسس الحكمة الإلهية من قواعد القرآن الكريم، واستسقى المعرفة الحكمية من منابع رواياتهم عليهم السلام، وحينما استشرت المفاهيم الاستشراقية والتصوّف، وبرز هؤلاء المتصوّفة يحرفون الكلم عن مواضعه، وتصدى لهم علماء آل محمد عليهم السلام، «انبثق العالم الرباني الشيخ أحمد بن زين الدين الأحسائي (١١٦٦-١٢٤١هـ) الذي نفض عن الحكمة غبار التصوف، وألجم التطرّف الناصبي بنشر الفضائل المحمدية، وأرسى دعائم التوحيد الخالص من فلسفة المشائين والفسطاطيين والاستشراقيين، وقدم لمجتمعه المرتكز العقائدي الذي يصلح منطلقاً للبناء الحضاري، لقد جاء صوت الشيخ أحمد قدّس سرّه مفحماً للأصوات النشاز التي تعالت ضد أهل البيت وشيعتهم، وفي الوقت ذاته كان يستنكر على الفلاسفة العرفاء اعتمادهم على الأفكار اليونانية القديمة، التي تزعم أنّها تجعل الوجود بأجمعه ميداناً يجول فيه الفكر البشري، وتحمل العقل الإنساني على جناحها وتحلق به إلى عوالم هي منتهى آماله وغاية طموحه»^(١).

٦- (١) في محراب الشيخ محمد بن حسين أبي خمسين، موسى الهادي، دار العروة الوثقى، بيروت، ١٤٢٥هـ، ص ١٣٩.

كما أنّ مرجعنا أبا خمسين له موقف صلب من الصوفية والمتصوّفين، ومن زعماء الصوفية كابن عربي وغيره من المتصوّفة، وفي العديد من كتبه نجد تنديداً صريحاً بهؤلاء الذين حرفوا الكلم عن مواضعه.

ويقدّم مرجعنا أبو خمسين العرفان الإسلامي الحقيقي من خلال القرآن الكريم، والروايات الشريفة لآل البيت عليهم السلام.

إنّ العرفان عند أبي خمسين يتمثّل في معرفة النفس، ومعرفة النفس عنده لها شروط، ومن شروطها: «أن يداوم على المجاهدات النفسانية، والأخلاق المرضية، والرياضات الشرعية، بطور ما ورد من سادات البرية عليهم سلام الله ما تعاقب الصبح والعشية؛ ليصفو شيئاً فشيئاً من الخطيئات والكدورات والكثافات، والإضافات والأعراض، والأمراض اللازمة للإنبيات، حتى يسهل السير إلى الحمى»^(١).

ومن شروطها: رفع حجب النفس ولا يعني الاتحاد، والاتحاد ما تقول به الصوفية؛ لذلك فإنّ أبا خمسين يؤكّد موقفه من الصوفية والمتصوّفة «ولا تفهم -يا أخي- من كلماتنا ما قالتها الصوفية لعنهم الله»^(٢).

ويحدّد موقفه الصريح الراض للصوفية والمتصوّفة، ومن ابن عربي، ومن القول بالاتحاد: «وكما هو صريح رئيسهم ابن العربي، البوّال على عقبه، الملقّب بضدّ مميت الدين -لعنه الله ورسوله- في كتابه الفصوص»^(٣).

ومن خلال فكر محمد وآل محمد عليهم السلام، كان هناك العرفان الشرعي المرتبط بمبادئ الإسلام العامة، مقابل العرفان غير الشرعي أو التصوّف المنبوذ الذي ارتبط بأهل العرفان والمتصوّفة، الذين

٧ - (١) الرسالة الخرسانية، محمد حسين أبو خمسين، دار المحجة البيضاء، ٢٠٠٧م، ص ١٥٦.

٨ - (٢) المصدر السابق، ص ١٩١.

٩ - (١) الرسالة الخرسانية، محمد حسين أبو خمسين، دار المحجة البيضاء، ٢٠٠٧م، ص ١٩٣.



ابتعدوا عن فكر محمد وآل محمد عليهم السلام.

روى الشيخ الصدوق أعلى الله مقامه ودرجاته في أول كتاب (عقاب الأعمال) في باب (عقاب من أتى الله من غير بابه) بسنده، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: «عبد الله حبر من أحبار بني إسرائيل، حتى صار مثل الخلال، فأوحى الله عز وجل إلى نبي زمانه قل له: وعزتي وجلالي وجبروتي لو أنك عبدتني حتى تذوب كما تذوب الإلية في القدر ما قبلت منك، حتى تأتيني من الباب الذي أمرتك».

فمن هم باب الله؟

قال مولانا وسيدنا باقر العلوم صلوات الله عليه: «نحن حجة الله، ونحن باب الله...»^{١٠}(١).

وما أروع ما ذكره المولى محمد صالح المازندراني في شرح أصول الكافي: «نحن باب الله»^{١١}(٢)، أي باب علمه وتوحيده وأحكامه وأسراره، وجميع ما جاء به الرسول صلى الله عليه وآله، وذلك ظاهر إذ كل أحد لم يسمع ذلك منه صلى الله عليه وآله، ولا يجوز له التكلم فيه برأيه على قدر عقله، فوجب أن يعلمه ممن يقوم مقامه بأمره وأمر ربه، وهم الأئمة عليهم السلام، فهم أيضًا باب هذه المعارف، ولا يدخل أحد بيت المعرفة إلا بهذا الباب.

وفي الكافي الشريف عن أبي جعفر عليه السلام قال: «ذِرْوَةُ الْأَمْرِ وَسَنَامُهُ وَمِفْتَاحُهُ وَبَابُ الْأَشْيَاءِ وَرِضَا الرَّحْمَنِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى الطَّاعَةُ لِلْإِمَامِ بَعْدَ مَعْرِفَتِهِ، ثُمَّ قَالَ: إِنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى يَقُولُ: ﴿مَنْ يُطِيعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ وَمَنْ تَوَلَّى فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا﴾ سورة النساء: ٨٠، أَمَا لَوْ أَنَّ رَجُلًا قَامَ لَيْلَهُ وَصَامَ نَهَارَهُ وَتَصَدَّقَ بِجَمِيعِ مَالِهِ وَحَجَّ جَمِيعَ ذَهْرِهِ وَلَمْ يَعْرِفْ وَلا يَلِ اللَّهَ فَيُؤَالِيَهُ وَيَكُونَ جَمِيعَ أَعْمَالِهِ بِدَلَالَتِهِ إِلَيْهِ مَا كَانَ لَهُ عَلَى اللَّهِ جَلٌّ وَعَزٌّ حَقٌّ فِي ثَوَابِهِ وَلا كَانَ مِنْ أَهْلِ الْإِيمَانِ، ثُمَّ

١٠ - (١) راجع أيضًا: (شرح أصول الكافي، ج ٤، ص ٢٢٨)، و(بصائر الدرجات).

١١ - (٢) شرح أصول الكافي، ج ٤، ص ٢٢٩.





قَالَ: أَوْلَيْكَ الْمُحْسِنُ مِنْهُمْ يُدْخِلُهُ اللَّهُ الْجَنَّةَ بِفَضْلِ رَحْمَتِهِ».

عرفان أبي خمسين:

كان الشيخ محمد بن حسين أبو خمسين - وحتى قبل أن يشد الرحال إلى النجف وكربلاء - يتشوق لأن يكون أحد العرفاء الإسلاميين الكبار، ولحسن الحظ فقد رصد مرجعنا أبو خمسين تلك المرحلة بدقة في كتبه، وصورها تصويراً دقيقاً، ورسم خطوط العلاقة الروحانية بينه وبين شيخه السيد كاظم الرشتي قبل أن يلتقيه، وإبان لقائه به، وبعد التشرّف بخدمته.

إنّ رصد علاقة مرجعنا أبي خمسين مع السيد الرشتي على درجة هامة لمعرفة أبعاد الرحلة العرفانية التي سار فيها الشيخ أبو خمسين، حتى وصل إلى درجة الكمال من معرفة نبينا محمد وآله صلى الله عليه وآله، إلا أنّ تلك المسيرة العرفانية ليست لها علاقة بدروب العرفانيين المتصوّفين، فالعرفان الذي عرفه مرجعنا أبو خمسين هو عرفان إسلامي بامتياز، خاضع لضوابط الشرع في كلّ تفاصيله: المعرفة، والتقوى، والخشوع، هي أركانه الأساسية، ولم يدع عرفان أبي خمسين رؤية الله، ولا الحلول، ولا الانصهار، ولا الوحدة مع الله - تعالى الله عمّا يشركون - ولم يتخذ عرفان أبي خمسين طريقاً خاصة به، ولا دروباً مخصّصة لعرفانه، ولا طريقاً لا يسلكها إلا هو ومريدوه، بل كان عرفاناً إسلامياً نقيّاً صادقاً.

ولنقرأ ما كتبه وما سطره مرجعنا أبو خمسين بنفسه عن تلك الرحلة العرفانية النقية، يُحدد أهدافها وغاياتها ووسائلها بصورة بسيطة ونقية وواضحة: «إنّي صرفت جوهره عمري في تحصيل بعض العلوم والآداب، لا سيّما الآليات، حيث كنت مكبّاً بالنظر إليها، وتفتيش كتبها والكلام فيها وعليها؛ لأنّ همّي كان في تحصيل كمالات صورية،



ومحاسن ظاهرية، من غير أنس منّي بالمعاني الإلهية، والحقائق الربانية، والأسرار الباطنية، زعمًا منّي أنّ تلك هي الغاية غاية «ولا وراء عبادان قرية»، وبقيت على هذه الحال شطرًا من الزمان ومدّة من الدهر الخوان»^{١٢}(١).

ويضيف مرجعنا أبو خمسين، مبيّنًا مسيرته العرفانية المباركة، بعيدًا عن مسالك الصوفية الملتوية، وبعيدًا عن رهبانية مبتدعة ما أنزل الله بها من سلطان، إنّه عرفان أبي خمسين الإسلامي المستمد من القرآن الكريم وروايات آل البيت عليهم السلام، لا حلول، ولا اتحاد، ولا وحدة وجود، ولا تهويمات غير معروفة عند أهل العلم، فيقول: «في أثناء هذه المدّة إذ اتّفق في بعض الأحيان في بعض المجالس ذكر قطب الهداية وعلم الدراية وميّن محكم الآية والرواية، الذي أنواره مقتبسة من فاضل فلك الولاية، النور السامع من ضياء الحقيقة المحمدية، والبدر الطالع في سماء الإمامة العلوية، والدرّة المنيرة الخارجة من الصدفّة الفاطمية والثمرة الجنية الناتجة من الدوحة الحسينية، السيّد السند والكهف المعتمد، عمدة الأفاضل وزبدة الأعظم، جناب (السيّد) أطال الله بقاه، وجعلنا من كلّ مكروه فداه - من بعض الإخوان ينشرح صدري ويطيب عيشي، ويعتريني سرور بحيث أنّي أسهو عن نفسي ولم أبرح أتمنى رؤيته ولو مرّة واحدة في العمر، ولم يزل قلبي يحترق في تلك الأوقات بنار الهيام، وفؤادي يتلظى بسعير الغرام، تغريني العبرة وتحرقني الزفرة، وعيني ساهرة من عدم حصول المنام، وكلّما استأذنت فخري وعزي وسندي ومعتمدي لزيارة الأماكن المقدّسة والبقاع الطيبة الطاهرة، لعلّي أحظى بمطالعتة ورؤيته وأسعد بمجالسته وصحبته، بعد زيارة أجداده الطاهرين سلام الله عليهم أجمعين ما يعبد الحق باليقين - أمهلني وريّضني إلى أن خطر ببالي القاصر وذهنني الفاتر، وقتًا من الأوقات، وساعة من الساعات، أنّي أتشرف بخدمة بعض الإخوان العزاز لديه وأستعين بهم عليه، لعلّه يأذن لي، ففعلت ذلك مرارًا متعدّدة حتى

١٢ - (١) مفاتيح الأنوار في بيان معرفة مصابيح الأسرار، محمد بن حسين أبو خمسين، دار المحجّة البيضاء، بيروت، ٢٠٠٣م، ص ٦٤.



أذن لي، ولكن اشترط عليّ سلّمه الله وأبقاه بمحمد صلى الله عليه وآله وسلم وعليّ مولاه، حضور درس ذلك الطيّب الطاهر فقط، وعدم الاعتناء بغيره فحمدت الله على ذلك، وعزمت من حينى على السفر، إلى أن قال: «فلما وفّقني الله -تعالى- لتقبيل العتبة العلية والسُدّة السنية الحسينية، عليه وعلى آبائه وأبنائه آلاف التحفة والتحية، وتشرفت بذلك الوادي المقدّس، المطهّر من الرجس، المحمود الفلك الأطلس، سألت عن ذلك الجناح، فقيل لي: إنّ في الكاظميين، وبقيت أيامًا قلائل، فإذا هو قد تشرف لزيارة سيد الشهداء عليه السلام، فخرجت مع من خرج لتلقّيه، فلما رأيته وسلّمْتُ عليه، وأمعتُ النظر في ذلك الجمال، طاب لي الحال، وزال عني البلبال والشوال، وازددت فيه شوقًا على شوق وودًا على ودٍّ، حتى نسيت الأهل والعيال والوطن والمال»^(١).

وهنا يصف مرجعنا أبو خمسين لقاءه بالسيّد كاظم، ويصف بدقّة سمات السيّد وجماله وعلمه، وهي قصّته العرفانية البعيدة عن الأديرة، والزوايا، والكهوف، بل بجوار سيد الشهداء الإمام الحسين عليه السلام، وتحت سقف ولاية أمير المؤمنين عليه السلام، يكتب الشيخ أبو خمسين وصفًا دقيقًا للسيّد وهو يدرّس أحد كتبه، وطلّبه حوله، محدقين به، يأخذون من فيوضاته: «لما استقرّ به المكان بعد يويّومات، مضيت إلى خدمة ذلك العالم الكامل الفاضل، ناموس الدهر وتاج الفخر وعلامة العصر وحيد الدهر، موضح الحقيقة والطريقة، ومحبي الشريعة على الحقيقة، ومأحي قواعدها الحكماء الصوفية، ومظهر آثار علوم العلوية، سيّد الأمة ونسل الأئمة، عزّ المؤمنين وملاذ العلماء العارفين، وركن الإسلام والمسلمين وخاتم المجتهدين، العالم الرباني، والحكيم الصمداني والعارف السبحاني، والفرد الذي ليس له ثاني، والفاضل الإلهي العلم الأمجّد، والفرد الأوحّد، أعلم العلماء وقدوة الفقهاء، المضيع لمبتدعات الإشرافيين والمخرّب لقواعد المشائين، والمبطل لمخترعات الصوفيين الملحدّين، والمصحح لقواعد العلماء

١٣ - (١) مفاتيح الأنوار في بيان معرفة مصابيح الأسرار، محمد بن حسين أبو خمسين، دار المحجة البيضاء، بيروت، ٢٠٠٣م، ص ٦٥.





الإلهيين والناصر لمذهب أجداده الطاهرين، سلام الله عليهم أبد الأبديين ودهر الداهرين، أفته الفقهاء والمجتهدين، زبده المؤمنين الممتحنين، عماد الملة والدين، سيد السادة وسند السيادة، المولى الأعظم والسناد المعظم، صفوة الأفاضل، العارف بحقائق المعاني، الواصل فيضه القاصي والداني، قدوة المدققين، وفخر المحققين، عمدة الفضلاء وأزكى الأركياء، ملجأ الطلاب وملاذ الأصحاب، رأيته جالساً في صدر ناديه والطلاب جاثية بين أياديه، والناس مجتمعون عليه، وهو يباحث في كتابه المسمى (باللوامع الحسينية)، عليه وعلى آبائه وأبنائه آلاف الثناء والتحية، فرأيته بحرّاً مواجاً، وسراجاً وهّاجاً، ونجماً زاهراً، وشمساً منيراً، وبحراً يتقاذف موجه بالدرر، وعقدًا في جيد الدهر يتلألأ بالغرر، فيملاً الأصداف والأسماع درّاً فاخراً، ويهر الأَبصار والبصائر محاسناً ومفاخرًا، فرائد فوائده تُخجل جواهر العقود، وجواهر فرائده تُزري عقائد النقود، يتشعشع من جبهته النور، ويتناثر من وجته السرور، دلاء العلوم تقذف درر المعارف قواربها، وقمر الفضل أشرق بضياء عوارفه لمشارقه ومغاربه:

كَالْبَحْرِ يَقْدِفُ لِلْقَرِيبِ جَوَاهِرًا جُودًا، وَيَبْعَثُ لِلْبَعِيدِ سَحَابًا

وَعَلِمُ عِلْمٍ لَا تُبَاهِيهِ الأَعْلَامُ، وَحَقُّهُ فَضْلٌ لَا يَفْصَحُ عَنْ وَصْفِهِ الكَلَامُ، أَرَجَتْ أَنْفَاسُ فَوَائِدِهِ أَرْجَاءَ الأَقْطَارِ، وَأَحْيَتْ كُلَّ أَرْضٍ نَزَلَ بِهَا، فَكَانَتْهَا لِبِقَاعِ الأَرْضِ أَمْطَارًا.

شاد مدارس العلوم بعد درسها، وسقى بصيب فضله حدائق غرسها، وأنعش جذورها من عثارها، وأخذ من خراب الجهل بثأرها، وفوائده في سماء الإفادة أقمارٌ ونجومٌ، وشهبٌ لشياطين الأنس والجن رجوم.

إن نطق صنف المعاني عن أمم، وأسمنت كلماته من به صمم، وإن كتب كتب الحساد عن كتب، فجاء بما شاء على الاقتراح، وترك أكباد أعدائه دامية الجراح.



وكنت قبل ذلك أسمع بعض الممادح من بعض الإخوان لذلك الجنب، ولكن بعدما تشرفت بخدمته، ولازمت صحبته، عرفت وتيقنت بأنهم ما عرفوا من مناقبه وفضائله معشار العشر، ولا هم ولا غيرهم، وأنه غريب بين أظهرهم، ما قدروه حق قدره، وأنه بينهم كالمسجون؛ لأنه محشور مع غير أبناء جنسه، وأن كل من وصفه إنما وصف بما ظهر له به، كما قال سيّد الموحّدين: (إنّما تَحُدُّ الأدوات أنفسها، وتشير الآلات إلى نظائرها)^{١٤}(١).

تلك رحلة عرفانية رائعة بين الشيخ والسيد، علاقة مبنية على طلب العلم، وفهم علوم القرآن الكريم والروايات الشريفة من وجهة نظر إسلامية نقيّة، من خلال علوم آل بيت النبوة عليهم السلام، علاقة مبنية على طلب العلم الشرعي الحقيقي، المبني على القراءة والمباحثة والفهم والحفظ، ومقارنة الدليل بالدليل، وليس مبنياً على تعذيب النفس أو الجسد، وليس له علاقة بطرق الصوفية الطويلة، أي أنّ علاقتهما العرفانية مبنية على الفهم المشترك للقرآن الكريم والسنة النبوية، من خلال أقوال آل البيت عليهم السلام.

وجوهر عرفان مرجعنا أبي خمسين هو فكر مدرسة آل البيت الحكيمية التي تزعمها الشيخ الأوحّد، وطالما الأمر كذلك، ففي صفحات الكتاب إشراقات من ذلك العرفان، ومن تلك الحكمة.

هذا التداخل الطبيعي بين العرفان والحكمة قد لا ينسجم مع التقسيم النظري الذي دأب الكتاب والمؤرّخون على تقسيمه، طالما أنّ العرفان (التصوّف) له مشايخه وطرقه ودروبه ومسالكه، التي لا يعرفها ولا يفهمها إلاّ العرفاني وحده، بينما مسالك ودروب العرفان الإسلامي لكلّ المؤمنين قاطبة، وفي مدرسة آل البيت الحكيمية لا عرفاناً خارج عن الإطار العام للشريعة الإسلامية، ولا حكمةً خارجة عن القرآن الكريم،

١٤ - (١) راجع: الرسالة الخرسانية، محمد حسين أبو خمسين، دار المحجة البيضاء، ٢٠٠٧م، ص ٣٤، ومفاتيح الأنوار في بيان معرفة مصابيح الأسرار، محمد بن حسين أبو خمسين، دار المحجة البيضاء، بيروت، ٢٠٠٣م، ج ١، ص ٦٩-٧١.



ولا فلسفةً من غير آراء المعصومين عليهم السلام.

وهذا التداخل الطبيعي على غاية من الأهمية، فلا يجب أن يمرّ سريعاً على الكتاب والقراء على حدّ سواء، فالشيخ الأوحد ليس فيلسوفاً - بالمعنى اليوناني - مقابل فلاسفة اليونان، من أمثال: أرسطو وأفلاطون، وليس عرفانياً مقابل مشايخ المذاهب الصوفية: كابن العربي، وابن سبعين وغيرهما، بل إنّ تداخل في المعنى والفهم، إنّها المدرسة المتوازنة التي خضعت لكلّ ضوابط الشريعة في الفهم العقائدي، والفهم الفقهي على حدّ سواء.

ولا بدّ أن نشير هنا إلى أنّ عرفان مرجعنا أبي خمسين، هو من سنخ عرفان الشيخ الأوحد والسيدّ الأجدد، عرفان متكامل من حيث كونه مشتقاً من الدين الإسلامي، وبفهم المعصوم عليه السلام.

إنّنا بحاجة إلى عرفاني يشابه مرجعنا أبا خمسين؛ حتى يمكننا أن نقارن بينهما ونمايز، تماماً كما نحتاج إلى حكمة إسلامية في مقابل حكمة آل البيت الحكيمة للمقارنة بينهما، إلاّ أنّنا (مضطّرين) أن نقارن بين حكمة آل البيت وفلسفة اليونان الوثنية من جهة، أو نمايز بين مدرسة آل البيت الحكيمة وفلاسفة الغرب الوجوديين؛ لأسباب منهجية فقط، رغم أنّها مقارنة عرجاء.

ولكن كيف رأى الشيخ أبو خمسين السيدّ الرشدي بعد أن التقى به في كربلاء، وهو بين طلابه ومحبيّه، مكبّاً على التدريس في كتابه (اللوامع الحسينية)؟

يقول الشيخ أبو خمسين مبيناً وموضّحاً عظمة أستاذه السيدّ كاظم الرشدي: «ولذا تراهم مختلفين فيه ومتفاوتين في معرفته، وقمتُ أتشرّف كلّ يوم بحضرة قدسه، وأفوز بقدس أنسه، واستأنس بمجلسه الشريف في وقت مباحثته، لكن كما قال الشاعر:

كَمْ يُطْرَبُ الْقُمْرِيُّ أَسْمَاعَنَا وَنَحْنُ مَا نَفْهَمُ أَلْحَانَهُ



فبقيت على هذه الحال مدة أيام وليالي متبديل الأحوال متغيّر الحال، سائلاً من ذي الجلال في الأيام والليالي»^{١٥}(١).

ومن خلال كل ما كتبه مرجعنا أبو خمسين، ومن خلال سيرته العطرة، يتّضح أنّ الشيخ كان من العرفاء العظام من بين مراجع مدرسة آل البيت الحكيمية، ويؤكد الشيخ موسى الهادي هذا الأمر بقوله: «إنّ سلوك العرفان ينسجم مع خصائصه الذاتية، ويتماشى مع توجهاته الروحية، هذا من جانب، ومن جانب آخر نجده في ارتباطه بالله يصل إلى درجة التوكّل والثقة اللامحدودين، ويتعامل مع الأمور الإلهية بثقة مطلقة، وإن كانت مسألة غيبية»^{١٦}(٢).

وللتدليل على عرفان أبي خمسين ينقل الشيخ موسى الهادي قصة الشيخ محمد أبي خمسين مع أحد التجار، حيث سأل التاجر الشيخ عمّا يحفظ المال في السفر، فقال له الشيخ: «التخمس»، وبالفعل غرقت السفينة وضاع معظم مال التجار إلا مال هذا التاجر الخمس، حينما وجد متاع سفره معلقاً في مرساة السفينة، ولم يغرق مثل بقية متاع التجار الآخرين^{١٧}(١).

والحقيقة أنّ الآباء ينقلون عن الأجداد العديد من القصص المشابهة، التي تشير إلى مقام الشيخ الروحي الكبير، وعرفانه الجليل، بل أنّ القصص المتناقلة لم تتوقف بوفاة الشيخ، بل استمرت حتى بعد موته، وما زال الكثير من المؤمنين يتوجهون إلى قبر الشيخ محمد أبي خمسين لقراءة الفاتحة، ودعاء الله سبحانه وتعالى، بعد أن جرّب المؤمنون استجابة الدعاء عند مرقد الشريف.

١٥ - (١) مفاتيح الأنوار في بيان معرفة مصابيح الأسرار، محمد بن حسين أبو خمسين، دار المحجة البيضاء، بيروت، ٢٠٠٣م، ج ١، ص ٧١.

١٦ - (٢) في محراب الشيخ محمد بن حسين أبي خمسين، موسى الهادي، دار العروة الوثقى، بيروت، ١٤٢٥هـ، ص ١٤٨.

١٧ - (١) في محراب الشيخ محمد بن حسين أبي خمسين، موسى الهادي، دار العروة الوثقى، بيروت، ١٤٢٥هـ، ص ١٤٨.

لقد تناقل الأحسائيون سمات مرجعهم الكبير، وزهده، وعرفانه، وكراماته، فكانت حديث سمرهم ومجالسهم، والتي تدلّ على صفاء نفسه، وصدق سريرته؛ لأنّه استطاع أن يسلك مسلك ساداته ومواليه عليهم السلام، وربّي روحه وجسده بروايات آل البيت عليهم السلام، في الرياضة الروحية المشروعة، وطرق مسالك العرفان، وعرج إلى خالقه المّان، ولذلك فإنّ مقام مرجعنا أبي خمسين محفوظ كعالم ربّاني مقدّس، له مآثر وكرامات متواترة، يتناقلها الناس إلى الآن، ومنها قولهم: (سنة الدبس)، وحادثه (عين الخدود)، وكلاهما تشيران إلى كراماته رضوان الله عليه^{١٨} (١)، فلقد نقل التاريخ الشفوي تلك الحكايات، حيث وقعت سنة الدبس في أيام حياة الشيخ محمد أبي خمسين، وكانت تلك الفترة عصيبة على أهل الأحساء جميعاً من السنة والشيعه، فلقد كان أهل البر (البدو العجمان) يغزون مدن وقرى الأحساء، ويسلبون كلّ ما يستطيعون سلبه من الممتلكات العامه والخاصة، وبالخصوص التمر، وكانت الأحساء سابقاً محصّنة بالأسوار العظيمة، ولها دراويز (بوابات كبيرة) كدروازة الخميس، والصالحية، والجرن، والكوت، وبوابات صغيرة أخرى، كبوابة الحدديد، والخباز، وغيرها، حتى أتى اليوم الذي حاول العجمان أن يهجموا على مدينة الهفوف عن طريق دروازة الخميس، لكي يسيطروا على عاصمة البلاد، حينها كان الشيخ محمد أبو خمسين هو المخطّط لصدّ هذا الهجوم، فقال الشيخ محمد للناس: من لديه محاصن تمر (أكياس كبيرة من خوص النخيل) فليأت بها، واستجاب الناس، فأتوا بكلّ ما لديهم من محاصن التمر، ثم قال لهم: اجعلوا المحاصن أمام الدروازة ملتصقة بها، من الأسفل حتى الأعلى، وبعد أن سدّوا البوابة بالمحاصن، كان العجمان يحاولون دفع أبواب الدروازة بالأخشاب الكبيرة لكي يفتحوها، ولكن دون جدوى، وكانوا لا يعلمون ما الذي يوجد خلفها، فلجأ العجمان إلى فكرة حرقها ليتمكّنوا من اقتحامها، وبعد أن أضرموا النار في أبواب الدروازة احترق التمر وذاب

١٨ - (١) راجع: في محراب الشيخ محمد بن حسين أبي خمسين، موسى الهادي، دار العروة الوثقى، بيروت، ١٤٢٥هـ، ص ١٩٢-١٩٣.

وأصبح دبسًا، وكلما أكثروا من إحراق الأبواب ذاب التمر أكثر، حتى أصبحت المحاصن ملتصقة تمامًا بباب الدروازة، فأصبحت أعظم صلابة وقوة من جدار حصن المدينة، ومن حاول من العجمان الاقتراب من الدروازة أصابه الدبس المحترق فأحرقه وهرب، ولم ينجح العجمان في خطتهم هذه؛ وعليه سميت تلك السنة بسنة الدبس الشهيرة.

بعد هذه الحادثة بفترة حاول العجمان الهجوم على الهفوف من جديد للسيطرة عليها، ولكن خططهم باءت بالفشل أيضًا، فلقد حفروا خندقًا عميقًا تحت الأرض من خارج سور المدينة من ناحية بوابة الخباز، لكي يتمكنوا من الدخول إلى داخل المدينة عن طريق هذا النفق، وما إن أخبروا الشيخ المقدس الحكيم الإلهي - قدس سره الشريف - حتى أتى لهم بمخطط آخر قضى على كثير من العجمان الذين حاولوا الدخول عن طريق هذا النفق، فلقد أمر الشيخ الناس بحفر حفرة كبيرة وعميقة من داخل السور، مقابل الخندق الذي يحفرونه، وبعد الانتهاء من حفرها أمر الشيخ بتسليط الماء فيها حتى تمتلئ تمامًا، فإذا وصل المتسللون إلى الحفرة، سوف يدخل عليهم الماء المتسرب من الحفرة إلى الخندق ويغرقهم، وبالفعل هذا ما حصل؛ حيث غرق الكثير وهرب من نجا منهم.

النفس بين الفلسفة والعرفان:

لعل أكثر ما اهتم به فلاسفة اليونان ومن بعدهم فلاسفة العرب والمسلمين: معرفة النفس، ماهية النفس وطبيعتها، وخلودها، والحديث عن النفس هنالـه بعدان أساسيان: الأول له علاقة بعرفان أبي خمسين: كيف نظر للنفس؟ وكيف يمكن تزكيتها؟ وكيف نظر إلى رقيها الأخلاقي بما يتوافق مع النصوص الشرعية الإسلامية من خلال رؤية مدرسة آل البيت الحكيمة؟، والثاني له علاقة بكون مفردة (النفس) من أولى المفردات، التي يتناولها جميع الفلاسفة والعرفانيين، منذ فلاسفة

اليونان حتى اليوم ، بالبحث، والشرح، والتدقيق، والإضافة.

ولكنّ الفلاسفة اختلفوا في طبيعة النفس وماهيّتها، وتعدّدت آراؤهم في مصيرها ونهايتها، كما تعدّدت آراؤهم قبل ذلك في أصلها ومبدئها، فالبعض ذهب إلى أنّها جوهر مادي، كما قرّر ذلك علماء المعتزلة، أمّا البعض الآخر فقالوا: إنّها جوهر روحي مجرد قائم بذاته، واستدلّوا بمعرفة النفس؛ لأنّ المعرفة ليست من خواص الجسم، وإلاّ اتّصفت كلّ مادة بالإدراك.

أمّا الفلاسفة اليونانيون وعلى رأسهم أرسطو فقد ذهبوا إلى أنّ النفس حادثة، وأنّ وجودها مقارن لوجود البدن، وأدلّتهم على ذلك أنّ النفس يطرأ عليها التغيّر والنقص، ولو كانت قديمة لم يلحقها فتور أو نقص؛ لاستقرار القديم على حالٍ واحدة.

كما استدلّوا على حدوث النفس: بأنّها لو كانت قديمة قبل الأبدان؛ لكانت إمّا: واحدة، أو متعدّدة، وكلا الأمرين باطل؛ لعدم اجتماع الأضداد في الواحد، ولعدم اشتراك الناس في العلم والجهل، ومحال أيضًا أن تتكثّر النفس عند وجود الأبدان بعد وحدتها؛ وذلك لتجرّدها من المادة، والمتجرّد من المادة لا يقبل التجزئة، وهذا إذا كانت واحدة في القدم.

أمّا إذا كانت النفس متعدّدة في الأزل؛ فلا بدّ أن تختلف كلّ نفس عن صاحبيتها بالماهيّة، أو باللوازم والعوارض، وإلاّ لم يتحقق التعدّد والتكثّر^{١٩}(١).

واختلف أفلاطون عن الفلاسفة اليونانيين بقوله: «إنّ النفس قديمة»، وبما أنّ الوجود عند أفلاطون قائم على ثنائية عالم المثل وعالم الحس؛ فالنفس البشرية أيضًا ثنائية مؤلّفة من جوهرين: جوهر النفس في عالم المثل وهو خالد، وجوهر البدن في عالم الحس وهو

١٩ - (١) معالم الفلسفة الإسلامية، محمد جواد مغنية، دار القلم، بيروت، ١٩٧٣م، ص ٧٣.



فان، كما أنّ النفس المرتبطة بعالم المثل أزلية وأبدية تبقى بعد موت البدن^{٢٠}(٢).

وقسّم أفلاطون النفس البشرية إلى ثلاث قوى:

١- القوة الشهوانية، ومركزها الكبد.

٢- القوة الغضبية، ومركزها القلب.

٣- القوة العاقلة، ومركزها الرأس.

ويرى أن أقسى قوى النفس تلك القوة الشهوانية، وأرفعها القوة العاقلة؛ لأنّها ترتبط بالتأمل والتفكير، ووظيفتها السيطرة على القوتين: الشهوانية، والغضبية، وتلتصق الشهوات الحسّية الجسدية بالقوة الشهوانية، بينما تلتصق القوة الغضبية بالغرائز النبيلة والشريفة^{٢١}(١).

لم يكن أرسطو يؤمن بأنّ النفس قبل الجسد قديمة، بل أكّد أنّ وجود للنفس إلّا مع الجسد، ويرى أنّ النفس هي المبدأ الحيوي التام لأيّ جسم حيّ، ومجموع قواه وتفاعله، والنفس كمجموعة قوى الجسد لا تعيش بدونه، أي أنّها تفنى بفنائها، والنفس والجسد أشبه شيء بالشمع وشكله، يبدو انفصالهما في الفكر فقط، ولكنّهما في الحقيقة شيء واحد^{٢٢}(٢).

لذلك فإنّ أرسطو يعرف النفس بأنّها: «كمال أوّل لجسم طبيعي آلي له حياة بالقوة»، وهذا الكمال يصبح ناجزاً عندما تقوم النفس بوظيفتها على أكمل وجه تماماً، كما أنّ الكمال كالخنجر مثلاً وظيفته أن يقطع^{٢٣}(١)، إلّا أنّه رفض التناسخ وانتقال النفس من جسد إلى جسد؛ لأنّ النفس والجسد عنده طبيعة واحدة.

٢٠- (٢) الفلسفة العربية عبر التاريخ، رمزي نجار، دار الآفاق الجديدة، بيروت، ١٩٧٧م، ص ٢٦.

٢١- (١) الفلسفة العربية عبر التاريخ، رمزي نجار، دار الآفاق الجديدة، بيروت، ١٩٧٧م، ص ٢٧.

٢٢- (٢) قصة الفلسفة، مكتبة دار المعارف، ول ديورانت، بيروت، لبنان، ١٤٠٢هـ، ١٩٨٢م، ص ١١٦.

٢٣- (١) الفلسفة العربية عبر التاريخ، رمزي نجار، دار الآفاق الجديدة، بيروت، ١٩٧٧م، ص ٥١.



وكانت النفس مادةً خصبةً للعديد من الدراسات من قبل الفلاسفة العرب والمسلمين، فالفارابي لا يجوّز وجود النفس قبل البدن كما يقول أفلاطون، ولا يجوّز انتقال النفس من جسدٍ إلى جسد كما يقول التناسخيون، أمّا النفس بعد الموت البدني فلها سعادات وشقاوات^{٢٤} (٢)، وقد أخذ الفارابي من أرسطو مفهومه في النفس؛ فقرر أنّ الأنسان مثله مثل الحيوان، ما يشبه النفس الحيوانية التي تقوم بأفعالها بواسطة آلات جسمانية.

أمّا قوى الإنسان فهي القوة الغازية (النباتية)، والقوة المحرّكة (الحيوانية)، والقوة الحيوانية المدركة (الإنسانية)، أي أنّ النفس واحدة رغم تعددها، وقواها من مرتبة في الأدنى إلى الأعلى، ولكنه نفس تقسيم أرسطو إلى حدّ بعيد، وحاول الفارابي رغم جمعه لآراء أفلاطون وأرسطو، أن يوفّق بين الدين والفلسفة حول مصير النفس، إلاّ أنّه لم يوفّق بجعله خلود النفس وقفاً على النفس العالمة فقط، وأرجع النفس الجاهلة إلى العدم^{٢٥} (٣)، كما لم يوفّق حينما أنكر المعاد الجسماني واليوم الآخر، لذلك فإنّ الفارابي قد خلط بين جميع مذاهب الفلسفة في آنٍ واحد، ولهذا فإنّه ورّط الفلاسفة العرب وأوقعهم في حلقة التوفيق الفارغة^{٢٦} (١).

واهتمّ ابن سينا بالنفس؛ الأمر الذي يجعله في مقدّمة من شغلوا بموضوع النفس في الفلسفة العربية، والنفس عند ابن سينا هي جوهر قائم بذاته وحقيقتها مغاير للجسم وتميّز عنه كلّ التمييز، وهو مدرك المعقولات والمعاني الكلّية، وجوهر هذا شأنه لا يمكن أن يكون جسمًا ولا قائمًا بجسم، ذلك لأنّ النفس هي التي تجرّد الكلّيات من الكم والأين والوضع، وتستخلصها من الجزئيات فلا يمكن أن تضعها في حيّز جديد، ولن يصير الكلّي كليًا، ولا المعقول معقولًا بالفعل إلاّ إذا

٢٤ - (٢) من الكندي إلى ابن رشد، موسى الموسوي، بيروت، لبنان، ١٩٧٧م، ص ١٠٦.

٢٥ - (٣) الفلسفة العربية عبر التاريخ، رمزي نجار، دار الآفاق الجديدة، بيروت، ١٩٧٧م، ص ٩٨.

٢٦ - (١) الفلسفة العربية عبر التاريخ، رمزي نجار، دار الآفاق الجديدة، بيروت، ١٩٧٧م، ص ٩٨.

أصبح بعيداً عن عوارض المادة^{٢٧}(٢).

إذن؛ النفس عند ابن سينا جوهر روحاني فاض على القلب الجسماني وأحياءه، والجوهر الروحاني بسيط لا يفسد؛ فالفساد للأشياء المركّبة، كما لا تموت النفس، بل يموت البدن، وهي خالدة، إلا أنّ إثبات خلود النفس عند ابن سينا يكون علاقتها مع الجسد عرضية ليس بكافٍ؛ إذ لا يمنع أن تفنى بسبب آخر غير فناء البدن، كما أنّ علاقة النفس بالجسد لا يمكن أن تكون كعلاقة العصفور بعشّه، إذ بينهما نقاط جوهرية مشتركة، وإلاّ لما كان هذا الانسجام بينهما^{٢٨}(٣).

لقد ذهب ملاً صدرا الشيرازي إلى أنّ كلّ قوةٍ لأيّ جسمٍ طبيعي يكون من شأنها أن تفعل فعلاً باستخدام قوةٍ أخرى تحتها تعتبر (نفساً) بهذه الدلالة، بل تصبح جميع القوى النباتية والحيوانية والفلكية أنفاساً، وكذلك الطبائع كافة^{٢٩}(١).

وموقف الشيرازي هذا موقف جديد لما ذهب إليه الفلاسفة المتقدّمون، ولكنه يقرّر أنّ النفس ليست قوة مزاجية، بل هي جوهر.

ويؤكّد صدر المتألّهين في أسفاره إلى أنّ النفس لا تعرف بالحدّ؛ لأنّ الحدّ مرّكب من الجنس والفصل، ولا جنس وفصل للنفس؛ لأنّها جوهر بسيط^{٣٠}(٢)، وأنكر أشدّ الإنكار على من زعم أنّ علمها محجوب عن النبي الأكرم، فجهل النبي بحقيقة النفس يتنافى مع مرتبة النبوة.

ويرى الشيخ الأوحّد أنّ النفس لها أربع حقائق: نباتية، وحيوانية، وناطقة قدسية، ولاهوتية ملكوتية^{٣١}(٣).

٢٧ - (٢) من الكندي إلى ابن رشد، موسى الموسوي، بيروت، لبنان، ١٩٧٧م، ص ١٤٠.

٢٨ - (٣) الفلسفة العربية عبر التاريخ، رمزي نجار، دار الآفاق الجديدة، بيروت، ١٩٧٧م، ص ١٦٥.

٢٩ - (١) الفيلسوف الشيرازي، جعفر آل ياسين، مكتبة الفكر الجامعي، بيروت، لبنان، ١٩٧٨م،

ص ١٢٥.

٣٠ - (٢) فلسفات إسلامية، محمد جواد مغنية، دار الجواد، بيروت، لبنان، ١٩٩٣م، ص ٥٧٩.

٣١ - (٣) رسائل الحكمة، أحمد بن زين الدين الأحسائي، دار العلوم، بيروت، لبنان، ١٩٩٠، ١٤١٠م،

ص ٨٣.

«الحقيقة الأولى: النباتية، وهي نفس نامية تكوّنت من العناصر الأربعة، حيث امتزجت معتدلة، ومعنى امتزاجها أنّ الجزء الناري استحال هواءً وركد هو والجزء الهوائي، فكانا ماءً مع بقاء كيفهما، وجمداهما مع الجزء المائي وهو جزآن في الجزء الترابي، وذاب الجزء الترابي؛ فكُرت عليها عيطات العناصر، حتى كانت الأربعة شيئاً واحداً في دورين، وهو معنى اعتدالها؛ فكانت غذاءً معتدلاً؛ فجرى فيه أثر الشعور والإحساس والاختيار فتحرك ونما...».

«الحقيقة الثانية: النفس الحيوانية، وهي نفس حسّية تكوّنت من قوى الأفلاك؛ وذلك لأنّ العلقة الدم في تجويف القلب الصنوبري التي هي بمنزلة الفتيلة للسراج، فيها دم أصفر قد استتجت فيه الطبائع الأربع: الحرارة، والرطوبة، والبرودة، واليبوسة...».

«الحقيقة الثالثة: النفس الناطقة القدسية، وهي الشيء، أي الإنسان حقيقة، وأصله مركّب تركيبين في الخلق الأوّل من وجود وماهيّة، وفي الخلق الثاني من مادة وصورة...».

«الحقيقة الرابعة: النفس اللاهوتية الملكوتية، وهي قوة لاهوتية نورية وجوهرة بسيطة أصلها الربوبية، وهي حيّة بالذات، أي ذاتها حياة، وهي نور أخضر، منه اخضرت الخضرة، وهي مبدأ الموجودات...».

وفي هذا التقسيم للنفس نرى أنّ الشيخ الأوحّد لا يحاكي تقسيم النفس عند الفارابي وابن سينا وغيرهما، بل يذهب إلى تفصيل أدقّ، وربط من جهة أخرى تلك التفاصيل بالشارع المقدّس، فالنفس عند الشيخ الأوحّد تؤدّي وظائفها بواسطة آلات جسمانية، كما تقوم كلّ نفس حيوانية بهذه الوظائف.

فالنفس الأولى حقيقة نباتية، وهي قوة غازية، نمت وتكوّنت من الهواء والماء والنار والتراب، ولكنّ تكوينها تمّ بامتزاج طبيعي، وهذه النفس تعمل بواسطة أعضاء البدن، إلّا أنّ النفس النباتية تلك تتصف بالحياة، وهنا يلوح لنا توافق بين الشيخ الأوحّد وأرسطو في توسيعه



لنطاق النفس، عندما اعتبرها تتوزع على النبات والحيوان والإنسان، وتوافق آخر في تمازج تلك العناصر الأربعة التي ولدت الأنسجة الحية، إلا أن الشيخ الأوحـد صاغها بـقالب فلسفي توفـيقي جـديد.

أمّا النفس الحيوانية -عند الشيخ الأوحـد- فهي نفس مدركة وهي مجمع الحواس، وعندها القابلية على الحركة والشعور.

وإذا كانت الآثار هي القوى الفعلية للنفس الحيوانية؛ فإن النفس الناطقة القدسية ليست سوى النفس البشرية أو القوه العاقلة، وهي المعبر عنها بأنا والمعنى بأنت، وهي القوة العاقلة الناطقة لها حافظ تستمد منه، وهي التأييدات العقلية، وهي ليست نفساً واحدة؛ لأنّها تعددت مراتبها.

وتبقى النفس اللاهوتية (الملكوّية) فهي ذات الله العليا، وهي التي ذكرها المسيح عيسى بن مريم عليه السلام في قوله تعالى: ﴿تَعَلَّمْ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمْ مَا فِي نَفْسِكَ إِنَّكَ أَنْتَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ﴾ سورة المائدة: ١١٦.

لذلك فإن النفس عند الشيخ الأوحـد -كما أشرنا- ليست نفساً واحدة تترقى من الجمادية إلى النباتية، ومن النباتية إلى الحيوانية، ومن الحيوانية إلى الناطقة، ومن الناطقة إلى الإلهية، بل يؤكّد تعدد النفس بوضوح تام: «وأما أن النفس متعدّدة أم لا، فهذا تقدّمت الإشارة إليه بأنّها متعدّدة، وأنّها ليست بواحدة تترقى من أسفل إلى أعلى، بل كلّ واحدة في مرتبتها غير الأخرى، نعم؛ إذا كملت السفلى ظهرت لها العليا وتعلّقت بها، على ما أشرنا إليه على ترتيب ذكرها، لا غير لترتيب ذرّات الوجود على المقتضى الطبيعي»^{٣٢}(١).

وإذا كانت النفس متعدّدة، فهل كلّ واحدة من النفوس المذكورة قبل إيجاد البدن موجودة وشاعرة بنفسها؟ أم حادثة بحدوث الأبدان، مثل السكر في قصبه، ونور الشجر في شجره؟ أو هناك فرق بين النفس

٣٢ - (١) رسائل الحكمة، أحمد بن زين الدين الأحسائي، دار العلوم، بيروت، لبنان، ١٩٩٠، ١٤١٠م، ص ٨٨.





الناطقة وغيرها من النفوس؟

يجيب الشيخ الأوحّد: «إنّ النفوس إذا نسبتّها إلى الأبدان في التقدّم والتأخّر كان لها الحكماني؛ لأنّك إن أردت تقدّمها زماناً؛ فالأبدان متقدّمة زماناً على النفوس؛ لأنّ النطف تنزل من شجرة المزن...، فإذا انتقلت النطفة من رتبة إلى أعلى منها قربت النفس بجهة تعلّقها من الجسم، حتى تتم خلقته فتظهر فيه بإحساسها وشعورها، وذلك كالحلاوة في قصب السكر، والدهن في لبّ اللوز فإنّهما يظهران بالتدرّج، حتى يتم إيناعه، فيكون معنى تقدّم الجسم عليها في الزمان وجوده قبل ظهورها بإحساسها وشعورها، وإن أردت تقدّمها الذاتي في الدهر؛ فالنفوس قبل الأبدان؛ لأنّها حيث وجدت فهي قبل الأجسام»^{٣٣}(١).

وفيما أهمل العديد من الفلاسفة الخوض في تعدّد النفوس ووحدتها، فإنّ الشيخ الأوحّد تنبّه إلى هذا الجانب، فكلّ نفس لا تترقى من أسفل إلى أعلى، بل كلّ واحدة في مرتبتها غير الأخرى، وأنّ النفس لا تتصل بالبدن إلاّ بعد أن يكون له الصلاحية والاستعداد التام لقبول النفس، وهذا يعني أنّ الجمادات والنباتات والحيوانات غير صالحة لتقبّل الإنسانية، كما أنّ بدن شخص لا يصلح لأنّ يتقبّل نفساً أخرى غير نفسه المختصة به، ولا تنفك عنه بحال، وإلاّ لزم تخلف المعلول عن علّته، وإذا كانت نفس لا تقبل أن تتقل إلى بدن غير بدنها؛ فلا يشترك بدنان في نفس واحدة، ولا تقسمان في بدن واحدة.

ويقرّر الشيخ الأوحّد الإشكالية السابقة حول حدوث النفس وقدمها بمنطق فلسفي لم يسبقه إليه أحد: إنّ النفوس قبل الأجسام، في الدهر، فحدوثها الزماني وشعورها وإحساسها بعد وجود الأبدان، ووجودها الدهري وشعورها وإحساسها قبل الأبدان.

ولكن: ما هو مصير النفس عند الشيخ الأوحّد؟

٣٣ - (١) رسائل الحكمة، أحمد بن زين الدين الأحسائي، دار العلوم، بيروت، لبنان، ١٩٩٠، ١٤١٠م، ص ٨٨-٨٩.



لقد أجاب الشيخ الأوحـد -كعـادته- بشيءٍ من التفصيل والتجديد حيال مصير النفس، وفرّق بين النفوس الثلاث: «النفس الحيوانية، والتي قبلها هي النباتية، وهما إذا فارقتا بسبب تحلّل آلتهما؛ عادتا إلى ما منه بُدئتا عود مـمازجة لا عودة مجاورة؛ لأنّ النباتية تعود إلى الطباع الأربع، وما فيها من آثار الشعور والإحساس والاختيار تعود إلى النفوس الحيوانية وتلحق بها؛ لأنّها آثارها، كما يلحق نور الشمس المنبسط على الأرض بالشمس إذا غربت، والحيوانية تعود إلى نفوس الأفلاك؛ لأنّها آثارها كذلك»^{٣٤}(١).

أمّا النفس الناطقة القدسية، فيرى الشيخ الأوحـد مصيرها مختلفاً عن النفس النباتية والحيوانية: «وهذه إذا فارقت؛ عادت إلى ما منه بُدئت عود مجاورة لا عود مـمازجة؛ لأنّها خلقت للبقاء، فما فقدت نفسها، ولا تفقد نفسها أبداً»^{٣٥}(٢).

ونفهم من هذا التفصيل الدقيق لمصير النفس عند الشيخ الأوحـد، أنّ النفس النباتية والحيوانية تفنى، أمّا النفس الناطقة فهي تبقى، ولعلنا نؤكّد هنا أنّ النفس الناطقة هي النفس الإنسانية التي اتفق معظم الفلاسفة على أنّها خالدة بعد فناء البدن، واستدلّ الفلاسفة على بقاء النفس لأنّها جوهر بسيط قائم بذاته، فلا أجزاء لها كي تفسد بالانحلال، ولا هي قائمة بغيرها وعارضة عليه كي تنعدم بانعدامه، وعليه فلا تكون قابلة للفساد والفناء بحالٍ من الأحوال^{٣٦}(١).

ويرى البعض أنّ النفس هي الجوهر المجرّد من المادة ذاتاً المتعلّق فعلاً، فالنفس الإنسانية العاقلة مجرّدة من المادة، وهي جوهر؛ لكونها صورة لنوع جوهرى، وصورة الجوهر جوهر^{٣٧}(٢).

٣٤ - (١) رسائل الحكمة، أحمد بن زين الدين الأحسائي، دار العلوم، بيروت، لبنان، ١٩٩٠، ١٤١٠م، ص ٨٥.

٣٥ - (٢) المرجع السابق، ص ٨٦.

٣٦ - (١) معالم الفلسفة الإسلامية، محمد جواد مغنية، دار القلم، بيروت، ١٩٧٣م، ص ٧٥.

٣٧ - (٢) بداية الحكمة، محمد حسين الطباطبائي، ص ١٠٢.

ومن خلال الاستعراض السابق، والذي أوردناه مفصلاً في كتابنا (آخر الفلاسفة، ص ١٢٠ - ١٣٥) يمكن أن نصل إلى مفهوم النفس عند مرجعنا أبي خمسين، والتي تعرّض لها في العديد من كتبه، كما في (الرسالة الخرسانية) و (مفاتيح الأنوار) وغيرهما.

ويمكن إدراك البعد المعرفي، والعمق الحكمي حين مراجعة معنى النفس عند مرجعنا أبي خمسين في العديد من مصنّفاته، أو كما شرحها وفصّلها في رسالته الخرسانية، حيث أشار إلى تعدّد إطلاقات النفس عند الشّراح، وعدّد منها أربعة عشر إطلاقاً: الشخص بتمامه، الفؤاد، النفس الناطقة القدسية، العقل، النفس الحقيقية، الحيوانية، النباتية، الأمارة بالسوء، اللّوامة، الملهمة، المطمئنة، الراضية المرضية، والكاملة.

وتلك الإطلاقات للنفس استمدّها مرجعنا أبو خمسين من القرآن الكريم، وروايات آل البيت عليهم السلام، كما أنّ تلك الإطلاقات، تدلّل على الإضافات الحكمية لمرجعنا أبي خمسين، فالشيخ أخذ عن علماء مدرسة آل البيت الحكمية العديد من الأسس والمفاهيم الحكمية، وأضاف عليها، وشرح البعض الآخر، ووضّح، وحاور الفلاسفة الآخرين، وأشكل عليهم، ونقض أدلتهم التي لا تتوافق مع حكمة مدرسة آل البيت الحكمية.

فعندما تعرّض الشيخ أبو خمسين للنفس الناطقة، ابتدأ في بيان تنزّلها، أي أنّ حكّمته ابتدأت بتنزّل النفس من عوالم الموجودات إلى عالم الماديات، وتعلّقها بالثقل في عالم الماديات، وشرح كيف تعلّقت النفس بالثقل من ناحية الكم، والكيف، والجهة، والرتبة، والزمان، والمكان، وهو معنى تعلّقها.

وللشيخ أبي خمسين إضافة هامة حين يشرح معنى تنازلات النفس وتعلّقها بالثقل، فالنفس الناطقة القدسية أوّل تعلّقها بالعقل، وهو أوّل ملك من الروحانيين.

أمّا تنزّل العقل إلى النفس الناطقة فهو عند أبي خمسين مادة

وصورة، العقل هو المادة، والصورة هي النفس الناطقة، فالعقل له رتبة الإجمال، أمّا رتبة التفصيل فهي للنفس، والأرواح مغايرة للعقل والنفس في الإجمال والتفصيل، عندها تمّ الإنسان الغيبي الباطني، وبهذا الوضوح، والشرح يخالف الفلسفة المتعالية: «له مرتبة إجمال في باقي تنزلاته فيه على سبيل الإجمال مذكورة معنًى، وليس بسيطاً كما ذهبت إليه طائفة من الحكماء، مثل: ملاّ صدرا الشيرازي، حيث قال: إنّه بسيط الحقيقة كلّ الأشياء؛ لأنّه مبدأ التمييز، وهو لا يحصل إلاّ بالحدود، يعني كونه محدوداً بها لمكان التميّزات المحدودة؛ لأنّ المناسبة بين المدرك والمدرك واجبة، فإذا لم يكن محدوداً لم يدرك»^{٣٨}(١).

ويفسّر الشيخ أبو خمسين بشكل دقيق، إجمال العقل وتفصيل النفس، وكيف تنزّلت الطبيعة إلى رتبة المادة، طالما هي مظهر الرقائق، وعنده أنّ المادة تنزّلت إلى رتبة المثال، وهو مظهر النفس، حينها وجد الإنسان الظاهري، باقتران الطبيعة بالمادة، وباقترانهما -أي الطبيعة والمادة- كان المثال، عكس الإنسان الباطني الذي حصل من اقتران العقل بالرقائق والنفوس.

ولا بدّ من الإشارة إلى أنّ أبا خمسين يعني بالغيبي المعنوي، وهو هنا -أيضاً- يخالف الحكماء السابقين: «فإذا عرفت هذا القدر من الكلام في هذا المقام، فاعلم أنّه ليس تنزّل النفس في هذه الأطوار تنزّل عليّة ومعلولية، ولا هبوطها في هذه الشؤونات هبوط أثرية ولا مؤثرية، كما ذهب إليه بعض الحكماء بأنّ هذه الشؤونات كلّها آثار تلك؛ لثبوت أنّ التفصيل ليس أثراً للإجمال، بل هو رتبة ثانية له، وإلاّ يلزم أن يكون الشيء المركّب منهما مركّباً من كونه أثراً ومؤثراً، وهذا خلف»^{٣٩}(١).

٣٨ - (١) مفاتيح الأنوار في بيان معرفة مصابيح الأسرار، محمد بن حسين أبو خمسين، دار المحجة البيضاء، بيروت، ٢٠٠٣م، ص ٣٤.

٣٩ - (١) مفاتيح الأنوار في بيان معرفة مصابيح الأسرار، محمد بن حسين أبو خمسين، دار المحجة البيضاء، بيروت، ٢٠٠٣م، ص ٣٦.



ويذهب مرجعنا أبو خمسين إلى أنّ الإنسان قد حصلت له في تنزلاته القشرية والأثرية أطوار عديدة، وثبتت له عدّة من النفوس، وليست نفساً واحدة فقط، ويورد العديد من الأدلّة والبراهين على هذا الرأي، فهناك النفس الملكوتية الإلهية، والناطقة القدسية، والحيوانية، والنباتية، كما بيّنها الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام في حديثه لكميل بن زياد النخعي، بل إن لكلّ نفس من هذه الأنفس قوى وخاصيتان، ويبيّن أبو خمسين أنّ هناك أسباباً، تجعل من النفس تكره مفارقة الأبدان: «تكره مفارقة الأجسام؛ لسيانها الوطن الحقيقي، ومنزلها الأصلي، ولا تذكر ذلك الوطن إلا بعد تصفيتها عن هذه العوارض، وتخلّصها عن هذه العلائق الدنيوية الدنية، ولهذا قال أمير المؤمنين عليه السلام: «خلق الإنسان ذا نفس ناطقة، إن زكّاهما بالعلم والعمل فقد شابته جواهر أوائل عللها، وإذا اعتدل مزاجها وفارقت الأضداد فقد شارك بها السبع الشداد»، يعني: أنّها تشابهها في تأثيراتها وفعاليتها، وقيل: إنّ المراد من السبع الشداد هو الأفلاك، يعني: كما أنّ الأفلاك تؤثر في الأرض بحركتها، وتنمو الأرض ببركتها، ولولاها لبطلت جميع الأجسام السفلية، كذلك النفس الناطقة تفعل في الأشياء، وتؤثر فيها، وتنفع لها، ولولاها لبطلت جميع الأبدان، وقيل: إنّ المراد من السبع الشداد هو السبع المثنائي التي بها فتح الله الوجود، يعني: كما أنّ جميع الكائنات خضعت وذلت لها، وأنّ جميع السواكن والمتحرّكات سكنت وتحركت بها، كذلك النفس الناطقة إذا زكّيت بالعلم والعمل - حتى تكون مشابهة لها - تفعل فعلها»^(١).

٤٠ - (١) مفاتيح الأنوار في بيان معرفة مصابيح الأسرار، محمد بن حسين أبو خمسين، دار المحجة البيضاء، بيروت، ٢٠٠٣م، ج ٢، ص ٥٤-٥٥.





الفصل الرابع

مرجعنا أبو خمسين





الولادة المباركة:

لم تكن (شيراز) تلك المدينة الفارسية الغافية عند أرجل الخليج تعلم بأنّها حينما أنجبت الطفل (محمدًا أبا خمسين) في عام ١٢١٠هـ أنّه سيضحى مرجع الشيعة الكبير في معظم بلدان الخليج، ولم تكن شيراز تدرك أنّ ذلك الطفل ليس إلاّ (بحر الله المحيط)، ولو علمت شيراز تلك البلدة الصغيرة بخطر الطفل الصغير الذي احتضنته في أيامه الأولى لتاهت به فخرًا على كلّ بلدات الخليج قاطبة.

لقد ولد الشيخ محمد أبو خمسين بعيدًا عن موطن الآباء والأجداد -الأحساء-؛ حيث ولد في شيراز بإيران من أمّ علوية، ومذ أبصرت عيناه النور أبصرت طرق شيراز وأزقتها، وقرعت أذنيه الصلوات على محمد وآل محمد، تردّدها أمّه العلوية، إلاّ أنّ المعوقات والظروف منعت السيّدة العلوية من المجيء إلى الأحساء برفقة زوجها الشيخ حسين؛ فبقي الطفل الصغير مع أمّه في شيراز، وترعرع في بيت علويّ طاهر وبيت سيادة، حيث وجد العطف والحنان والرعاية والاهتمام، بل وأخذ الصغير نصيبه من التعليم، فحفظ القرآن الكريم، وتعلّم العربية من معلّم عربي، هذا الاهتمام الذي أولته له أمّه في صغره -بتوجيه من والده الشيخ حسين- كان له أكبر الأثر في تكوين نفسيّة هذا الطفل الصغير، وكأنّ القدر يهيّئه ويدّخره لقيادة المسلمين في معظم بلدات الخليج^(١).

ولم تمض سوى سنوات عشر، حتى تهيّأ الصبي الصغير للعودة لأرض الوطن وللديار، بعد أن احتجز في داخله كلّ ذلك الشوق الكبير؛ لرؤية الأب والأهل والأقارب، وبالفعل وطئت قدماه أرض الأحساء عام ١٢٢٠هـ، ليبدأ مرحلة جديدة من حياته، وليكتب بحروف من نور كلّ صفحات حياته القادمة، حيث عاش في كنف والده، بيت العلم والتقوى والورع، كما أنّه بيت دين ووجاهة.

١ - (١) انظر: في محراب الشيخ محمد بن حسين أبي خمسين، موسى الهادي، دار العروة الوثقى، بيروت، ١٤٢٥هـ، ص ٥٥.



وفي كنف الوالد عرف من جديد طعم عناية ورعاية الأب، الذي حرص على تحفيظه القرآن الكريم، وتفسيره، وتوجيهه، ورعايته، ولقد توسّم فيه ملامح النبوغ والذكاء، وشغفه بالعلم، فعكف على تدريسه وتوفير المعلمين له، إلا أنّ الصبي الذي فارق شيراز متشوقاً للأحساء، حنّ من جديدٍ لأمّه ولمسقط رأسه شيراز؛ فبات يناجي أمّه كلّ ليلة، معللاً النفس لرؤيتها سريعاً، ومصبّراً نفسه إلى السفر هناك في يوم من الأيام، حتى تمكّن يوماً من السفر إلى أمّه في شيراز، ويتزوّد من عطفها وحنانها.

العودة للجذور:

عاد الشيخ محمد بن حسين أبو خمسين إلى موطن الأجداد والآباء، فهو ينتمي إلى أسرة كبيرة وعريقة من أشهر أسر الأحساء في تاريخها المعاصر، ألا وهي أسرة آل أبي خمسين، الأسرة التي ذاع صيتها وشهرتها؛ بسبب كثرة العلماء والفضلاء فيها، وهذه الأسرة - في الأصل - تنتمي بدورها إلى قبيلة الخماسين المتفرّعة من بني وداعة، التي اتخذت من وادي الدواسر موطناً لها، وفي مدينة الهفوف اتخذت من اسمهم اسمًا لها (الخماسين)، وكلّ من ينتسب إلى هذه الأسرة فهو (خماسيني، ودعاني، دوسري)، ومعروف أنّ بني وداعة ينتمون إلى همدان القبيلة اليمنية المشهورة التي تشتهر بولائها للإمام علي بن أبي طالب وللائمة من بعده عليهم السلام أجمعين. وهمدان تنتمي إلى قحطان بن يعرب الذي يرجع نسبه إلى نبي الله هود عليه السلام^(١).

ومع مرور الزمن ولصعوبة التلفّظ باسم (الخماسين) في اللهجة الأحسائية؛ خُفّ إلى (آل أبي خمسين) أو (أبي خمسين)، فكان لهذه العائلة دور مشرّف في تاريخ الأحساء جعلها في مقدّمة المجتمع،

٢ - (١) في محراب الشيخ محمد بن حسين أبي خمسين، موسى الهادي، دار العروة الوثقى، بيروت، ١٤٢٥هـ، ص ٣٦.

وعلى الخصوص في الجانب العلمي الديني؛ حيث تميّزت هذه الأسرة بإنجاب العديد من العلماء والوجهاء^٣(١)، ورغم ذلك فحقيقة مجد الأسرة يبدأ ويسمو بمرجعنا الشيخ محمد بن حسين أبي خمسين، أبرز أعلام مدرسة آل البيت الحكيمية التي ترعّمها الشيخ الأوحّد.

وعند عودة الصبي إلى الأحساء بكلّ لهفةٍ وشوقٍ إلى أرض الأجداد، أقبل يلثم يدي والده، وأقبل على الدرس والمطالعة وطلب العلم، فتلمذ على يدي والده وعلى بعض مشايخ الأحساء المعروفين في ذلك العصر، من أمثال: الشيخ أحمد الصفار، فأنهى المقدمات من نحوٍ وصرفٍ وبلاغةٍ ومنطق، وما إن شارف الشاب الأحسائي محمد أبو خمسين على العشرين من عمره حتى قطع شوطاً بعيداً في العلوم الدينية والفقه والأصول والعربية، وحينما تمنّى عليه أبوه الشيخ حسين أن يواصل طلب العلم الشرعي بشدّ الرحال إلى عاصمة العلم (النجف الأشرف) لبلوغ الاجتهاد، ارتأى هو أن يترث قليلاً حتى يكمل نصف دينه، وشرع الشيخ محمد في ترتيب أموره الحياتية، مفكّراً في حال وطنه الذي تتقاذفه التيارات السياسية والاجتماعية، ويعيش في تخبطٍ إدارياً تحت حكم أمراء الخوالد؛ حيث لم يكونوا قادرين على ضبط الحالة المعيشية والاجتماعية والإدارية في الأحساء.

كانت الأوضاع في تلك الأيام لا تدعو إلى الاطمئنان، وكثرت غارات القبائل من العجمان وغيرها، مثل: بني مرّة التي تعتدي على أهالي الأحساء بسطوها المسلّح من حينٍ لآخر، فيسلبون الفلاحين أرزاقهم من محاصيل الغلال الزراعية، وينهبون الفقراء ممتلكاتهم، ولم يكن ذلك يرضي أهل الأحساء، وخاصة من ذوي الضمائر الحيّة والنفوس الشقّافة، وعلى رأسهم الشيخ محمد أبو خمسين، وهو الأمر الذي جعل من الشيخ محمد ينتظر، ويتأخّر في مشروعه الدراسي بسبب سوء الأوضاع في منطقة الأحساء، فكيف ينصرف إلى طلب

٣ - (١) انظر: (كتاب الشيخ باقر أبو خمسين علم وعطاء وأدب)، محمد علي الحرز، دار الخليج العربي للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، ١٤٢٠هـ/ ١٩٩٩م، ص ٢٢.

العلم، والأحساء تتعرّض للسلب والنهب والسطو من حين لآخر، فكان يتحرّق ليعمل شيئاً تجاه تلك الغارات الهمجية، ومن جهةٍ أخرى كانت ظروف والده الشيخ حسين المادية صعبة جداً، ووالده الشيخ حسين هو كبير عائلة آل أبي خمسين، ومنزله مفتوح للفقراء والجرحى والمرضى وللضيوف من كلِّ مكان، فلم يكن يرغب أن يزيد على أعباء أبيه أعباءً بسفره لتحصيل العلم الشرعي، إضافة إلى عبء عائلته، سواء تركها في الأحساء، أو أخذها معه.

وبناءً على العوز والحاجة التي كان الشيخ يمرّ بها، ورغبة منه في مدِّ يد العون إلى والده؛ فقد عمل في مجال العمل الزراعي، وكان النجاح حليف الشيخ في كلِّ مجالات العمل التي طرقها؛ لجدّيته وعلوّ همّته، وكان لقب (الشيخ) ملازمًا للشيخ محمد قبل أن يضع العمامة، وفي الميدان الزراعي اشتغل في مزارع والده، وعمل بيديه الشريفتين، وكان يوجّه الفلاحين كلِّ صباح إلى الإتقان في العمل، وجدد في أساليب الزراعة، بل ابتكر طريقة متطورة لتخزين التمور، وذلك حينما قام بتصميم (الجندوج) وهو عبارة عن غرفة تخزين صغيرة، تتميز بنظافة الأرض وإحكام السقف، بحيث لا يتسرّب إلى ما فيها المطر ولا يطاله التراب والغبار، ويصفّ على أرضه جريد النخل ليشكل قاعدة خشبية مسطّحة، ويوضع عليها التمر فتفصله عن الأرض وتعزله عن الرطوبة، والتمر في الأساس يكون معبأ في أكياس من سعف النخيل، وفيما بعد عندما ظهر الإسمت صارت الأرض تغطّى به؛ ليستفاد من جميع الدبس المنصهر بفعل الضغط والحرارة من أكياس التمر المعروفة باسم (القلال) أو (المحاصن)، وبهذه الطريقة السهلة أمكن تخزين التمر لمدة سنة وأكثر، ومما يعزى إليه أيضًا العمل على تنظيم وتطوير آلية الريّ من (عين الخدود).

أمّا عمله في مجال خياطة المشالح (البشوت)؛^٤ (١) فقد أقام الشيخ مشغلًا أو مجلسًا كما كان يسمّى في ذلك الوقت، ضمّ العديد

٤ - (١) البشوت: العباءات الرجالية التي يتزيّا بها أبناء الخليج والجزيرة العربية.



من العاملين المهرة الفنيين (المخايطة)، وكان الشيخ هو المعزب (رئيس العمال)، كما كان يعمل بيديه لإجاده هذه الصنعة التي أضاف إليها الكثير من إبداعاته، فقد لاحظ الشيخ أنّ خيوط القصب المذهب (الزري) خلال التطريز لا تكاد تغطّي الأرضية الداكنة للعباءة مما يعيب التطريز المعروف باسم (الكرمك)؛ فابتكر طريقة تتضمّن وضع بطانة صفراء مكان القصب قبل البدء بالتطريز؛ ليخفي لون الأرضية الداكن تمامًا، وأضفى ذلك على (الكرمك) مزيدًا من اللمعان والبريق.

ويتّضح لنا من خلال سيرة الشيخ محمد بن حسين أبي خمسين تمتعه بالذكاء والإبداع في كلّ عمل يقوم به منذ بدايات صباه وشبابه، وكان قدس سرّه يتميّز بالطموح والتفوق^٥(١).

بداية الانطلاق:

هناك شخصيتان متناقضتان: شخصية قنوعة في طموحها، وقاصرة في تفكيرها، تميل للانطواء والانعزال، وشخصية أخرى عالية الهمة، تطاول بطموحها أعالي السماء، والشيخ محمد أبو خمسين ضمّ بين جوانحه تلك الشخصية الطموحة، عالية الهمة والعزيمة؛ حيث لم تقبل شخصيته إلا أن تصفّ إلى جانب النجوم.

وصحيح أنّ الشيخ أبا خمسين انتظر إلى أن وصل سنّ الخامسة والثلاثين من العمر، وهو يعمل في الفلاحة معيّنًا لوالده، مقدّمًا واجب إعالته لأسرته على الانصراف من جديد للسفر، وطلب العلوم الشرعية، إلا أنّ هذا الانتظار لم يطل أكثر من ذلك، وكان للحادثة التي جرت بينه وبين أحد أصحابه من المشايخ - بمحضر والده - أثرها الكبير، عندما بادره صاحبه بمسألة شرعية فارتج عليه الجواب، وغابت عنه المسألة،

٥ - (١) في محراب الشيخ محمد بن حسين أبي خمسين، موسى الهادي، دار العروة الوثقى، بيروت، ١٤٢٥ هـ، ص ٦٥.



فألقي عليه مسألة ثانية، وثالثة، وعجز الشيخ عن الإجابة عن جميعها، وغاص في ثوب الخجل، إلاّ أنّه شعر من جديد بأهمية العودة للدراسة والتحصيل العلمي؛ حتى لا تمرّ الحياة عليه سريعاً من دون علم، فالحياة من دون علمٍ موت حقيقي.

وشعر الشيخ محمد أنّه لو كان مجتهداً لاستطاع أن يستنبط حكم أيّ مسألة بالأدلة الشرعية، حسب القواعد الأصولية المتبّعة في الاستنباط، ولما استعصت عليه أيّ مسألة.

ولأنّ شخصية الشيخ - كما ذكرنا سابقاً - كانت ذات همّة عالية وعزيمة صادقة؛ فقد قرّر في لحظة حاسمة أن يعود لسيرته الأولى، ويواصل تحصيله العلمي؛ حتى ينال المرتبة العلمية العالية، ويحقّق أمنية والده الغالية في نيل مرتبة الاجتهاد، فصقّى أعماله في البساتين والخياطة، وعقد عزمه وحزم أمتعته متوجّهاً إلى النجف الأشرف.

وصل الشيخ محمد إلى النجف الأشرف عام ١٢٤٥ هـ، وهي مدينة العلم والعلماء، وعاصمة الفقه الشيعي لقرون عديدة، ومد وطئت رجلاه أرض النجف الأشرف ازدادت دقات قلبه هيبّةً وحبّاً لهذه المدينة، فبدأ بالبحث عن معارف أبيه، وعن طلبة العلم والمشايخ الأحسائيين؛ يستشيرهم في كيفية البدء في درسه، وبعد التعرّف والمشاورة على حلقات الدرس هناك؛ اختار بحوث كبار علماء الطائفة في ذلك الوقت؛ فحضر درس آية الله الشيخ علي كاشف الغطاء، ودرس عند غيره من علماء النجف الكبار أيضاً.

وبعد أن بلغ الشيخ أبو خمسين مستوى معيناً من العلم توجه إلى مدينة كربلاء، فحضر عند العديد من الأعلام هناك، يقول الشيخ كاظم الصحاف في مخطوطة (تذكرة الأشراف) عن شيخنا أبي خمسين: «توجّه إلى النجف الأشرف، فجدّ في دروسه على أيدي فضلائها والأتقياء من علمائها، حتى أنهى جميع كتب السطوح محصلاً، ثم ارتقى للبحث الخارج حاضرًا عند منابر فقهاء الدين، ومراجع الشرع المبين، فأقام



عندهم مدّة من السنين حتى قارب مدرك الاجتهاد وأشرف على نيل السعادة والمراد، ثم توجّه من النجف إلى كربلاء، فحضر عند علمائها الأعلام ومراجعها حجج الإسلام مدة من السنين والأعلام حتى أدرك الاجتهاد فاستجاز منهم، فأجازوه إجازة دراية واجتهاد لا رواية وإسناداً.

ويبدو أنّ رحلة الشيخ إلى كربلاء المقدّسة لم تكن مباشرة من مدينة النجف الأشرف، بل كانت بعد رجوعه إلى الأحساء بإجازة الاجتهاد من مراجع النجف العظام، فبعد أن مكث في الأحساء فترة شدّ الرحال إلى كربلاء عام ١٢٥٢ هـ.

وينقل لنا الشيخ موسى الهادي حكاية مؤثرة عن تواضع الشيخ محمد أبي خمسين وورعه واحترامه لأبيه، فعندما رجع إلى الأحساء استقبله الوالد والأهل والأقارب، وظنّ والده أنّ السنوات السبع التي قضها الشيخ في النجف لم تكن كافية لنيله إجازة الاجتهاد، ولتواضعه الشديد لم يخبر أحداً بهذا الأمر، حرصاً على مقام أبيه وكذلك لشعوره بالخجل، ففضّل السكوت، واستأنف أعماله السابقة من الاعتناء بالبساتين والزرع، إلى أن زار الأحساء بعد فترة من الزمن أحد مشايخ القطيف، وهو الشيخ علي بن الشيخ أحمد بن الشيخ حسين آل عبد الجبار؛ ليستطلع أحوال الشيخ، ويسأله عن بعض المسائل العلمية، فذهب إلى مسجد الشيخ فقابل والده الشيخ حسين، وسأل عن الشيخ محمد فقالوا له: إنّهُ بالبستان، حتى انتهى النهار وأظلم الليل، فسأل الشيخ الزائر مرةً أخرى عن الشيخ محمد، فأجابه الوالد أنّ الشيخ محمد عاد من النخل، وسوف يأتي بعد أن يضع الأعلاف للدواب، فاستنكر الضيف الزائر ذلك، وكرّر سؤاله ليتأكّد، فأعادوا عليه نفس الجواب، فقال في ذهول:

- هل تفضّلتُم: أن الشيخ محمد العالم المجتهد هو الذي يضع الأعلاف للدواب؟! -

- الشيخ محمد مجتهد؟! -

- أجل، مجتهدٌ ولديه إجازة من العالم الكبير الشيخ علي كاشف الغطاء،





ومع ذلك هو الذي يعلف الدواب يا شيخ؟ إنها كبيرة!

فلما سمع والده الشيخ حسين بذلك لطم على رأسه، وراح يؤنّب نفسه تارةً، وتارةً أخرى يؤنّب ابنه الذي أخفى هذا الأمر عنهم، ويقول متندماً:

- ماذا جرى؟ وماذا دهاني؟! اغفر لي يا رب، وسامحني!، سامحك الله يا بني! أتريد أن تحرقني بنارك؟ أيصحّ أن تتركني في غفلة عن أمر اجتهادك؟!

وهرع الأب مسرعاً إلى ابنه الشيخ محمد العالم المجتهد، وقد كبر في عينه لفرط تواضعه وأدبه وبرّه بوالده، وأخذ يشيد بخلقه وأدبه، وفي اليوم التالي قام الشيخ حسين خطيباً أمام المصلين في المسجد، وأعلن عن نبأ بلوغ ابنه مرتبه الاجتهاد، وقدرته على التصديّ لأمر المرجعية والقيادة، كما أعلن رجوعه شخصياً لابنه الشيخ محمد في التقليد.

ومنذ ذلك اليوم أصبح الشيخ محمد أبو خمسين مرجعاً للتقليد في الأحساء، ولم يكتفِ بالمستوى الذي وصل إليه، وإنّما ظلّت نفسه تتطلع إلى دور أكبر، ورغبة في ملء الفراغ الذي خلفه الشيخ أحمد بن زين الدين الأحسائي، ومما شجعه على ذلك أنّ والده الشيخ حسين بن عليّ أبا خمسين شخصياً، وأهاليّ الأحساء كانوا متعطّشين لأفكار الشيخ الأوحّد، ولا سبيل إلى ذلك إلا عن طريق النهل من معينه العذب، والذي لا يوجد إلاّ حيث مدرسته وكبار تلامذته في كربلاء المقدّسة، حيث يقيم تلميذه الكبير السيّد كاظم الرشتي، فعزم على شدّ الرحال من جديد إلى كربلاء؛ ليتزوّد من معين مدرسة آل البيت الحكيمية^(١).

٦- (١) في محراب الشيخ محمد بن حسين أبي خمسين، موسى الهادي، دار العروة الوثقى، بيروت، ١٤٢٥هـ، ص ٧٥-٧٧.



أساتذته ومشايخه:

أولاً: والده الشيخ حسين بن الشيخ علي آل أبي خمسين (ت ١١٧٠هـ) تقريباً، حيث درس على يديه المقدمات في الأحساء، بعد مجيئه من شيراز، ويكنّ الشيخ محمد لوالده الكثير من الاحترام والتقدير، حيث يقول عنه في مفاتيح الأنوار: «فخري وعزّي وسندي ومعتمدي وشيخي، والدي العزيز».

ثانياً: الشيخ أحمد بن الشيخ محمد بن مال الله الصفار (ت ١٢٦٧هـ)، وتلقّى الشيخ محمد دروسه الحوزية على يديه في الأحساء أيضاً، وبعد من أعلام القرن الثالث عشري الهجري، ويرجّح البعض أنّه من تلامذة الشيخ أحمد بن زين الدين الأحسائي، إلا أنّ الشيخ الصفار أصبح لاحقاً أستاذاً في الحوزة العلمية التي أسّسها الشيخ محمد أبو خمسين بعد رجوعه من العراق.

ثالثاً: الشيخ علي بن الشيخ جعفر كاشف الغطاء (ت ١٢٥٣هـ)، أستاذ الشيخ الأنصاري، من أكابر فقهاء الشيعة ومجتهديها، ومن أعلام النجف الأشرف، وكان له بحث الخارج، وشيخنا الفاضل أبو خمسين ممّن حضر بحث الخارج لديه، وحصل منه على إجازة دراية بالاجتهاد.

رابعاً: السيّد كاظم بن السيّد قاسم الرشتي (ت ١٢٥٩هـ)، وهو أحد أكابر علماء كربلاء المقدّسة، ومن تلامذة الشيخ الأوحد رضوان الله عليه، درس الشيخ أبو خمسين على يديه الحكمة في كربلاء، وأجازته إجازة معنونة بالرواية والدراية.

خامساً: الملاً حسين بن مولى قلي الكنجي التبريزي، من أعلام كربلاء، ومن العلماء المعروفين فيها، له إجازة فخمة يعرب فيها عن انطباعاته بعد رؤيته لكتاب الشيخ أبي خمسين مفاتيح الأنوار، وهي إجازة بالاجتهاد والدراية.

سادساً: الميرزا محمد حسين التبريزي، الملقّب بمحيط الكرمانى،

من كبار علماء الشيعة، حضر عنده شيخنا أبو خمسين للدرس، وأجازه إجازةً يعترف فيها بأفضلية الشيخ، وذلك بعد إجازة السيّد كاظم الرشتي له .

سابعاً: العالم الكامل حجة الإسلام الملاّ أبو تراب القزويني، من علماء كربلاء، وكان الشيخ يحضر عنده ساعة بعد الظهر؛ للمباحثة فيما يطرحه جناب السيّد، وكانت تلك المباحثة للشيخ بمثابة الدروس التمهيدية لاستيعاب أبحاث السيّد.

ثامناً: الحاج الميرزا حسن كوهر (ت ١٢٦٦هـ)، وهو من مشاهير علماء كربلاء ومدرسة آل البيت الحكيمية، درس الشيخ محمد أبو خمسين على يديه في كربلاء المقدّسة، وأجاز شيخنا بعد أن حضر عنده في عام ١٢٥٩هـ، كما ينقل الشيخ موسى الهادي، ولكن لم يثبت حضور الشيخ أبي خمسين أيّاً من دروس الميرزا حسن كوهر^(١).

وقد أضاف الشيخ موسى الهادي كذلك الميرزا محمد باقر الإسكوثي (ت ١٣٠١هـ) بأنّه من أساتذة الشيخ محمد أبي خمسين أيضاً، ولكن لم يثبت أنّ أبا خمسين قد حضر أيّاً من دروس الإسكوثي، ونعتقد أنّه اشتباه من المؤلف^(٢).

ملاحح شخصيته:

أشرنا فيما مضى إلى شخصية الشيخ محمد أبي خمسين الطموحة العالية الهمة، ونؤكد هنا إلى أنّه امتلك العديد من ملاحح الشخصيات العظيمة، ويذكر الشيخ موسى الهادي في كتاب (محراب الشيخ أبي خمسين) عدداً من سمات وملاحح شخصيته، فالشيخ جعل

٧- (١) في محراب الشيخ محمد بن حسين أبي خمسين، موسى الهادي، دار العروة الوثقى، بيروت،

١٤٢٥هـ، ص ٨٣.

٨- (٢) المصدر السابق، ص ٨٤.



من نفسه قدوة وأسوة، وقبله القاصدين، ومحط الأنظار، لما اتسم به من صفات وسجايا أصيلة؛ فأحبه قومه لما لمسوه فيه من الإخلاص والتقوى والجد، ومخافة الله سبحانه وتعالى، ومن أهم ملامح شخصيته:

أولاً: الزهد والنصيحة.

ثانياً: التواضع الجم.

ثالثاً: الجد والفاعلية.

رابعاً: الجود والكرم.

خامساً: القدرة الإدارية.

سادساً: الروح الاجتماعية.

سابعاً: القدرة على صنع الكوادر.

ثامناً: الشجاعة والكرم.

تاسعاً: الفراسة.

عاشراً: روح المبادرة.

وهذه الصفات ليس من الغريب أن تتسم بها شخصية مثل شخصية مرجعنا أبي خمسين، الذي يعد من أكابر علماء الأحساء، ومن أكابر مراجعنا الشيعة في القرون المتأخرة.

وقد تناقل الأجداد عن آبائهم سمات وصفات شخصية شيخنا أبي خمسين، ونقلوا لنا حكايات عنه تشير إلى مكانته العالية، وشخصيته الفذة، بل إن بعض الوثائق التاريخية، وفي صدد حديثها عن مجريات الأمور في الأحساء إبان العهد العثماني، أشارت إلى دور الشيخ محمد أبي خمسين الرائد في تلك الأيام، في الذود عن مجتمعه بما حفظ تماسكه، كما تشير بعض المخطوطات والترجمات إلى شجاعته،





وعلاقته المتكافئة بالسلطات العثمانية في ذلك الوقت.

كان شيخنا ومنذ نعومة أظفاره معروفًا بالنباهة والذكاء، والعزم، وروح المبادرة، والتي لا تتأتى إلا للشخصيات ذات الهمة العالية، ولا تنشق إلا من قلب وقاد، وعزيمة ثابتة، وتصميم جبار وهذا ما اتسمت به شخصية الشيخ قدس سره، الذي عُرفَ بمسكه لزمّام المبادرات وخاصة في الأوقات الصعبة، عرفته الأحساء وهو يتصدى لأصعب المواقف الحياتية، ويتخذ أصعب القرارات في المجتمع الأحسائي.

وعلى الرغم من أن المجتمع الأحسائي مجتمع يتسم بالفقر، إلا أن الشيخ عُرفَ بالكرم، وكان يساعد الفقراء والمساكين في السرّ والعلن^٩(١).

نشاطه الاجتماعي:

عصفت بالمجتمع الأحسائي العديد من القضايا السياسية، والاجتماعية، والفكرية، منذ تعرّضه للنفوذ البرتغالي، إبان القرن الخامس عشر الميلادي، ومن بعد مجيء العثمانيين لحسم هذا النفوذ لصالحهم، لم ينفك المجتمع الأحسائي إلا أن يكون مسرحًا تعاركت على أرضه العديد من القبائل العربية، وخاصة مع ظهور الاستعمار البريطاني في القرن التاسع عشر الميلادي، كقوة ضاربة في المنطقة، حيث كانت التوتّرات شديدة الوضوح، وتحالفات القبائل العربية المتصارعة على السلطة تتقاذف الأحساء يمنة ويسرة، وتفشّت ظاهرة عدم الاستقرار، وانحلال الأمن؛ فانتشرت الفوضى، وأضحّت بعض القبائل تهاجر من مكان إلى مكان، في ظلّ تحالفات جديدة.

كانت تلك هي حالة المجتمع في بدايات القرن الثالث عشر

٩- (١) في محراب الشيخ محمد بن حسين أبي خمسين، موسى الهادي، دار العروة الوثقى، بيروت، ١٤٢٥هـ، ص ١٨١-١٩٣.



الهجري، ومع رجوع الشيخ أبي خمسين من العراق، كان عليه أن يتعامل بحكمة وحذر شديد مع الأوضاع القائمة؛ ذلك لأن المجتمع كان يعاني من تصدّع في أركانه، وعليه أن يرمم ما استطاع إليه سبيلاً، ويكمل مسيرة وجهود من سبقه في هذا السبيل، وإركز المعتقدات العقائدية التي جاء بها الشيخ أحمد بن زين الدين الأحسائي، واستكمال الجهود العلمية للشيخ الكبير محمد بن أبي جمهور، وهذا العمل العقائدي تكلمنا عنه في الفصول السابقة بشكل مفصّل.

أمّا العمل الاجتماعي؛ فلن يتمكن الشيخ أن يقوم به إلا إذا امتلك مفتاح قلوب الأحسائيين، والعمل من منصة الزعامة الدينية (المرجعية)، ومن هنا قام الشيخ باتخاذ العديد من الخطوات العملية والقرارات العلمية، ساعدته في إعادة ترتيب الأوضاع الاجتماعية وإرساء كيائها، الأمر الذي جعل المجتمع الأحسائي صامداً عقائدياً واجتماعياً حتى اليوم، ولم يزل شيخنا هو المرجع الكبير لكل الأحسائيين.

ومن أهم النشاطات الاجتماعية التي قام بها مرجعنا أبو خمسين:

أولاً: مجلس القضاء الشرعي:

وقد تصدّى الشيخ بنفسه لهذه المهمة الشاقة، وافتتح مجلسه في بيت والده الكبير، واستقبل المتخاصمين والمتنازعين برحابة صدر، وساهم في إشاعة العدل وتحقيق العدالة عبر إنصاف أصحاب المظالم، وتضميد جراحات المظلومين، كما عُرف مرجعنا أيضاً بالحزم والحنكة، وعرف كذلك بغزارة معرفته بالأحكام الشرعية بناءً على رأي جميع المذاهب الإسلامية.

ثانياً: تشكيل لجنة لإصلاح ذات البين:

وقد شكّلت اللجنة من الرجال المعروفين في مدينة الهفوف وقراها، ومن المشهود لهم بالتقوى والصلاح والمعرفة، وأنيط باللجنة

مهمة تقصّي الحقائق، والإصلاح بين المتخاصمين، ورفع مرئياتها للشيخ، ومن بين أعضاء اللجنة أخوه الحاج عبدالله بن حسين أبو خمسين، والحاج علي بن الحاج عبدالله الأمير، وهو ساعد الشيخ الأيمن، والسيد هاشم بن خليفة الموسوي، والشيخ حسن بن الحاج أحمد الرضان، والحاج محمد بن الحاج أحمد البغلي، والحاج علي بن الحاج محمد الحواج، والحاج عيسى آل عبدالله السلطان وغيرهم، وانضم إليهم فيما بعد ابنه الحاج عيسى، فكانوا يتحرّكون جميعاً باسم الشيخ، وكانت مهمتهم احتواء كل طارئ، والتأليف بين المتخاصمين، والبعاد عن أيّ توتر طائفي.

ويعتبر تشكيل لجنة الإصلاح في ذلك الوقت إشارة إلى فطنة شيخنا أبي خمسين وبعده نظره.

ثالثاً: مزاولة الأنشطة الدينية:

قام شيخنا أبو خمسين بمزاولة أنشطته ومهامه الدينية: من صلاة جماعة، واستهلال، وإفتاء، وحكم بين المتخاصمين، وغيرها من الأنشطة الدينية الأخرى، وبالفعل حرص الشيخ على إقامة صلاة الجماعة في المسجد الكبير الذي شيّده جدّه الشيخ محمد الكبير، وقد تسنّى له أن يعيد بناءه في عام ١٢٨٦هـ، ويثبت فيه المحراب الذي كان يصلي فيه الشيخ الأوحّد.

كما حرص الشيخ على إحياء الليالي العظيمة، مثل: ليالي القدر، والدعاء جماعة في المسجد، وشجّع الشيخ محمد أبو خمسين على وقف الأوقاف لصالح إحياء المناسبات المتعلقة بالنبي الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم والأئمة المعصومين عليهم السلام، وركّز كذلك على إقامة المآتم الحسينية، ومحافل التأيين، ومجالس الذكر، وعقد الاحتفالات، وعُرف عنه قدس سرّه كثرة عبادته وتقواه وتهجّده.



رابعًا: تأسيس الحوزة العلمية:

وهي من أهم الأعمال التي قام بها شيخنا الفاضل في الأحساء، وكانت حوزته العلمية وحوزة الشيخ محمد عبدالله العيثان من أهم الحوزات العلمية المحلية التي رفدت المجتمع الأحسائي بالعلماء والمشايخ، وبالفكر الأصيل مقابل الأفكار الدخيلة على المجتمع الأحسائي.

خامسًا: بناء أو اصر العلاقات المجتمعية:

وقد ترجم الشيخ دعواته إلى مبادرات واقعية على أرض الأحساء؛ فزار معظم القرى الأحسائية، والتقى بالعديد من رجال القرى، وعقد معهم لقاءات هامة تهدف إلى لمّ الشمل، وتعزيز الوحدة الاجتماعية.

سادسًا: مدّ الجسور مع الجهات الرسمية:

وهذا الصنيع الحكيم كان نابعًا من شعوره الأبوي والإنساني في المحافظة على المجتمع، فحاور السلطة العثمانية آنذاك؛ مطالبًا بحقوق المواطنين، ومدافعًا عن حقوق الناس، وصدّ ظلم المسؤولين عن عامة الناس.

سابعًا: حماية المجتمع من التصدّع الداخلي:

عمل الشيخ على حلّ المشاكل والاضطرابات التي تنشأ لسبب أو لآخر، فقد حرص الشيخ أن يكون قريبًا من الناس؛ فبثّ في أوساطهم المشايخ والعلماء، وطلب أن يلتحق بحوزته طلاب من تلك المدن والقرى؛ تدعيمًا للحمّة الوطنية، وبالفعل انضم إلى حوزته عشرات من الطلبة النابهين؛ للحفاظ على وحدة المجتمع.





ثامناً: المشاركة في صدّ الهجمات الخارجية:

وعندما يتعرّض الوطن للغزو أو الاعتداء، كان الشيخ محمد أبو خمسين يقف مع أفراد الوطن وأبناء الأرض مدافعاً عنها، وقد كان كثيراً يهبّ بكلّ شجاعة للدفاع عن الأرض والأهل، ويدخل حصن الكوت ويقف مع أفراد الحماية؛ لحضهم على الذود عن الحصن، والحيلولة دون سقوطه في أيدي الغزاة.

وكثيراً ما تشير الوثائق الموجودة إلى دور الشيخ أبي خمسين وشجاعته، فكان قدس سرّه ممّن يُلجأ إليه في المهمات الصعبة، وارتفع شأنه حتى صار المتصرّف العثماني يمشي مع معاونيه إلى مجلس الشيخ مباركاً في الأعياد، ومسلماً وزائراً كلّ أسبوع، الأمر الذي يعكس المنزلة التي حظي بها لدى الدولة، وأولاه إيّاها الباب العالي، والتي استمرت إلى آخر حياته الشريفة^(١)، وهذا الأمر يشير إليه الشيخ محمد الصحاف في مخطوطته: «فعاش في مدينة الأحساء مشيداً فيها الإسلام والدين، ومقرّاً لكافة المؤمنين والمسلمين، طيب السريرة حسن العشرة والسيرة، وقائماً بحقوق الشيعة الجعفرية، ومصلحاً بين الحكومة والرعية، ولا سيما مع حكومة الوقت العثمانية، إلى أن صارت له المعزة الكلية والاحترامات السلطانية، وحتى بلغ أن الحاكم المتصرّف عنها يأتيه في يوم العيد مباركاً، وفي أيام الجمع زائراً، فجمع قدس الله نفسه الزكية كلمة الشيعة من الاختلاف، وربط قلوبهم بحبل المودة والاتلاف»^(١).

١٠- (١) في محراب الشيخ محمد بن حسين أبي خمسين، موسى الهادي، دار العروة الوثقى، بيروت، ١٤٢٥هـ، ص ٩٩-١٠٠.

١١- (١) تذكرة الأشراف في ترجمة آل الصحاف، كاظم الصحاف، تحقيق عبدالله الشايب، دار المحجة البيضاء، بيروت، ١٤٢٥هـ، ص ١١-١٢.



مرجعيتة الكبرى:

هناك مرجعيتان: مرجعية السيف، ومرجعية الكلمة، وبين المرجميتين قواسم مشتركة، وهي: خضوع الأتباع لهما، وهيمنتهما على مفردات عصريهما، بالإضافة إلى بقاء تأثيرهما على مدى عصور وأزمان طويلة، إلا أن مرجعية السيف قطعاً ليست مثل مرجعية الكلمة، فمرجعية السيف وإن طال بقاؤها، يبقى أمدها قصيراً مقارنة بمرجعية الكلمة، كما أن مرجعية السيف ليس لها في قلوب الأتباع إلا الخوف والرعب، وتبقى قلوب أتباع مرجعية الكلمة مليئة بالحب والإيمان والطاعة.

ولم يحدثنا تاريخ الأحساء قبل مرجعية أبي خمسين عن مرجعية للكلمة كما كانت مرجعيتة قدس سرّه، فقد كانت مرجعية كبرى في هيمنتها على قلوب محبيها، ومرجعية كبرى في اتساع مساحة مقلديها، ومرجعية كبرى حتى في قلوب غير مقلديها.

أمّا جزمنا بكون مرجعيتة رضوان الله عليه؛ فالأنّ مفردات الزعامة، والحب، والهيمنة، والتفرد العلمي، والتواضع كانت مفردات أصيلة في سيرة مرجعيتة المباركة، ولم يحدثنا تاريخنا الأحسائي قبل مرجعية أبي خمسين بمرجعية بمثل ضخامة مرجعيتة وسطوتها على العقل الأحسائي، ولولا أن منّ الله على الأحساء بمرجعية كبرى أخرى بعد وفاته، هي مرجعية الشيخ محمد بن عبد الله العيثان، لاحتاج تاريخنا الأحسائي إلى قرن من الزمن، حتى تأتينا الأيام بمثل مرجعية أبي خمسين^{١٢} (١).

وتعدّ مرجعية الشيخ محمد بن حسين أبي خمسين من أبرز المرجعيات الأحسائية الكبرى في بساطتها وتواضعها، فقد كان مرجعنا أبو خمسين «جم التواضع، مثال العالم القريب من الناس، لا ينتظر مجيء الناس إليه وإتّما كان يسعى بنفسه إليهم، ويشد الرحيل إلى قراهم ومنازلهم مهمات، ويجالسهم ويتبسّط معهم في المسائل والنقاشات، ويشاركهم في أفراحهم وأتراحهم، ويسعى جاهداً للرفع من مستواهم

١٢ - (١) راجع كتابنا (الرئيس العيثان)، ص ١٠٥.

المعنوي بنزوله الهادف إلى مستواهم المادي»^{١٣}(١).

وإذا كانت مرجعيات السيف، وبعض مرجعيات الكلمة تسعى لكسب الأتباع والأنصار، وتتسابق من أجل المال والشهرة والمنفعة، فإنّ مرجعية شيخنا أبي خمسين خالفت عادات تلك المرجعيات؛ فنأت عن كل ذلك بتواضع جم، وببساطة مثيرة للعجب والدهشة.

ولعلّ موقفه مع أبيه بعد رجوعه من النجف الأشرف سنة ١٢٥٢ هـ وهو حاصل على أعلى المراتب العلمية دليلٌ رائعٌ على بساطته المدهشة، ولولا ذلك الضيف القطيفي الزائر للأحساء الذي عرفّ الوالد مقام ابنه العلمي، وبلوغه مرحلة الاجتهاد، لبقني مرجعنا أبو خمسين يعمل في البستان ويضع الأعلاف للدواب دون كلل أو ملل، ودون أن يخبر والده وأهله وأقرباءه بمنزلته العلمية^{١٤}(٢).

وبالرغم من هذه المرتبة العلمية العالية -الاجتهاد- التي حازها، وبالرغم من المرجعية التي بسطت له يدها منذ بدايات شبابه، إلا أنّ شيخنا أبا خمسين رفض الرئاسة الظاهرية، والمراكز الدنيوية، فبعد مكوثه فترة قصيرة في الأحساء نجده قد شدّ الرحال مرة أخرى إلى العراق؛ سنة ١٢٥٤ هـ ليحصل على علوم مدرسة آل البيت الحكيمة؛ حتى يستطيع أن يملأ الفراغ الكبير الذي خلفه غياب الشيخ الأوحد زعيم مدرسة آل البيت الحكيمة، ولم يكن هناك من سبيل إلى ذلك إلا معاودة الدروس ولكن هذه المرة في حوزة السيّد كاظم الرشتي، والاستفادة من إفاضاته الروحية والحكيمة، وهكذا عاد الشيخ من الأحساء إلى كربلاء المقدّسة مرة أخرى طالباً للعلم من جديد، ومتلمداً على يد السيّد الأجد كاظم الرشتي، معتبراً أنّ دراسته السابقة ليست سوى مقدمات لدراسته القادمة.

لقد أشرنا إلى أن بدايات (مرجعية) شيخنا أبي خمسين ابتدأت

١٣ - (١) في محراب الشيخ محمد بن حسين أبي خمسين، موسى الهادي، دار العروة الوثقى، بيروت،

١٤٢٥ هـ، ص ١٨٨.

١٤ - (٢) المرجع السابق، ص ٧٦.

مباشرة بعد إخبار الضيف للشيخ حسين أبي خمسين -والد الشيخ محمد- بمقام الابن العلمي، وأن علماء وفضلاء بلدتي الأحساء والقطيف عندما عرفوا بعلميته وإجازاته، وعرفوا فضله وزهده وتقواه؛ رجعوا إليه في التقليد.

ولكن بعد رجوعه من كربلاء للمرة الثانية عام ١٢٥٩ هـ، وهو مزودا بالإجازات الكبرى، وبحصيلة من علم مدرسة آل البيت الحكيمية، حينها أصبح في الأحساء هو رئيس الملة وأعلم الفقهاء والمجتهدين، ومن ثم امتدت مرجعيته الكبرى إلى كل قرى الأحساء، وإلى البحرين، والبصرة، والكويت، والمحمرة، ودبي، ومسقط، وإيران -أبي شهر- مسقط رأسه^{١٥}(١).

ولما استقرت مرجعيته الكبرى أرسل إلى الكويت -بطلب من أهلها- العالم الفاضل الشيخ محمد بن حسين الصحاف، فأقام الشيخ الصحاف في الكويت زمناً معظماً ومحترماً بين أهلها، وبنى مسجداً للشيعة الإمامية، وهو أول مسجد بُني هناك، ولا يزال إلى الآن يسمّى باسم مسجد الصحاف.

ومن مفردات تواضعه وصفه لنفسه ولعلمه وكتاباته بعبارات في غاية التذلل والخشوع والتواضع، لا يأخذه زهو منصب المرجعية، ولا تزاحم الناس حوله، ولا تقديس المريدين له، فيكتب رضوان الله عليه: «أقل الطلاب علماً وعملاً، وأكثر الخلق جرماً وزللاً، أفقر المخلوقين،» بهذه الكلمات يخاطب ربه، ويكتب إلى قرائه في مقدمة كتابة الثمين^{١٦}(١).

ومن خلال تتبع أخبار مرجعيته نجد إشارات واضحة إلى أن مرجعيته رضوان الله عليه كانت مرجعية شاملة، امتدت من الأحساء

١٥ - (١) مفاتيح الأنوار في بيان معرفة مصابيح الأسرار، محمد بن حسين أبو خمسين، دار المحجة البيضاء، بيروت، ٢٠٠٣م، ج١، ص٤٨.

١٦ - (١) مفاتيح الأنوار في بيان معرفة مصابيح الأسرار، محمد بن حسين أبو خمسين، دار المحجة البيضاء، بيروت، ٢٠٠٣م، ج١، ص٦٣.



إلى العديد من بلدات العالم الإسلامي كما أشرنا قبل قليل، وخضعت لها الحكومة الإدارية والسياسية العثمانية في الأحساء تلك الأيام، وحملت مرجعية السيف مرجعية الكلمة على أكتافها، إبان تشييعها إلى مثواها الأخير.

منزلته العلمية:

ليس هناك عالمٌ حقيقي بلا مريدين، وبلا تلاميذ مخلصين موقنين بعلميته، وواثقين من ريادته المعرفية، فأينما فتشت في صفحات التاريخ، وفي خبايا الأيام لن تجد إلا عالمًا حقيقيًا، يحيط به الخلل من العلماء الحقيقيين أمثاله، عالمٌ بارعٌ قد عرفه المتبحرون في المعرفة، ومهما اختلف الناس حول عالمٍ ما، فلن يختلف على علمه إلا حاسد أو حاقد.

وينقل لنا تاريخنا الإسلامي سيرة هؤلاء العلماء العظام، بكل زهو وفخر، كما ينقل لنا سيرة العلماء المزيّفين من مبتدعة، ومتصوّفة، وفلاسفة، ووثنيين، ودجالين، ومصيرهم الذي لا قوه.

وبالإضافة إلى مصير العلماء المزيّفين، الذين امتهنوا الخداع والجدل والسفسطة بديلاً عن العلم الحقيقي الإلهي، فإن مصير علمهم المزيّف يقبر معهم أيضاً، فلا تكاد تسمع لهؤلاء ذكراً طيباً باقياً، ولا تجد لعلمهم أثراً بين الناس؛ لأنّ علمهم المزيّف لم يبن إنساناً حقيقياً، ولا مدرسةً، ولا مسجداً، وعلى عكس هؤلاء تماماً هناك العلماء الحقيقيون الربانيون، الذين يعلو ذكركم، ويبقى علمهم منتفعاً به بين الناس، ومرجعنا الشيخ محمد أبو خمسين من هؤلاء العلماء الربانيين، الذين مازالوا حاضرين بعلمهم وأثارهم إلى يومنا هذا، وما زال العلامة أبو خمسين مرجعاً لنا في العقائد والحكمة والآداب والأخلاق والسلوك، نستضيء بنور علمه في ظلمة عصرنا الحالي، وخاصة الأحساء التي



تكاد تخلو الآن من حكماء ربانيين يمثل قامته، وبمثل شموخه.

ولا سبيل للتعرف على منزلة عالم كبير بحجم مرجعنا أبي خمسين إلا من خلال شهادات وأقوال العلماء الكبار أمثاله، وكفيه أن ينال شهادة كبرى من عالم كبير وسيّد عظيم بحجم السيّد كاظم الرشتي رضوان الله عليه الذي يقول فيه: «فله درّ المحقق المدقق، العالم العامل، والفاضل الكامل، اللوذعي، الألمعي، ذي الفطرة الصافية، والسريرة الزاكية، جناب الشيخ محمد بن حسين الشهير كنية بأبي خمسين، أسعد الله حاله، وفرغ للتوجه إلى الحضرة الأحذية باله»^{١٧}(١).

ولا شك أن تلك العبارات والكلمات المحكمات، لم تصدر إلا عن يقين راسخ، ومعرفة تامّة بمن قيلت فيه؛ فليس من عادة العلماء الحقيقيين أن يجاملوا أو يداهنوا في الدين، أو ينسبوا فضلاً لمن لا يستحقه؛ لأنّ الدين أمانه في أعناقهم، ولن يرشدوا الناس إلا لحافظي هذه الأمانة بكلّ إخلاص وخشوع، وهذا بالتحديد ما أشار إليه السيّد كاظم الرشتي في إجازته لمرجعنا أبي خمسين: «وإنّي لما كنت ناقلاً ومؤدّياً عن أئمتي وساداتي -سلام الله عليهم- تلك الدرر الفاخرة، واللالئ الزاهرة إلى جنابه -أعلا الله شأنه- حمدت الله سبحانه، وسجدت له شكراً، حيث أدّيت الأمانة إلى أهلها، ولم أضيّعها بالنقل إلى غير مستحقها»^{١٨}(١).

وهذه الكلمات إذا قالها عالم بارز في حقّ مرجعنا أبي خمسين، فإنّه يدرك أنّ من قيلت فيه يستحقها بجدارته، ولولا أنّه قد اتّصف بتلك الأوصاف -قولاً وعملاً، ممّا أهّله ليكون في مصاف العلماء الكبار والمراجع العظام على صغر سنّه- لما قيلت فيه أبداً.

وبمثل هذا التعظيم والتبجيل الذي كتبه أستاذه السيّد كاظم

١٧ - (١) مفاتيح الأنوار في بيان معرفة مصابيح الأسرار، محمد بن حسين أبو خمسين، دار المحجة البيضاء، بيروت، ٢٠٠٣م، ج ١، ص ٢٨.

١٨ - (١) النور المضيء في معرفة الكثر الخفي، محمد بن حسين أبو خمسين، دار المحجة البيضاء، ٢٠٠٧م، ص ٢٨.

الرشطي، قال عنه عالم آخر من علماء الإمامية العظام هو المولى حسين ابن المولى قلي الكنجوي في إجازته له: «فإنّ المولى الجليل، والعالم النبيل، العالم الكامل، والفاضل الواصل، ذي الفكرة الصافية، والفتنة الزاكية، الألمعي، اللوذعي، المسدّد المؤيّد، المنزّه عن الشين، جناب الشيخ محمد بن الشيخ حسين، الشهير كنية بأبي خمسين -أسعد الله حاله- وفرّغ لمحبته وطاعته باله، قد عرض عليّ أجزاءً وكراريس قد أودع فيها بعض لآلئ فكرته الطاهرة، وخزن في طيّ سطورها جواهر كنوز فطنته الباهرة»^{١٩}(٢).

ولا شكّ ولا ريب أنّ تلك العبارات صدرت من مراجع عظام حريصين على توثيق رواياتهم ومروياتهم بطرقها وبأسانيدھا الصحيحة التي تلقّوها من أساتذتهم، وحريصين كذلك على مصداقية الفتوى، وعلى دين الإسلام من اندساس أنصاف العلماء أو العلماء المزيّفين إلى صفوفهم، كما أنّ العلماء هم الأقدر على معرفة علمية العلماء الآخرين، ومعرفة زهدهم وورعهم وتقواهم من خلال عشرتهم الطويلة بهم، وما تلك الكلمات المشرّقة، والأوصاف الرائعة، والمنزلة الرفيعة، التي وصف بها المولى الكنجوي الشيخ محمد أبي خمسين، إلا دلالة واضحة وأكيدة على علوّ منزلته العلمية ورفعة شأنه بينهم.

أمّا العالم الكبير -أوّل المجتهدين- المولى ميرزا بن موسى الحائري فقد قال فيه: «علامة الدهر، وفهامة العصر، جامع العلوم العقلية، وحائز الرسوم النقلية، طود العلم الباذخ، وعماد الفضل الراسخ، صاحب الشرف المستبين، شيخنا محمد أبي خمسين عطر الله رسمه»^{٢٠}(١)، وهذه الشهادة المضيئة جاءت من عالم ربّاني متبحّر دانت له رقاب العلماء والمشايخ والطلاب على حدّ سواء.

ويقول المولى محمد حسين بن علي أكبر الكرمانلي -وهو

١٩ - (٢) المرجع السابق، ص ٣٠.

٢٠ - (١) الإجازة بين الاجتهاد والسيرة، موسى الحائري، تحقيق أحمد بوشفيق، لجنة إحياء تراث مدرسة الشيخ الأوحّد، بيروت، لبنان، ط ٢، ١٤٢٢هـ، ص ٦٣.

مرجع عظيم من مراجع الشيعة الكبار - في حقّ مرجعنا أبي خمسين: «العالم العامل، الفاضل العادل، جناب الأوحد، الشيخ محمد ابن الشيخ حسين، الشهير كنية بأبي خمسين، كثر الله أمثاله، وأخلص إليه إقباله بالأمانة»^{٢١}(١).

هذه الشهادات والأقوال لا تعطى جزأفاً إلى مَنْ لا يستحقها، وخاصة إذا خرجت من علماء كبار، وتكاثرُ تلك الأقوال في حقّ الشيخ أبي خمسين، ليس إلاّ دلالة على علوّ مكانته العلمية بين العلماء، ونشير هنا إلى أنّ هذه الشهادات في حقّه صدرت من معاصرين له، ثمّ تبعتها شهادات أخرى من علماء ومؤرّخين لاحقين، أجمعوا على علوّ منزلته، ورفيع شأنه، وعظم خطره، يقول الشيخ علي البلادي البحراني: «العالم الفاضل، العابد الكامل الأمين، الشيخ محمد حسين بن الشيخ حسين آل أبي خمسين الأحسائي، كان من العلماء الأبرار والفضلاء والأخيار»^{٢٢}(٢).

ومن الشهادات البارزة في علمه وفقهه ومرجعيته شهادة الشيخ محمد حرز الدين - وهو أحد مؤرّخي الإمامية الكبار - إذ يقول: «الشيخ محمد حسين بن حسين المعروف بأبي خمسين، ترجع إليه الناس في أمورهم الحسبية، كان عالمًا فقيهاً أصولياً، صار مرجعاً في الأحساء، ترجع إليه الناس في أمورهم الحسبية، وكان نافذ القول بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، مهيباً مجللاً»^{٢٣}(٣)، وهنا لا بدّ من التذكير على أصولية مرجعنا أبي خمسين، التي حاول قلة من المغرضين تغييرها عن علماء مدرسة آل البيت الحكيمية.

ولم يكن أبو خمسين مرجعاً في الأحساء فقط؛ فمرجعيته تخطّت أسوار الأحساء إلى بلدان أخرى، مثل: الكويت، وأبو شهر،

٢١ - (١) مفاتيح الأنوار في بيان معرفة مصابيح الأسرار، محمد بن حسين أبو خمسين، دار المحجة البيضاء، بيروت، ٢٠٠٣م، ص ٢٩.

٢٢ - (٢) أنوار البدرين، علي البلادي البحراني، دار المرتضى، بيروت، لبنان، ١٤١١هـ / ١٩٩١م، ص ٣٣١.

٢٣ - (٣) معارف الرجال، محمد حرز الدين، ج ٢، مكتبة المرعشي النجفي، قم، إيران، ١٣٠٥هـ، ج ٢، ص ٢٥٥.

وكربلاء، والبصرة، وغيرها من البلدان الإسلامية.

أمّا الشيخ الفاضل والمؤرّخ اللامع الشيخ أحمد بن محمد بن مال الله الصفار، فقد كتب عن مرجعنا أبي خمسين بانبهار ودهشة، وما ذاك إلاّ لمعرفته الأكيدة بعلمه وبتفوّقه على أقران عصره، فيقول: «جناب العالم المعظّم، محمد، نجل حسين الأكرم، أعني أبا خمسين والمئتين، بل ما يزيد عدّه الألفين، ممّا حوى من حكمٍ عجيبة، مبيّناً أسرارها الغريبة»^{٢٤}(١).

ولقد ترجم له الشيخ كاظم بن علي الصحاف في مقدّمة مفاتيح الأنوار، فقال: «شيخنا ومولانا، فريد العلماء المجتهدين، ووحيد الحكماء الكاملين المحقّقين، الشيخ محمد ابن الشيخ حسين أبي خمسين - أعلى الله مقامه، ورفع في الخلد أعلامه - فلقد كان عصره وبعده من أفضلهم علماً، وأشهرهم علماً، وأكثرهم زهداً، وأشدّهم تعبّداً، وأورعهم تقوى، وأقواهم فقهاً، وأطولهم في الحكمة الإلهية يداً»^{٢٥}(١)، ومع أن هذه شهادة عالية من أحد محبيه ومريديه، لكنها شهادة منصفة؛ فقد كان مرجعنا أبو خمسين من أعلام مدرسة آل البيت الحكيمية الذين لا يشقُّ لهم غبار.

ونختم تلك الشهادات المباركة بشهادة المرجع الكبير الميرزا حسن الحائري الإحفاقي رضوان الله عليه، حيث يقول فيه: «الشيخ الأجل الأمام، الشيخ محمد أبو خمسين الأحسائي، صاحب الكرامات والتصنيفات والتحقيقات الكثيرة، الذي كان محبوباً ومقرّباً عند السيّد قدّس سرّه الشريف، ومأموراً من قبله باتباعه، وانتهت إليه الرئاسة والتقليد في طرف الأحساء»^{٢٦}(٢)، وهي شهادة عالية من مقام عال، تشير بوضوح إلى مكانته العلمية البارزة في عالم التشييع والحكمة

٢٤ - (١) هداية المسترشدين، أحمد محمد مال الله الصفار، (مخطوط)، ص ٥٩.

٢٥ - (١) مفاتيح الأنوار في بيان معرفة مصابيح الأسرار، محمد بن حسين أبو خمسين، دار المحجة البيضاء، بيروت، ٢٠٠٣م، ج ١، ص ٤٦.

٢٦ - (٢) منظرة الدقائق على تبيان الحقائق، حسن الحائري الإحفاقي، بيروت، لبنان، ١٤٣٦هـ/ ٢٠١٥م، ص ٢٣.



الإلهية، بل وتشير إلى مكانته المتقدّمة بين علماء ومراجع الشيعة الكبار.

وبعد استعراض هذه الشهادات المباركة في حقّ مرجعنا أبي خمسين إلا أنّنا نؤكّد أنّ شهادات وأقوال العلماء والمؤرّخين فيه عديدة، ولا يمكن لنا حصرها في هذا المقام؛ لأنّ ذلك لم يكن هدفاً نسعى إليه هنا، بل أردنا أن ندلّل على مقام وعلوّ منزلة أبي خمسين العلمية؛ فكانت تلك الشهادات من الأقوال هي خير دليل على ذلك، ولا يمكن أن يقوم العالم إلاّ عالم مثله، خبير بكتبه المنشورة وبمصطلحاته العلمية، وبمبانيه الفقهية، وبحكمته الإلهية، وبمخزون علمه.

مشاهير تلامذته:

١- الشيخ أحمد بن الشيخ علي بن محمد الصحاف:

هو الشيخ أحمد بن الشيخ علي بن الشيخ محمد بن الشيخ حسين بن الشيخ ناصر الصحاف الربعي الأحسائي، نزيل «الكويت» المتوفّى سنة ١٣١٩هـ، وهو أخو الشيخ كاظم والشيخ حسين أبناء الشيخ علي الصحاف، يعود نسب آل الصحاف إلى ربيعة (إحدى القبائل العربية الشهيرة).

يعدّ الشيخ أحمد من النساخين الأحسائيين، ويوجد بخطه نسخة من كتاب (مفاتيح الأنوار ومصاييح الأسرار) للشيخ محمد بن الشيخ حسين آل أبي خمسين، فرغ المصنف من تأليفه في الصحن الحسيني بتاريخ ١٣ رجب ١٢٥٧هـ، وهو يقع في ٢٦٢ صفحة، عرف بجمال الخط ووضوحه.





٢- الشيخ أحمد بن الحاج محمد بن أحمد البغلي:

من عائلة البغلي المعروفة في الأحساء، وتشير بعض المصادر إلى أنهم كانوا من سكان المدينة المنورة، ثم نزحوا منها في القرن الحادي عشر الهجري إلى الأحساء، ثم توطن بعض أفراد العائلة الكويت وبعض دول الخليج الأخرى، عرف الشيخ أحمد بالزهد والورع والتقوى.

٣- الشيخ جعفر بن الحاج حسين آل ناجم:

الشيخ جعفر من طلبة العلوم الحوزوية في حوزة أبي خمسين، الذي درس فيها الشيخ محمد بن حسين أبو خمسين، ومن ثم ابن أخيه الشيخ موسى أبو خمسين.

٤- الشيخ حسين بن الحاج علي الصالح الحدب:

يشير البعض إلى أن عائلة الحدب هم أبناء عمومة آل عصفور، الأسرة العلمية المشهورة في البحرين، والحدب ذرية سليمان بن عطية بن شبيبة، والجميع ينتمون إلى بني عصفور، وهو من مشائخهم في القرن الرابع عشر الهجري.

الشيخ حسين بن علي الصالح الحدب توفي في الدورق في بلاد إيران حدود عام ١٣٣٠هـ، وهو من طلبة حوزة الهفوف بالأحساء، ويعده البعض من تلامذة مرجعنا أبي خمسين.

٥- الشيخ حسين بن الشيخ محمد الممتن الجبيلي:

من تلامذة الشيخ محمد أبي خمسين، من قرية الجبيل الأحسائية،





ومن طلبة الحوزة المعروفين، عرف بالزهد والورع ومخافة الله، وهو والد الشيخ عبدالكريم والشيخ عبدالرحيم الممتن.

٦- الشيخ عبدالله بن علي بن عبدالله الوايل، المعروف بالصايغ.

الشيخ عبدالله من عائلة الوايل (الصايغ) من عوائل الأحساء، سكن بعض أفراد العائلة الكويت، والشيخ عبد الله الوايل من تلامذة الشيخ أبي خمسين في حوزة الهفوف. درس عند الشيخ الفقه والحكمة، وهو شاعر معروف، وله ديوان (الدرر الفاخرة)، توفي عام ١٣٠٠هـ.

٧- الشيخ عمران بن حسن السليم العلي الفضلي:

الشيخ عمران الفضلي الأحسائي، من قرية العمران، ومن مشاهير تلامذة الشيخ أبي خمسين، وهو على درجة من العلم والتقوى والورع.

٨- الشيخ علي بن محمد آل موسى آل رمضان:

الشيخ علي بن محمد آل رمضان من الأحساء، الهفوف، ينتمون إلى قبيلة بني خزاعة، ومنهم الشهيد الأول من آل رمضان الشيخ علي بن عبدالله بن حسن الرضوان المتوفى سنة ١٢١٠هـ في البحرين، ومنهم العلامة الجليل الشهيد الثاني من آل رمضان الشيخ علي بن الشيخ محمد بن عبد الله بن حسن آل رمضان الأحسائي المقتول شهيداً سنة ١٢٦٦هـ.





٩- الشيخ سلطان العباد العلي:

من العمران (الحوطة)، من مواليد الأحساء، درس في حوزة مرجعنا أبي خمسين فترة من الزمن، توفي سنة ١٣٢٠هـ.

١٠- الشيخ محمد بن الشيخ حسين الصحاف:

عالم فاضل درس الفقه على يد الشيخ أبي خمسين، وكان من طلبته المبرزين، اختاره وكيلاً له في الكويت، أسس مسجد الصحاف هناك، توفي في الكويت ١٣١٣هـ^{٢٧}(١).

مكانته الاجتماعية:

لا تصبوا النفوس العالية إلا إلى مواقع النجوم، أمّا أصحاب النفوس الدنيئة فترتضي من سفوح الجبال سكناً لها، وهذه طبيعة فطرية عند الخلائق، فكلما تاقت النفوس إلى العلى سكنت القمم، ولم ترض سكناً آخر لها غير ذلك، إلا أنّ سكناً القمم ليسوا بعيدين عن الناس وهمومهم ومطالبهم، فهم سكنوا القمم بشموخهم وطموحهم العالي، ومن طموحهم خدمة الدين والبشر.

أمّا صفة التواضع مع الناس، والعطف عليهم ومساعدتهم، تكاد تكون صفةً جامعةً لعظماء الإنسانية، لا يشدّ أحد منهم عن هذه القاعدة، على أنّ التواضع صفة تجلب الحبّ لمن يمارسها، وبدل أن ينزل المتواضع درجة في عالم الناس بمعيّارهم، نجد الناس يحملون تلك الشخصية المتواضعة على الأعناق، ويسكنونها قلوبهم.

٢٧- (١) راجع: في محراب الشيخ محمد بن حسين أبي خمسين، موسى الهادي، دار العروة الوثقى، بيروت، ١٤٢٥هـ، ص ١٢٦-١٢٩.





ومرجعنا أبو خمسين سكن قلوب المؤمنين طواعية، وسكن تاريخهم ومشاعرهم، فلا نجد بعد مضي قرن من الزمن على وفاته إلا قلوبًا تكنُّ له الحبَّ والاحترام والتقدير، فبعد مضي عشرات السنين لم ينس تاريخ الشيعة هذا المرجع الكبير من الكتابة والترجمة، أمّا مشاعرهم فهي موجودة في قصائدهم مدحًا ورثاءً لمرجعهم أبي خمسين.

هكذا هكذا رجال المعالي هكذا هكذا رجال المعالي
قام فيه محمد باجتهاد وبعلم فزاده إجلالا
بذل النفس والنفيس إليه وعليه قد أنفق الأموالا
تلك آثاره تدلُّ عليه زاهرات ولم تزل تتلالا
قل لمن رام لبس تاج المعالي هكذا هكذا وإلا فلا لا

وقد أشرنا سابقًا إلى أنّ مرجعنا أبا خمسين دانت له السلطة الدينية والدينيوية بجلال مهيب، فكان الحاكم العثماني يأتيه معيّدًا ومباركًا ومعزّيًا في المناسبات المختلفة، وقد حظي هذا المرجع الكبير أبو خمسين بمكانة اجتماعية عالية، قلّ أن نجد لها نظيرًا يضاهيها رفعةً وسموًا.

فإذا استطاع البعض أن يحصل على مكانة ما من الرفعة والسمو والسمو بالسيف، فمرجعنا أبو خمسين حصل على الرفعة والسمو والشرف وليس في يديه سوى القلم، وهذا هو الفارق بين سلطة الكلمة وسلطة السيف، فالثانية يكفي أنّها تُبنى على الخوف والمكر والخداع، بينما تُبنى الأولى على الحبِّ والاحترام والتقدير، وإذا فقدت سلطة السيف قوتها فقدت مكانتها فورًا، بينما يُكتب الخلود لسلطة الكلمة، وإذا مال الناس إلى سلطة السيف حينًا، فلاّتهم يميلون خوفًا أو ترلفًا لهذه السلطة، أمّا ميل الناس إلى جبروت الكلمة فذلك نابع عن حبِّ وتقدير وقناعة.

هكذا هي طبائع البشر في كلّ زمان ومكان، لا يكاد يشذُّ من تلك





نشرت على ورق النضار فأسفرت بتبلىج كالصبح في الأسفار
يا حي طلعتها البهية إذ بدت مثل الشموس وزينة الأقمار
بزغت على فلك القلوب فأبصرت منها القلوب مطالع الأنوار
قد أبهرت أهل الحجى بجواهر رقمت بهما من بحرها التيار
صدرت رسالة نخبة الأبرار تزهو بنشر العلم في الأقطار
وردت ففاح على البرايا نشرها بشذا نسيم أريجها المعطار
الطبائع طبع، ومرجعنا أبو خمسين مّمن دانت له الناس بناءً على قوة
تأثير الكلمة، لا على قوّة جرح السيف.

عندما أصدر مرجعنا أبو خمسين رسالته العملية -الصلواتية-
ودانت لها أعناق الشيعة في العديد من أقطار العالم الإسلامي؛ يقول
الشيخ علي بن الشيخ محمد الصحاف:

هي شمس فضل أجلبت في أرضنا أرض القوابل باكر الأثمار^{٢٨} (١)
ويستمد مرجعنا أبو خمسين مكانته الاجتماعية من مكانة قبيلته
الخماسين التي سكنت الأحساء عام ٨٥٠ هـ، واندمجت قبيلة الخماسين
القادمة من وادي الدواسر في المجتمع الأحسائي، وأصبحت جزءاً منه،
ومع مرور الأيام امتزجت القبيلة بفكر آل البيت عليهم السلام، ولعبت
هذه الأسرة الكريمة في تاريخ الأحساء القريب أدواراً هامة، وقامت
بأدوار سياسية واجتماعية ودينية عظيمة، يقول الشيخ كاظم الصحاف:
«هي عشيرة شريفة وقبيلة عربية منيفة، كرام وأبرار، وسراة وأخيار، ما
نزل في محلّتهم نزيل إلا وأكرموه، ولا فاضل إلا وأعزّوه، ولا عالم إلا
وأيدوه، ولا وافد إلا وأرقدوه، جيلاً بعد جيل، وقبلاً بعد قبيل»^{٢٩} (١).

ومرجعنا أبو خمسين هو الشيخ محمد بن الشيخ حسين بن

٢٨ - (١) في محراب الشيخ محمد بن حسين أبي خمسين، موسى الهادي، دار العروة الوثقى، بيروت،
١٤٢٥ هـ، ص ٢٢٣.

٢٩ - (١) تذكرة الأشراف في ترجمة آل الصحاف، كاظم الصحاف، تحقيق عبدالله الشايب، دار المحجة
البيضاء، بيروت، ١٤٢٥ هـ، ص ٧.





الشيخ علي بن الشيخ محمد الكبير بن الحاج أحمد بن الحاج إبراهيم بن الحاج علي بن الحاج عبد النبي بن راشد بن سالم بن صقر بن أبي بكر بن سالم الخماسيني الودعاني الهمداني الدوسري الأحسائي، ونلاحظ أنه استمد منزلته الاجتماعية أيضًا من مكانه أبيه الشيخ حسين بن الشيخ علي أبي خمسين، ولذلك فقد تربى في بيت علم وأدب وفضيلة.

تلك مكانة ومنزلة اجتماعية موروثية من عشيرته الكريمة في الأحساء، إلا أنه لم يخطر ببال القبيلة يومًا أن الشيخ محمد بن حسين أبا خمسين سيكون هو المجد بعينه لهذه القبيلة، وهو المنزلة الرفيعة التي أعطاها لقبيلته، ما لم يعطه أي من أبناء القبيلة لقبيلته طيلة القرون الخمسة الماضية، حين حطت قبيلة الخماسين رحالها في إقليم الأحساء قادمة من وادي الدواسر.

أسلوبه في الكتابة:

هناك صفة تكاد تلازم معظم عظماء الإنسانية، وهي البلاغة والفصاحة في القول والحديث والخطابة والكتابة؛ فقل أن تجد عظيمًا من عظماء الإنسانية لا يجيد التعبير بالكلمة والمفردة، فكيف لا وسلاح العظماء هو الكلمة، وسلاح الجبابة هو السيف، بل إن التاريخ يحدثنا أن جبابة العصور هم أقل الناس حظًا في الفهم والذكاء، والقدرة على التعبير عن أنفسهم، فهؤلاء الجبابة استعاضوا بالسيف عن الكلمة، بينما كانت الكلمة هي سلاح الحكماء والعظماء الوحيد.

ورغم أن عظماء التاريخ - وليس جبابته - هم فرسان الكلمة، وشيوخ البلاغة والفصاحة، إلا أننا نجدهم أكثر تواضعًا من جبابة التاريخ الذين يُتأتئون ببلادة وتكبر، وما إن يبدأ عظيم من عظماء الإنسانية بالحديث إلا ونجده معتذرًا المستمع عليه على قصور قد يلاحظ



في كلماته تلك، في حين لا نجد جبارًا من جبابرة الكون إلا متفتخًا، متشدّدًا بأقواله، متكبرًا على مستمعيه، متشفيًا بتلك الكلمات الزهيدة التي يلقيها أو يكتبها.

ومرجعنا أبو خمسين لم يكن بدعًا من هؤلاء العظماء الذين يمتلكون ناصية الكلام، وبلاغة القول، والتواضع الجم أيضًا، ولناخذ نماذج من هذه الأقوال، ففي مقدمته لكتابه (النور المضيء في معرفة الكنز الخفي) في ردّه على السؤال الذي وُجّه إليه: «ولقد أحببت أن سؤاله لي قد كان في غير هذه الأيام، التي أنا فيها مضطرب الأحوال، ومشوش البال، لامتداد الجور باعه، والظلم قناعه، والمرض دائه، والسقم طباعه، حتى أخرج له من الكنوز أوفاهها، ومن الثمار أزكاهها، ومن الأسرار أعلاها، ومن النكت أخفاهها، ولكن لا يسقط الميسور بالمعسور، وإلى الله ترجع الأمور»^{٣٠}(١).

وعلى الرغم من هذه الكنوز التي أودعها في كتبه بحسن بيانه وجمال أسلوبه؛ إلا أنه يبدأ مقدمات كتبه بهذا التواضع الكبير، معتذرًا عن قلة ما سيقدمه لقرائه، يقول في مقدمة (مفاتيح الأنوار في بيان معرفة مصابيح الأسرار) بيان بليغ وبأدب العلماء الكبار: «أمّا بعد، فيقول الضعيف، الذليل، الحقير، المسكين، المستجير، المحتاج، المستكين، الغريب في وطنه، والبعيد عن أهله ومسكنه، وأذل الأذلين، وأقل الأقلين، محمد بن الشيخ حسين الشهير كنية بأبي خمسين الأحسائي»^{٣١}(٢).

وعن كتاب (مفاتيح الأنوار) يقول الشيخ كاظم الصحاف في ترجمته لمرجعنا أبي خمسين: «فلعمري أنه اسم طابق المسمّى، وآية طابقت نفسه الكبرى، ودلائل دلّتنا على طول باعه، وغزارة علمه

٣٠ - (١) النور المضيء في معرفة الكنز الخفي، محمد بن حسين أبو خمسين، دار المحجة البيضاء، ٢٠٠٧م، ص ٧٤.

٣١ - (٢) مفاتيح الأنوار في بيان معرفة مصابيح الأسرار، محمد بن حسين أبو خمسين، دار المحجة البيضاء، بيروت، ٢٠٠٣م، ص ٦٣.



واطلاعه، ووسائل أرشدتنا إلى سبيل الرسول وآل الرسول اقتبسه - قدس الله نفسه الزكية - من أدلة المعقول والمنقول، فكل ناظر إليه، وكل واقف على ما فيه وعليه، يراه كتاباً عديم المثل، ومصنفاً فائقاً بلا عديل»^{٣٢}(١).

وينسب لمرجعنا أبي خمسين شعر بليغ، بيانه الحكمي تميّز بالبساطة والسهولة والعمق، رغم أنه لم يمتهن الشعر؛ حتى لا يصرفه عن التحصيل العلمي، كما لم يمتهن الشعر؛ لانشغاله بأمر المرجعية وإدارة المجتمع، وليس من الصعب على المتتبع والباحث أن يتصفح كتبه، فيجد أن كاتبها أديب وعالم له أسلوبه المميّز الذي يدل على امتلاكه ناصية البيان، يقول الشيخ كاظم الصحاف في تذكرة الأشراف: «وله أعلى الله مقامه ديوان في الشعر، كلّه في مدح النبي صلى الله عليه وآله وأوصيائه الأئمة الاثني عشر عليهم السلام»^{٣٣}(٢).

الغروب الحزين:

للرحيل معان عدة؛ فهناك رحيل لا رجعة بعده، وهناك رحيل يرتجى عودة غائبه، أمّا رحيل مرجعنا أبي خمسين فقد كان رحيلاً موجعاً، وفاجعة عظيمة ألّمت بالإسلام والمسلمين في شتى بقاع العالم الإسلامي، وآلمت المؤمنين من الشيعة، ومقلديه ومحبيه، وبالخصوص أهالي الأحساء، رغم إيمانهم أنّ الشيخ أبا خمسين لم يرحل عنهم منهجاً وفكراً وعقيدةً، فهو وإن غاب جسداً، فهو الحاضر رأياً وعلماً وفقهاً.

كان رحيل مرجعنا أبي خمسين مع غروب يوم الخامس من ذي

٣٢ - (١) مفاتيح الأنوار في بيان معرفة مصابيح الأسرار، محمد بن حسين أبو خمسين، دار المحجة البيضاء، بيروت، ٢٠٠٣م، ص ٤٧.

٣٣ - (٢) في محراب الشيخ محمد بن حسين أبي خمسين، موسى الهادي، دار العروة الوثقى، بيروت، ١٤٢٥هـ، ص ١٧٨.



القعدة الحرام سنة ١٣١٦ هـ، وهو على مصلاه وبين يدي ربه، ودفن في مقبرة مدينة الهفوف بالأحساء، فكان يوماً مرّاً على أهالي الأحساء الذين توافدوا من شتى البلدات والقرى؛ لتشيع مرجعهم الراحل، فاكتظت الطرقات والشوارع بالمعزّين الباكين، وأمرت السلطات التركية آنذاك بوضع الحواجز؛ لتنظيم حركة الجموع الغفيرة، وضبط تدافع الحشود، بل إن السلطة الحاكمة يومئذ ما إن علمت بوفاة المرجع الكبير حتى «حضر المتصرّف في وفد رسمي للمشاركة في التشييع والدفن الذي أصرّ على إجراء مراسيمه بصورة رسمية، بموكب رسمي حضره أعيان البلد وكبار شخصياتها مع منسوبي وأفراد الحامية العسكرية، وحُمل النعش على مدفعية حربية، وسار الموكب العسكري على أنغام مارشال جنائزي؛ أسوة بمراسيم تشييع أيّ قائدٍ كبير في القوّات المسلّحة، حتى تمت مواراة الجثمان في الثرى»^(١)٣٤.

واستمرت أيام التشييع والدفن والفاتحة طيلة أسبوع من الزمن، وأعلن الحداد الرسمي على رحيل مرجعنا أبي خمسين، فكانت بحقّ أياماً حزينة وفاجعة عظيمة، وكان أسبوع الحداد ملتقى ثقافياً ضخماً اجتمعت فيه النخبة من أهل العلم والأدب، «فرثته الأدباء والعلماء من أهل الأحساء، بقصائد فائقة ومرثي رنانة رائقة»^(٢)٣٥.

رحل مرجعنا أبو خمسين تاركاً لنا تراثاً ضخماً من العلم والحكمة والمعرفة، وخلف أبناء صالحين هم: الحاج عيسى والحاج ناصر، والحاج صالح، والشيخ عبدالحميد والشيخ طاهر رحمهم الله جميعاً، وبيئة أحسائية خصبة لأفكار مدرسة آل البيت الحكيمة، استكمل دورتها العلمية العديدة من المشايخ المحترمين، والعلماء الكبار، في مقدمتهم الشيخ الكبير محمد بن عبدالله العيثان^(٣)٣٦.

٣٤ - (١) في محراب الشيخ محمد بن حسين أبي خمسين، موسى الهادي، دار العروة الوثقى، بيروت، ١٤٢٥ هـ، ص ١٩٩.

٣٥ - (٢) تذكرة الأشراف في ترجمة آل الصحاف، كاظم الصحاف، تحقيق عبدالله الشايب، دار المحجة البيضاء، بيروت، ١٤٢٥ هـ، ص ١٢.

٣٦ - (٣) راجع كتابنا (الرئيس العيثان)، ص ٣٢-١١٧.



آثار مرجعنا أبي خمسين:

لمرجعنا الشيخ أبو خمسين مجموعة كبيرة من المؤلفات معظمها في الحكمة الإسلامية، الكلامي منها والعقدي، والذي كان سمة عامة للحراك الديني والعلمي بمنطقة الأحساء في عصره، أما أبرز مؤلفاته التي وردت في كتاب (محراب أبي خمسين)، فهي:

١- مفاتيح الأنوار ومصايح الأسرار.

٢- نجاة الهالكين في بيان حصر العلل الأربع في الحقيقة المحمدية.

٣- مقرح القلوب ومهيج الدمع المسكوب، ويسمى: الفخري.

٤- المنهاج بدرة الابتهاج في بيان معرفة المعراج، (بحث عقائدي).

٥- رسالة في تفسير آية الوالدين ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا﴾.

٦- رسالة في تفسير آية ﴿وَالْبَلَدُ الطَّيِّبُ يَخْرُجُ نَبَاتُهُ بِإِذْنِ رَبِّهِ وَالَّذِي خَبثُ لَا يَخْرُجُ إِلَّا نَكِدًا﴾.

٧- هدية المسترشدين في بيان معرفة صحة ورود النصوص القرآنية عن الأئمة الطاهرين، وهو شرح حديث زرارة: «العبودية جوهرة كنهها الربوبية...».

٨- النور المضي في معرفة الكنز الخفي، بحث عقائدي، شرح حديث: «كنتُ كنزاً مخفياً...».

٩- الرسالة الخراسانية، في شرح «من عرف نفسه فقد عرف ربه».

١٠- منار العرفين في أصول الدين.

١١- رسالة في كليات العوالم في الحكمة.

١٢- مزيل الأغيار عن الأبصار.



١٣ - شرح حديث الثقلين، والآية الشريفة: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ﴾.

١٤ - رسالة في بيان معاني الخالق، (الرسالة المباركية).

١٥ - كتاب التبصرة، بحث فقهي على منوال (منار العباد)، شرح على تبصرة العلامة الحلبي.

أما أهم كتب مكتبته الفقهية، فهي كما يلي:

رسالته العملية:

١ - مصباح العابدين وهداية المتقين: وهي رسالة عملية صغيرة من جزء واحد يقع في (٢٧١ صفحة) من القطع المتوسط، وقد فرغ من تأليفها بتاريخ ٢٣ جمادى الأولى عام ١٣٠٣ هـ.

وقد جاء في مقدمتها: «فقد التمس مني بعض الإخوان، وجملة من الخلان مدّة من الزمن أن أختصر لهم كتاب الصلاة من رسالتنا الموسومة بـ «منار العارفين»؛ ليسهل عليهم تناول منها، فيعمّ نفعها لهم ولغيرهم، اختصاراً غير مخل وإطناباً غير ممل، مقصراً على مجرد الفتوى، بدون تعرّض لذكر الخلاف والدليل؛ إذ طبع العوام إلى ذلك لا يميل».

أما خاتمتها، فيقول فيها: «هذا آخر ما تهيأ للمقرّر بالقصور والتقصير تنميته وتأليفه، ووفقت لجمعه وترتيبه في هذه الرسالة المختصرة من رسالتنا المبسوطة الموسومة بـ (منار العارفين) ...».

وقد كتبها بطلب من وكيله في الكويت الشيخ محمد بن حسين الصحاف، الذي أرسله لقيادة مقلّديه هناك.

٢ - منار العارفين: وهي رسالته العملية الكبيرة منار العباد في شرح الإرشاد، شرح لإرشاد العلامة الحلبي (فقهي أصولي).



الفصل الخامس

مرجعياتنا الدينية



أعلام المذهب:

عناصر كل حركة ثقافية من: فكر، ولغة، ونظام اجتماعي، ومعتقدات، هي التي يجب أن توضع في ميزان التاريخ إذا أريد الحكم على هذه الحركة الفكرية العلمية أو تلك، ويبقى الرجال - حاملو الفكر - أهم هذه العناصر باعتبارهم المحرك الأول لكل عناصر تلك المنظومة الفكرية، وباعتبارهم المظهر الأول لروح الحركة العلمية بكل أبعادها وتمايزاتها، ورغم كل ذلك فنحن ندرك أيضًا أن أهمية تلك العناصر - التي تتكوّن منها المنظومة الثقافية الكبرى - متميزة في الدلالة بين كثير من المؤرخين.

إلا أن مؤرّخ اليوم ليس بعيدًا عن مؤرّخ الأمس؛ فهو يبحث عن هذه العناصر محاولاً اكتشاف المبادئ التي شيّدت الحركات الثقافية، ولعلّ السبب في ذلك يرجع إلى أن أهم شيء في تاريخ المجتمعات والشعوب، وأكبر مؤثر في حياتها هو تغيير المبادئ الأساسية، فلا الحروب ولا الثورات الاجتماعية الكبرى يمكنها أن تبلغ في تأثيرها كما يؤثر تغيير المبادئ والقيم، بل إنه من السهل إصلاح ما تفسده الحروب، وانبعث الثورات المضادة لتغيير المجتمعات إلى سابق عهدها، إلا أن ثورة الأفكار والقيم والمبادئ هي الثورة الوحيدة التي يخاف الآخرون من حدوثها في المجتمعات.

وبرز من المذهب الشيعي - بمدرسته الأصولية - عدد كبير من فطاحل العلماء والفقهاء والمفسرين على امتداد أربعة عشر قرنًا من عمر الزمن، نعتزّ بهم ونجلّهم ونحترمهم، فهم وجه مذهبنا المشرق، وهم قادة فكرنا الشيعي الأصولي عبر الأزمنة، وخرج أيضًا من رحم المذهب الشيعي عشرات الأعلام البارزين التابعين لمدرسة آل البيت الحكيمية في مختلف أنحاء العالم الإسلامي، وعمل هؤلاء الأعلام على ترسيخ أفكار وقيم المدرسة خلال قرنين من الزمن؛ فكانت أفكار مدرسة آل البيت الحكيمية يُخشى منها بعدما حاربت رواسب الفلسفة اليونانية والرومانية عند بعض شعوب المجتمعات الإسلامية، ولهذا السبب قوبلت بالفرض

والتشيع من قبل مناصري المدارس الفلسفية الأخرى.

ومن منطقة الأحساء تحديداً، برز عدد من العلماء الكبار ممن ينتمون لمدرسة آل البيت الحكيمية، من أمثال: الشيخ محمد تقى الأحسائي، والشيخ علي نقى الأحسائي، والشيخ محمد حسين أبي خمسين -صاحب الترجمة-، والشيخ محمد بن عبدالله العيثان، والشيخ حسين أبي خمسين، والشيخ عبدالله بن إبراهيم العيثان، والشيخ حبيب بن قرين وغيرهم رضوان الله عليهم أجمعين، ومن بينهم المراجع العظام والعلماء الكبار والمشايخ الفضلاء الذين أشرنا لهم في كتابنا (أول المجتهدين) (١).

وأردفت الحركة الثقافية الكبرى -التي أشعل شرارتها الأولى الشيخ الأوحّد- منطقة القطيف بالعديد من مراجع الدين العظام، والعلماء العاملين، أمثال: الشيخ عبدالله بن معتوق التاروتي القطيفي، والمرجع السيّد ماجد العوامي، وغيرهما من علماء آل محمد صلى الله عليه وآله وسلم في القطيف.

ولقد حمل علماء الأحساء لواء مدرسة آل البيت الحكيمية، ونشروا أفكارها ومبادئها وعلومها في المجتمع الشيعي الأحسائي، في إطار المذهب الشيعي الإمامي، وفي طليعة هؤلاء العلماء الكبار الذين حملوا لواء مدرسة آل البيت الحكيمية في الأحساء، ورفضوا الفلسفات الوثنية والبشرية الأخرى، الشيخ الكبير وبحر الله المحيط الشيخ محمد بن حسين أبو خمسين الذي يعدّ أحد أبرز أعلام هذه المدرسة؛ لأنّه كان «متشرباً بفكر الشيخ الأوحّد أحمد بن زين الدين الأحسائي، فقد آل على نفسه إلا أن يغرس الفكر النير، وعلم أهل البيت الصافي من فلسفات البشر بين مواطنيه، ولذلك كان أول من جاء بفكر الشيخ الأوحّد إلى الأحساء ونشر تعاليمه، وثبت أركانه، وصنع جماهيريته» (١).

وحمل لواء مدرسة آل البيت الحكيمية في الأحساء بعده الشيخ

١ - (١) راجع كتابنا (أول المجتهدين)، ص ٧٦.

محمد بن عبدالله العيثان أحد أكابر العلماء العظام، ومراجع التقليد من هذه المدرسة، رغم تزامم العلماء الكبار من مراجع التقليد من مختلف المدارس الإسلامية الشيعية في منطقة الأحساء والقطيف وباقي بلدات الخليج العربي، إلا أن مراجع التقليد عند الشيعة الإمامية ومنذ الغيبة الكبرى هم في الحقيقة مراجعنا -مدرسة آل البيت الحكيمية- لا فرق بين من تقدّم تاريخياً أو من تأخّر في الظهور؛ فمدرسة آل البيت الحكيمية تضرب بجذورها في عمق التاريخ الشيعي؛ لأنها شيعية المعتقد والمبدأ، واثنى عشرية التوجّه والإيمان، والمتقدّمون من علماء ومراجع الشيعة العظام هم أساتذة المتأخّرين من علماء الشيعة، يشربون من حياض واحد، وينهلون من نفس المعين الصافي -فكر بيت النبوة والرسالة عليهم السلام-، وليس من الإنصاف بتر علماء مدرسة آل البيت الحكيمية وحصّره من منذ بزوغ نجم شيخنا الأوحد رضوان الله عليه، بل إننا واثقون من أن علماء المدرسة الحكيمية هم كلّ علماء الشيعة الجعفرية الاثنى عشرية ممّن ثبتت عدالتهم، ومرجعيتهم، وتقواهم، وزهدهم وورعهم.

ونؤكّد كذلك أن مدرسة آل البيت الحكيمية -باتجاهها الحكمي- لها خصومة مع البائية والبهائية والصوفية والفلاسفة غير المسلمين، والفلاسفة الذين تبّنوا الفلسفة اليونانية والمشائية والاشراقية، وليست لها خصومة مع فقهاء وعلماء الشيعة العظام، فهم فقهاؤها وعلمائها، على أيديهم درسوا وأخذوا معالم دينهم، ولعلّ نظرة واحدة على أساتذة مرجعنا الشيخ محمد بن حسين أبي خمسين، والشيخ محمد بن عبدالله العيثان، والسيد ناصر السلّمان، والشيخ عبدالله بن معتوق التاروتي القطيفي، وغيرهم تُدرّك بها هذه الحقيقة التي غفل البعض عنها، فالمدرسة أصولية باتجاهها الفقهي، وقد حاول البعض فرزها أو بالأصح عزلها عن جسم الإمامية الاثنى عشرية -بقصد أو دون قصد- وأطلقوا عليها الألقاب الخاصة؛ تنابزاً وإبعاداً لها عن حظيرة الإمامية



الاثني عشرية^(١).

ويجدر بنا في هذا المقام أن نورد مقطعاً واحداً للميرزا موسى الحائري الإحقاقي، مجيزاً ابنه الميرزا علي بالاجتهاد والرواية والدراية، موضحاً بما لا يدعو للشك أو الريبة أنه من سالكي منهج مدرسة آل البيت الحكيمية في البيت الشيعي الكبير، ذاكراً لسلسلة السند لأساتذته بطرق مختلفة:

الطريق الأوّل: ما يرويه قراءةً وسماعاً عن الشيخ الأوحد رضوان الله عليه، والثاني: ما يرويه إجازةً عن الشيخ الأعظم الشيخ موسى بن المرحوم الشيخ جعفر النجفي أعلى الله مقامهما، والثالث ما يرويه عن العلم العلامة الفاضل الفهامة السيّد السند السيّد عبد الله، والرابع ما يرويه إجازةً عن العالم العامل والفاضل الكامل جناب الملاّ علي -أنار الله برهانه-، كلّهم جميعاً عن الشيخ العظيم الشأن الشيخ جعفر، عن الشيخ الأعظم والبحر الخضم ومعدن الأسرار أغا محمد باقر البهبهاني، والشيخ الأوحد عماد الملة والدين الشيخ أحمد الأحسائي، يروي عن المشايخ الآتي ذكرهم بطرق كثيرة، مثل: الشيخ حسين آل عصفور البحراني، والكامل الواصل السبحاني، والسيّد السند ميرزا مهدي الشهرستاني.

كما أن الطرق الموصلة إلى الوحيد البهبهاني ثلاثة، هم: النور الأزهر الشيخ جعفر، وسيّد الأساطين ومفخرة آل طه وياسين، خاتم المجتهدين، المولى الزاهر الولي السيّد علي صاحب الرياض، والسيّد الجليل والمولى النبيل السيّد مهدي الطباطبائي بحر العلوم.

فهؤلاء الأعلام يروون عن سائر مشائخهم، وعن الوحيد الفريد البهبهاني أغا محمد الباقر عن والده الأجل الأكمل المولى محمد، عن المولى الأجل الأعظم غواص بحار الأنوار مولانا محمد باقر المجلسي

٢- (١) في محراب الشيخ محمد بن حسين أبي خمسين، موسى الهادي، دار العروة الوثقى، بيروت، ١٤٢٥هـ، ص ١٠٠.



- طاب ثراه-، عن عيبة العلم والعمل، جامع الكمال والفضل بهاء الملة والدين والده محمد، عن شيخه ووالده الأجل الفقيه الكامل حسين بن عبدالصمد العاملي الحارثي، عن شيخه مقتدى الأنام الجامع لعلوم الإسلام زين الدين علي بن أحمد الشهير بالشهيد الثاني، عن عدة من مشايخه الكرام المذكورين في إجازته للشيخ حسين بن عبدالصمد والد البهائي، منهم شيخ علماء الزمان، الشيخ الأعظم نور الدين علي بن عبدالعالي الميسي، عن الشيخ الإمام السعيد ابن عمّ الشهيد شمس الدين محمد بن محمد بن داوود، الشهير بابن المؤذن، عن الشيخ علي الشيخ ضياء الدين علي بن الشيخ السعيد، والعالم الفريد شمس الدين، عن الشهيد محمد بن محمد بن مكّي، عن والده، عن جملة من مشايخه قراءةً وسماعاً وإجازةً.

ومنهم العالم المحقق والإمام المدقق فخر الدين أبو طالب محمد بن العلامة الأكبر الحسن بن يوسف بن المطهر، والسيد الطاهر ذو المجدين السيد المرتضى عميد الدين بن عبد المطلب بن السيد مجد الدين بن أبي الفوارس محمد بن علي بن أعرج الحسيني العبدلي، والسيد الأكبر العالم السيد نجم الدين مهني بن سنان المدني، والسيد الجليل أحمد بن أبي إبراهيم محمد بن محمد بن الحسن بن زهرة الحلبي، والسيد النسابة العلامة النقيب تاج الدين أبو عبدالله محمد بن القاسم بن معية الحسيني الديباجي، والشيخ العلامة قطب الدين محمد بن محمد الرازي، والعلامة اللبيب والفاضل الأديب الشيخ رضي الدين أبو الحسن علي بن الشيخ جمال الدين بن أحمد بن يحيى المعروف بالمرندي، والشيخ الإمام المحقق زين الدين أبو الحسن علي بن طراد المطاربادي، بحق روايتهم عن الشيخ الإمام سديد الدين، آية الله في العالمين يوسف بن علي بن المطهر الحلبي، عن والده عن الشيخ نجيب الدين يحيى بن محمد بن يحيى بن الفرّج السواري، عن الشيخ هبة الله بن رطيته، عن الشيخ أبي علي الحسن، عن أبيه العلامة، الفقيه الفهامة، ناشر الأخبار على جهة الاستبصار الشيخ أبي جعفر الطوسي، عن السيد المرتضى علم الهدى علي بن الحسيني الموسوي، وأخيه رضي الدين

محمد بن الحسين، والشيخ سلار بن عبد العزيز الديلمي، والشيخ أبي عبد الله الحسين بن عبيد الله الغضائري، والشيخ هارون بن موسى بن أحمد بن سعيد أبي محمد التلعكبري، عن الشيخ محمد بن عمر بن عبد العزيز بن أبي عمرو الكشي، وعن الشيخ السعيد أبي عبد الله محمد بن محمد النعمان الملقب بالمفيد، عن الشيخ الإمام الفقيه الصدوق أبي جعفر محمد بن علي بن الحسين بن بابويه القمي، والشيخ الفقيه أبي القاسم جعفر بن محمد بن قولويه، وعن الصدوق عن أبيه علي بن الحسين، وجعفر بن محمد بن قولويه، عن الشيخ الإمام رئيس المحدثين ثقة الإسلام محمد بن يعقوب الكليني - رضي الله عنهم -، بأسانيد المتصلة إلى أرباب العصمة والطهارة، ونواميس العز والجلالة صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين المذكورة في الكافي^(٣) (١).

ويمكننا الرجوع إلى كتاب (التحقيق في مدرسة الأوحاد)؛ لنقرأ الترجمات العديدة لأعلام المذهب الشيعي، ممن كتبوا أو أشاروا إلى شيخنا الأحسائي، أو نرجع إلى كتاب (قرنان من المرجعية والاجتهاد) للمولى الميرزا عبدالرسول الحائري الإحقاقي؛ لنرى عشرات الأسماء لمراجعنا العظام التي ملأت صفحات الكتاب، بل وترجمات عدّة مفصلة لمراجعنا الكبار، من أمثال: شيخ الفقهاء الشيخ مرتضى الانصاري، والعلامة ميرزا حبيب الله الرشتي، والآخوند الملا محمد كاظم الخراساني، وشيخ الشريعة الملا فتح الله الأصفهاني، وغيرهم من أعلام الشيعة البارزين الذين ترجم لهم المولى الميرزا عبدالرسول الإحقاقي^(٤) (١).

فعلماء ومراجع الشيعة الاثني عشرية هم علماؤنا الذين دانت لهم الرياستان الدينية والدنيوية، والذين منهم نأخذ، ويضيف الميرزا موسى في إجازته لابنه الميرزا علي «أن يروي عني سماعاً وقراءةً وإجازةً بحقّ

٣ - (١) راجع كتابنا (الرئيس العيثان)، ص ٦٠-٧٩.

٤ - (١) مختصراً عن كتاب الإجازة بين الاجتهاد والسير، موسى الحائري، تحقيق أحمد بوشفيح، لجنة إحياء تراث مدرسة الشيخ الأوحاد، بيروت، لبنان، ط ٢، ١٤٢٢ هـ، ص ٨٧-١٠٤.



روايتي عن هؤلاء العلماء الأمجاد الذين هم للدين عماد»^(٢).

ولقد حارب هذا الفرز السيّد كاظم الرشتي في دليل المتحيرين، وحاربه الميرزا علي في عقيدة الشيعة، وغيرهم من علماء مدرسة آل البيت الحكيمية^(٣)، لكنّ البعض يصرّ على التقسيم، والتجزئة، والتفرقة لهذه الفرقة الناجية.

ولكنّ «المسألة ليست مسألة طوائف وفئات ودكاكين وأسواق، كما قد يصوّرها لك خصوم الشيخ الأحسائي، ومن لفّ لفّه ونسج على منوالهم، كلا؛ المسألة في الحقيقة ليست غير خلافات حكيمية منهجية، خليقة بأن تبحث بين علماء الحكمة والكلام، فليس للفقهاء والمؤرّخين فيها دخل من قريب أو بعيد، ولقد كان الأجدربك أن تنظر نظرة واقعية إلى من صنّفهم طوائف متباينة من أتباع هذا أو ذاك»^(١).

مدرستنا الحكيمية ومرجعنا أبو خمسين كلاهما من صلب المذهب الامامي الجعفري، كباقي المدارس الإمامية الأخرى -الظاهرية، الإخبارية- لا يمكن فصلها عن مذهبها الاثني عشري، والشيخ محمد بن حسين أبو خمسين كباقي مراجع الشيعة العظام -الذين سنأتي على ذكرهم- نحترمهم ونقدرهم ونجلهم، ونأخذ منهم، وندرس على أيديهم، ونقرأ كتبهم، وأتباع مدرسة آل البيت الحكيمية «جماعة من الشيعة الامامية، يقلّدون في أحكام فروع دينهم من يطمئنون إليه من المجتهدين جامعي شرائط التقليد ما دام حيًّا، فإذا مات اتجهوا في التقليد إلى مجتهدٍ آخر جامع لشرائط التقليد، تمامًا كما هو الحال في غيرهم من الأصوليين الشيعية، فليس في الأمر طوائف ولا أحزاب، بل مقلّدون لا غير، سواء من أنصار المدرسة الحكيمية أم من أصحاب

٥ - (١) قرنان من المرجعية والاجتهاد، عبدالرسول الحائري، منشورات مكتبة الإمام الصادق، الكويت، ١٤١٥هـ، ص ٩٧، ١٤٥، ١٨١، ٢٢٨.

٦ - (٢) الإجازة بين الاجتهاد والسيره، موسى الحائري، تحقيق أحمد بوشفيق، لجنة إحياء تراث مدرسة الشيخ الأوحّد، بيروت، لبنان، ط ٢، ١٤٢٢هـ، ص ١٠٤.

٧ - (٣) راجع كتابنا (الرئيس العيثان)، ص ٦٠-٧٩.





المدرسة الظاهرية»^٨(٢).

مراجعنا العظام:

ونأتي الآن إلى الترجمات الشريفة لأبرز مراجعنا الشيعة العظام، إلاّ أنّها ليست حصراً لكلّ ترجمات مراجعنا وعلماؤنا وفقهائنا الكبار؛ حيث يصعب إيرادها كلّها في هذا الكتاب، ولكننا نقتصر على ذكر ترجمات مختصرة لبعض هؤلاء العظام، الذين وصفهم أوّل المجتهدين -الميرزا موسى الحائري- بأدقّ وصف وأجمل تعبير بقوله: «هؤلاء العلماء الأمجاد الذين هم للدين عماد»^٩(١)، تيمّناً وتبرّكاً بذكر سيرهم الشريفة المباركة.

١ - الشيخ محمد بن يعقوب الكليني (ثقة الإسلام):

وُلِدَ في النصف الثاني من القرن الثالث بقريّة كُليْن على بعد (٣٨) كيلومتراً من مدينة (رَي)، الواقعة في جنوب العاصمة طهران، توفّي في شهر شعبان ٣٢٩هـ، ودفن في بغداد.

ومن أهمّ آثاره: (الكافي) في الأصول والفروع، وكتاب (الرجال)، وكتاب (الردّ على القرامطة)، وكتاب (رسائل الأئمة)، وكتاب (تعبير الرؤيا)، وموسوعة شعرية في مناقب وفضائل أهل البيت عليهم السلام.

٢ - الشيخ علي بن بابويه القمي (الصدوق الأول):

٨ - (١) أضواء على مدرسة الأحسائي، صالح السليمي، مكتبة جامع الإمام الصادق، الكويت، ص ٤٢.

٩ - (٢) المرجع السابق، ص ٤٣.





هو الشيخ أبو الحسن علي بن الحسين بن موسى بن بابويه الصدوق القمي، وعرف بالصدوق الأول.

لم تحدّد لنا المصادر تاريخ ولادته، إلا أنه ولد في القرن الثالث الهجري بمدينة قم المقدّسة، وتوفّي قدّس سرّه سنة ٣٢٩هـ، ودفن في مدينة قم المقدّسة، وله مزار معروف.

عاصر الإمام الحسن العسكري عليه السلام، والتقى بالسفير الثالث للإمام المهدي عليه السلام، الحسين بن روح -رضوان الله عليه- في العراق، ثمّ كاتبه بعد ذلك على يد علي بن جعفر بن الأسود، يسأله أن يوصل له رقعة إلى الإمام صاحب الزمان يسأل فيها الولد، فكتب الإمام إليه: «قد دعونا الله لك بذلك، وسترزق ولدين ذكرين خيرين». ومن آثاره: كتاب (فقه الرضا)، وكتاب (المواريث)، وكتاب (المعراج).

٣- الشيخ محمد بن علي بن الحسين (الصدوق):

هو الشيخ محمد بن علي بن الحسين بن موسى بن بابويه القمي، ولد الشيخ الصدوق الثاني (أبو جعفر) عام ٣٠٦هـ، في مهد طيب وبلدة عريقة، مدينة قم المقدّسة، موئل العلماء ومنبت الفضيلة، وتربّى في بيت رفيع من بيوتاتها، كان قد عرف بالصلاح والعلم وزعامة الدين، فدرج في مقتبل أمره وعنفوان فتوته يرتضع لبن المعارف والفضيلة، ويرتشف من معين العلم على يد والده الفقيه المعظّم ذي الجلالة والشرف، علي بن الحسين بن موسى بن بابويه -المعروف بالصدوق الأول- لمدة طويلة، ثم اختلف بعد أبيه -رحمه الله- إلى أكابر المشايخ بقم، يسمع منهم ويأخذ عنهم -على حداثة سنه- فحاز إجازة الحديث والرواية عنهم، وتوفّي رضوان الله عليه سنة ٣٨١هـ.

ومن آثاره: كتاب (من لا يحضره الفقيه)، وكتاب (إكمال الدين وإتمام النعمة)، وكتاب (الأمالي) المعروف بأمالي الصدوق، وغيرها من الكتب



٤ - الشيخ محمد بن محمد بن النعمان (المفيد):

رئيس الملة، ابن المعلم، الشيخ أبو عبدالله محمد بن محمد بن النعمان بن عبد السلام الحارثي العكبري المعروف بالمفيد، وُلِدَ في قرية عكبرا على بعد عشرة فراسخ من بغداد عام ٣٣٦هـ، وتوفي سنة ٤١٣هـ.

يعدّ الشيخ المفيد أحد أبرز علماء الإمامية -وبالأخص الاثني عشرية- ومحدّثيها، وهو صاحب كتاب (الإرشاد)، الذي يعدّ أحد الكتب التاريخية لدى الشيعة.

كما يعدّ الشيخ المفيد أحد أوائل متكلمي الإمامية الذين وضعوا اللبنة الأولى لهذا المذهب، واستخدموا الدليل العقلي -في مجمل الأمور- للتدليل على صحّة مذهبه.

ومن آثاره: كتاب (الاختصاص) وهو مشكوك في نسبته له، وكتاب (إيمان أبي طالب)، وكتاب (تصحیح اعتقاد الإمامية)، وكتاب (الفصول العشرة في الغيبة)، وكتاب (النكت الاعتقادية)، وكتاب (النكت في مقدّمات الأصول)، وكتاب (مسائل العكبرية)، وكتاب (الكافئة في إبطال توبة الخاطئة)، وكتاب (تفضيل أمير المؤمنين)، وكتاب (رسائل في الغيبة)، وكتاب (عدم سهو النبي صلى الله عليه وآله)، وغيرها من الآثار الهامة.

٥ - الشريف علي بن الحسين (المرتضى):

هو الشيخ علي بن الحسين بن موسى بن محمد بن إبراهيم أبو القاسم الملقب بالمرتضى، من أحفاد الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام، نقيب الطالبين، وأحد الأئمة في علم الكلام والأدب والشعر، مولده

ووفاته ببغداد عام ٣٥٥ - ٤٣٦ هـ، وهو أحد مراجع الشيعة الكبار في ذلك العصر.

من آثاره: كتاب (الغرر والدرر) ويعرف بأمالى المرتضى، وكتاب (الشهاب بالشيب والشباب)، وكتاب (تنزيه الأنبياء)، وكتاب (الاتصار) في الفقه، وكتاب (تفسير العقيدة المذهبية) شرح قصيدة للسيد الحميري، و(ديوان شعر)، وغير ذلك الكثير.

٦- الشيخ محمد بن علي بن عثمان (الكراجكي):

هو القاضي الشيخ الإمام العلامة أبو الفتح محمد بن علي بن عثمان الكراجكي، عالم، فاضل، متكلم، فقيه، محدث، ثقة جليل القدر، توفي سنة ٤٤٩ هـ، وصفه بعض من ترجم له من العامة بأنه رأس الشيعة وصاحب التصانيف الجليلة، أو بأنه كان باحثاً من كبار أصحاب الشريف المرتضى رضوان الله تعالى عليه.

له العديد من الآثار الهامة منها: كتاب (كنز الفوائد)، وكتاب (الاستنصار في النص على الأئمة الأطهار)، وكتاب (القول المبين عن وجوب مسح الرجلين)، وكتاب (نظم الدرر في مبنى الكواكب والدرر)، وكتاب (رياضة العقول في مقدمات الأصول)، وكتاب (معدن الجواهر ورياضة الخواطر)، وكتاب (روضة العابدين ونزهة الزاهدين)، وكتاب (رسالة التعريف بحقوق الوالدين)، وكتاب (الأصول في مذهب آل الرسول).

٧- الشيخ محمد بن الحسن بن علي (شيخ الطائفة):

هو الشيخ محمد بن الحسن بن علي الطوسي، نسبةً إلى (طوس) ناحية في خراسان، توسّعت فُعُرفت بمدينة مشهد (مشهد الإمام الرضا عليه السلام)، وهي من أقدم مدن بلاد فارس وأشهرها، ومن مراكز العلم

ومعاهد الثقافة بعد ورود الإمام الرضا عليه السلام إليها، وتشيد قبره فيها.

وُلِدَ الشيخ الطوسي بخراسان عام ٣٨٥هـ، ودرس على أيدي أكابر العلماء وأفاضلهم، ومنهم: الشيخ المفيد، والسيد الشريف المرتضى وقد لازمه، فاعتنى المرتضى بتوجيهه وتنمية مواهبه العلميّة طيلة ثمان وعشرين سنة، حتى صارت الأنظار متوجّهةً إلى الشيخ الطوسي أن يخلف أستاذه لزعامة الأمة بعده، فكان ذلك.

وبعد أن تُوفّي السيّد المرتضى؛ ازدلف طلبة العلم إلى الشيخ الطوسي، وتقاطر عليه الفضلاء؛ للحضور تحت منبره العلميّ، حتى أصبحت داره في بغداد مأوى المستفيدين، فبلغ عدد تلاميذه ثلاثمائة من مجتهدي الشيعة، ومن العامة ما لا يُحصى كثرةً، وهو مؤسس الحوزة العلمية في النجف الأشرف، توفّي سنة ٤٦٠هـ.

من آثاره: كتاب رجال الطوسي، ويُسمّى هذا الكتاب (الأبواب)، وكتاب (رجال الكشي)، وكتاب (الاستبصار)، وكتاب (البيان في تفسير القرآن)، وكتاب (الفهرست)، وكتاب (مصباح المتهجّد)، وغيرها من الآثار الهامة.

٨- الشيخ الفضل بن الحسن بن الفضل (الطبرسي):

وُلِدَ الشيخ الإمام أبو علي أمين الدين -الإسلام- الفضل بن الحسن بن الفضل الطبرسي في حدود سنة ٤٥٧هـ، في مدينة طبرستان، وهي بلاد واسعة مجاورة لبلاد مازندران وجيلان وجرجان في إيران، وهو من أسرة علمية تسلسل فيها العلم والفضل، وجلّ رجالها من العلماء الأفاضل، وسائر أقربائه من كبار الأدباء.

واستشهد الطبرسي يوم التاسع من ذي الحجة سنة ٥٤٨هـ على أثر هجوم شنه المتمردون على السلطان سنجر السلجوقي في خراسان



- كما في نقد الرجال-: «ونقل جثمانه إلى المشهد الرضوي، ودفن في مقبرة الشهداء بجوار مرقد الإمام الرضا (عليه السلام)، وفي الشارع الموسوم بشارع الطبرسي، وقبره مزار إلى اليوم».

من آثاره: كتاب (مجمع البيان في تفسير القرآن)، و(الكاف الشاف من كتاب الكشاف) وهو تلخيص لكتاب تفسير الكشاف للزمخشري، وكتاب (المستمد من البيان) وهو منتخب لكتاب البيان للشيخ الطوسي، وكتاب (الوافي) في تفسير وعلوم القرآن، و(الوجيز) وهو أيضًا في تفسير وعلوم القرآن، وكتاب (تاج الموالي) وهو كتاب في الأنساب، و(إعلام الوري بأعلام الهدى) وقد جمع فيه فضائل الأئمة الهداة وأحوالهم، وغيرها من كتبه العديدة.

٩- السيّد حمزة بن علي الحلبي (ابن زهرة):

السيّد أبو المكارم، حمزة بن علي بن أبي المحاسن زهرة بن أبي علي الحسن بن أبي المحاسن زهرة بن أبي المواهب علي بن أبي سالم محمد بن أبي إبراهيم محمد النقيب بن علي بن أبي علي أحمد بن أبي جعفر محمد بن أبي عبدالله الحسين بن أبي إبراهيم إسحاق المؤتمن بن الإمام الصادق (عليه السلام)، من أكابر علماء الشيعة ومجتهديها، وهو عالم، فاضل، ثقة، جليل القدر.

وُلِدَ السيّد الحلبي في شهر رمضان عام ٥١١هـ، وتوفي في مدينة حلب السورية عام ٥٨٥هـ، ومن أساتذته: أبوه السيّد علي بن زهرة الحلبي، وجدّه السيّد أبو المحاسن زهرة الحلبي، والشيخ أبو منصور محمد بن الحسن الموصلبي، وأبو عبدالله الحسين بن طاهر بن الحسين.

أمّا تلامذته فنذكر منهم: الشيخ معين الدين المصري، والشيخ شاذان بن جبرائيل القمّي، والشيخ محمد بن جعفر المشهدي، وابن أخيه السيّد محي الدين محمد الحلبي، والشيخ محمد بن أحمد بن إدريس الحلبي.



ومن آثاره: (الاعتراض على الكلام الوارد من حمص)، وكتاب (الجواب عما ذكره مطران)، و(الجواب عن الكلام الوارد من ناحية الجبل)، و(جواب المسائل الواردة من بغداد)، و(مسائل في الرد على المنجمين)، وغيرها من الكتب النفيسة.

١٠ - الشيخ محمد بن علي بن شهر آشوب (رشيد الدين):

أبو جعفر محمد بن علي بن شهر آشوب بن أبي نصر بن أبي الجيش المازندراني الملقب بـ: رشيد الدين، وعزّ الدين، المفسّر، المحدث، الأديب، الفقيه الإمامي، ويُسْتَشْفَى من نسبة (السَّرَوِيّ) إليه وإلى أبيه وجده أنّهم كانوا من مدينة ساري مركز محافظة مازندران.

ولد عام ٤٩٨ هـ، أمّا محلّ ولادته فلا يتسنى لنا أن نُبدي رأياً قاطعاً فيما إذا كان مازندران أو غيرها، وافاه الأجل في حلب سنة ٥٨٨ هـ، ودُفِن في جبل الجوشن قريباً من الموضع المشهور بمشهد الحسين عليه السّلام.

من آثاره: كتاب (مناقب آل أبي طالب) في أربعة مجلدات، (مثالب النواصب) وهو بحجم المناقب، (المخزون المكنون في عيون الفنون) (أعلام الطرائق في الحدود والحقائق)، (مائدة الفائدة)، (المثال في الأمثال)، (أسباب النزول على مذهب آل الرسول).

ومن خلال آثاره الباقية يستبين لنا بوضوح تبخّره في علوم القرآن، والحديث، والرّجال، كما كان له يدٌ في الشعر أيضاً.

١١ - الشيخ محمد بن منصور بن أحمد (ابن إدريس الحلبي):

هو العلامة الكبير أبو عبدالله محمد بن منصور بن أحمد بن إدريس العجلي الحلبي (٥٤٣ هـ - ٥٩٨ هـ)، فقيه ومحدث شيعي معروف باسم (ابن إدريس الحلبي).



من آثاره: كتاب (السرائر الحاوي لتحرير الفتاوي) وهو أهم كتبه وبه اشتهر، رسالة في (معنى الناصب)، (منتخب كتاب التبيين)، (خلاصة الاستدلال)، كتاب (التعليقات).

١٢- الشيخ جعفر بن محمد بن هبة الله (ابن نما الحلبي):

الشيخ جعفر بن محمد بن هبة الله بن نما الحلبي، وُلِدَ عام ٥٦٧هـ بمدينة الحلة في العراق، وتوفي سنة ٦٤٥هـ، يعدّ من مشايخ الشيعة الكبار، ومن العلماء المبرزين في الطائفة الاثني عشرية.

ومن أساتذته: أبوه الشيخ محمد بن هبة الله بن نما الحلبي، والشيخ محمد بن أحمد بن إدريس الحلبي، والسيد علي بن طاووس.

من آثاره: (مثير الأحزان)، (أخذ الثأر في أحوال المختار)، (ذوب النضار في شرح أخذ الثأر).

١٣- السيد علي بن موسى (ابن طاووس):

السيد الجليل أبي القاسم علي بن موسى ابن طاووس الحسن بن الحلبي، من أشرف الأسر العلمية في الحلة وشهرتهم واسعة، كانوا بسوراء المدينة، ثم انتقلوا إلى بغداد والحلة، ولقب جدهم محمد بالطاووس لحسن وجهه وجماله.

وابن طاووس من أجلاء الطائفة وثقاتها، جليل القدر، عظيم المنزلة، كثير الحفظ، نقي الكلام، حاله في العلم والعبادة والفضل والزهد والثقة والفقهاء والجلالة والورع أشهر من أن يُذكر، وكان أيضًا شاعرًا، أدبيًا، منشئًا، بليغًا.

ولد رضي الدين بن طاووس بالحلة سنة ٥٨٩هـ، ثم أقام ببغداد نحوًا



من خمس عشرة سنة، ثم رجع إلى الحلة، ثم سكن النجف الأشرف برهة، ثم عاد إلى بغداد في أيام دولة المغول وبقي فيها إلى حين وفاته.

عُرِضت عليه نقابة العلويين في عصر المستنصر العباسي فأبى، ثم عُرِضت عليه في زمن المغول فوافق، فتولّاها سنة ٦٦١ هـ، وبقي فيها ثلاث سنين وأحد عشر شهراً إلى أن توفّي، واستمرت النقابة في عقبه من بعده.

آثاره: (الملاحم والفتن)، (فرج المهموم)، (سعد السعود)، (الملهوف على قتلى الطفوف).

١٤ - الشيخ محمد بن محمد بن الحسن (نصير الدين الطوسي):

هو محمد بن محمد بن الحسن المعروف بالخواجه نصير الدين الطوسي، شيخ الإسلام والمعلّم الأكبر، تتلمذ على أبيه محمد بن الحسن في مراحل الدراسة الأولى، ثم درس علوم اللغة من: نحو، و صرف، وأدب، بعد دراسته القرآن، وبتوجيه من أبيه درس الرياضيات على كمال الدين محمد المعروف بالحاسب، ثم درس الحديث والأخبار، وتوسّع في دراسة الحديث على أبيه، كما درس عليه الفقه، ودرس المنطق والحكمة على خاله والحكيم فاضل بابا أفضل الكاشي الفيلسوف.

وبعد دراسته على خاله أتقن الطوسي علوم الرياضيات من: حساب، وهندسة، وجبر، وهو لا يزال في مطلع شبابه، وفي هذا الصدد يقول عن نفسه: أنّه بعد وفاة والده عمل بوصيته في الرحيل إلى أي مكان يلقي فيه أساتذة يستفيد منهم، وكانت نيسابور في ذلك العهد مجمع العلماء ومنتجع الطلاب، فسافر إليها حيث حضر حلقة كل من: سراج الدين الضري، وقطب الدين الداماد، وأبو السعادات الأصفهاني، وآخرين غيرهم، كما لقي فيها فريد الدين العطار، ودرس على معين الدين سالم

بن بدران المازني المصري الإمامي، وقد أجازَه معين الدين في عام ٦١٩هـ، وتوفي سنة ٦٧٢هـ، وقبره في الكاظمية.

آثاره: له مصنّفات مميّزة في علم الفلك، ومن أشهر مؤلفاته: (تجريد العقائد) وهو كتاب فلسفي، ومن أشهر كتبه كتاب (شكل القطاع)، (التذكرة النصيرية)، (التذكرة في علم الهيئة)، (تجريد المنطق).

١٥- الشيخ جعفر بن الحسن الحلبي (المحقّق الحلبي):

شيخ الفقهاء الشيخ جعفر بن الحسن بن يحيى بن الحسن بن سعيد الهذلي الحلبي، أبو القاسم نجم الدين المشهور بـ (المحقّق الحلبي).

وُلد عام ٦٠٢هـ، والده الشيخ حسن الحلبي، كان عالمًا فاضلاً يروي عنه ولده الشيخ جعفر، وكذا جدّه يحيى كان عالمًا محققًا من فقهاء عصره، وكانت وفاته في يوم الثالث عشر من ربيع الآخر سنة ٦٧٦هـ.

ومن آثاره: (شرائع الإسلام)، (نكت النهاية) وهو حاشية على نهاية الشيخ الطوسي، (المعارج في أصول الفقه)، (المسلك في أصول الدين)، (مدارك الأحكام)، (مسالك الأفهام)، (هداية الأنام)، (مصباح الفقيه)، (مسائل العزيرة)، وغيرها من الكتب الأخرى.

١٦- الشيخ الحسن بن يوسف بن علي (العلامة الحلبي):

هو الشيخ الحسن بن يوسف بن علي بن المطهر الحلبي المعروف بالعلامة الحلبي (٦٤٨هـ - ٧٢٦هـ)، فقيه ومتكلم جعفري ذائع الصيت، لم يُر مثله في هذه الطائفة بالتمكّن من ناصية العلم والإحاطة خاصة في الفقه.

خلف العديد من الآثار، منها: (الأبحاث المفيدة في تحصيل العقيدة)،

(إجازة بني زهرة)، (تبصرة المتعلّمين في أحكام الدين)، (تذكرة الفقهاء)، (الرسالة السعدية)، وغيرها العشرات من مؤلفاته الكثيرة.

١٧- الشيخ علي بن محمد بن علي (نصير الدين الكاشي):

علي بن محمد بن علي، الحكيم المتألّه نصير الدين الكاشي (الكاشاني) ثم الحلبي، كان من كبار فقهاء الإمامية، ومن أجلة المتكلمين، عارفاً بالمنطق، وُلِدَ بكاشان في حدود عام ٦٧٥هـ، وسكن الحلّة، وتفقه على مذهب الإمامية، وتبحّر في علم الكلام، وتوفي سنة ٧٥٥هـ.

ومن أشهر تلامذته: الشيخ شمس الدين محمد بن صدقة، والشيخ كمال الدين عبدالرحمن بن محمد بن إبراهيم بن العتايقي الحلبي.

من آثاره: كتاب (النكات) في مسائل امتحانية في علمي المنطق والكلام، (تعريب كتاب زبدة الإدراك في علم الأفلاك).

١٨- الشيخ محمد بن الحسن بن يوسف (فخر المحقّقين):

هو الشيخ محمد بن الحسن بن يوسف بن علي بن مطهر بن العلامة الحلبي، وُلِدَ عام ٦٨٢هـ، وتوفي سنة ٧٧١هـ.

وهو المرجع الديني الذي اشتهر بالتحقيق والتدقيق، وحافظ على نشاط المدرسة التي وضع أسسها وقواعدها خال والده المحقّق الحلبي أبو القاسم نجم الدين بن الحسن الهذلي الحلبي.

من مؤلفاته: (إيضاح الفوائد)، (رسالة الفخرية في النية)، (حاشية الإرشاد)، (الكافية الوافية في الكلام)، (شرح كتاب مبادئ الأصول)، (المسائل الحيدرية).



١٩ - الشيخ محمد بن مكي العاملي (الشهيد الأول):

الشيخ محمد بن مكي الجزيني العاملي من علماء الشيعة الكبار.

وُلد الشهيد الأوّل في القرن السابع الهجري عام ٧٣٤هـ في جبل عامل، واستشهد بدمشق يوم الخميس التاسع من جمادى الأولى سنة ٧٨٦هـ قتيلاً بالسيف على التشييع، وبذلك يكون عمره اثنتين وخمسين سنة.

كان الشهيد الأوّل في عصره مرجعاً في الأحكام الشرعية، حتى نال لقب (فقيه جميع الآفاق)، وكان شيخ العارفين في علوم الفقه، والحديث، والكلام، وبالتالي أوفر العلماء علمًا وأغناهم معرفة، وهذا ما مكّنه من إلقاء المحاضرات في مناهج الاستنباط، والفقه، والأصول، والحديث والكلام في حلقات التدريس المختلفة، وذلك على المذاهب الفقهية الخمسة، في لبنان وبلاد الشام ومصر والعراق وفلسطين، وأن يتبوأ مكانةً عاليةً في مختلف البلاد الإسلامية، لا سيّما سوريا، وقد استطاع إقناع السلطات في ذلك الوقت بمحاربة اليالوش الذي ادّعى النبوة، كما كان بيته ندوةً عامرةً لأصحاب الفضل والعلم وطلاب المعرفة.

كاتبه سلطان خراسان علي بن المؤيد وطلب منه الحضور إلى بلاده، لكنّه اعتذر وكتب له (اللمعة الدمشقية) في سبعة أيام، لتكون دستور بلاد خراسان.

ومن آثاره الكثيرة: (اللمعة الدمشقية في الفقه)، (كتاب الذكرى)، (كتاب البيان في الفقه)، (رسالة الباقيات الصالحات)، (الأربعون حديثاً)، (القواعد)، (رسالة التكليف).

٢٠ - الشيخ المقداد بن عبدالله بن محمد (الفاضل المقداد):

الشيخ جمال الدين المقداد بن عبدالله بن محمد بن الحسين بن محمد الأسدي، شرف الدين أبو عبدالله السيوري، الحلبي ثم النجفي،





المعروف بالفاضل المقداد، وبالفاضل السيوري، أحد أعيان الإمامية. كان عالمًا، فاضلاً، متكلمًا، محققًا، مدققًا، متبحرًا، وفقيرًا كبيرًا، ذا معرفة بفنون شتى، تلمذ على الفقيه المتصلع الشهيد الأول محمد بن مكي العاملي المتوفى ٧٨٦هـ، واختص به، وأخذ عنه العلم، وروى عنه، وسأله عن مسائل في الفقه، فأجاب عنها شيخه، فسُميت تلك المسائل مع أجوبتها بـ (المسائل المقدادية).

توفي في النجف الأشرف، ضحى نهار الأحد السادس والعشرين من جمادى الآخرة سنة ٨٢٦هـ، ودفن فيها.

له كتب منها: (شرح نهج المسترشدين في أصول الدين)، و(كنز العرفان في فقه القرآن)، و(التنقيح الرائع في شرح مختصر الشرائع)، و(شرح الباب الحادي عشر)، و(شرح مبادئ الأصول)، وغير ذلك.

٢١- الشيخ أحمد بن محمد بن فهد (الحلي):

الشيخ جمال الدين أحمد بن شمس الدين محمد بن فهد الأسدي الحلي.

وُلد عام ٧٥٧هـ، وتوفي سنة ٨٤١هـ، قال عنه الحرّ العاملي: «عالم، فاضل، ثقة، زاهد، عابد، ورع، جليل القدر»، ووصفه السيّد جمال الدين بن الأعرج العميدي: «إنّه أحد المدرّسين في المدرسة الزعنية في الحلة السيفية، من أهل العلم والخير والصلاح والبذل والسماح».

آثاره: ألف رحمه الله أكثر من خمسة وعشرين كتابًا في الفقه، مثل: كتاب (المهذب البارع في شرح المختصر النافع)، وكتاب (شرح ألفية الشهيد)، وفي الأدعية، مثل: كتاب (عدّة الداعي ونجاح الساعي)، وفي العرفان، مثل: كتاب (أسرار الصلاة).



٢٢- الشيخ إبراهيم بن علي بن الحسن (الكفعمي):

هو الشيخ تقي الدين إبراهيم بن علي بن الحسن بن محمد بن صالح بن إسماعيل الحارثي الهمداني العاملي الكفعمي، وفي آخر كتابه المصباح: إبراهيم بن علي بن حسن بن صالح.

وُلِدَ عام ٨٤٠هـ، وتوفي سنة ٩٠٥هـ، وله كتب وأشعار وتصانيف منها: كتاب (جُنَّة الأمان الوقية) المشهور باسم (المصباح)، وكتاب (البلد الأمين والدرع الحصين)، وكتاب (نهاية الأرب في أمثال العرب)، وغيرها.

٢٣- علي بن الحسين العاملي (المحقق الكركي):

هو الشيخ نور الدين علي بن الحسين بن عبدالعالي العاملي الكركي، كنيته أبو الحسن، يُلقَّب تارةً بالشيخ العلائي، وأخرى بالمحقق الثاني، أحد علماء الإمامية، ولد في كرك من قرى جبل عامل عام ٨٦٨هـ، ودرس فقه أهل البيت عليهم السلام لدى شيوخ العلم في زمانه، كالشيخ علي بن هلال الجزائري.

سافر إلى بلاد فارس واتصل بالشاه الصفوي (طهماسب)، فمكَّنه من الملك، فسعى بعد توليه لهذا المنصب في نشر مذهب أهل البيت عليهم السلام، وبذل جهداً كبيراً في تلك الفترة لتطبيق القوانين والتشريعات الإسلامية في الحياة اليومية ومن جميع النواحي، ثم اضطرتّه ظروف قاهرة إلى الهجرة وترك بلاد فارس مع ما كان له فيها من الجاه العريض، وسكن في العراق.

توفي في النجف الأشرف يوم الاثنين الثامن عشر من ذي الحجة سنة ٩٤٠هـ، في زمن السلطان (طهماسب).

آثاره: (جامع المقاصد)، و(شرح إرشاد العلامة)، و(الرسالة الجعفرية)،

و(رسالة الرضاع)، و(رسالة الخراج)، و(رسالة في أقسام الأرضين)،
و(رسالة في صيغ العقود والإيقاعات)، و(رسالة الجمعة)، وغيرها من
الرسائل والحواشي.

٢٤- الشيخ زين الدين الجبعي العاملي (الشهيد الثاني):

هو الشيخ زين الدين بن نور الدين علي بن أحمد بن جمال الدين بن
تقي الدين بن مشرف (الجباعي) العاملي، المعروف بالشهيد الثاني.

وُلِدَ عام ٩١١هـ، ونشأ في أسرة علمية فاضلة، حيث إن ستة من آبائه
وأجداده كانوا من العلماء الفضلاء، وقد اجتمع لديه عاملان مهمان
نهضاً به إلى تسلق سنام المجد، وهما:

الأول: الجو العلمي الذي تأثر به؛ فبلور ذهنيته، ونمى فيه مواهب
الفقاهة والمعرفة.

الثاني: الحالة الروحية التي كان يتمتع بها الشهيد الثاني منذ صباه، فقد
بكر بختم القرآن والتوجه العبادي.

وإلى جانب هذين العاملين كانت الهجرة من وطنه طلباً للعلم سبباً آخر
في ارتقائه مدارج المعرفة، حيث سافر إلى (ميس) إحدى قرى جبل
عامل في جنوب لبنان ولم يكن تجاوز سن المراهقة، فأكمل دراسته
المعمّقة مشفوعاً بالبحث الجاد والمراجعة المركّزة، فقطع فيها مراحل
عديدة في مدّة قصيرة، وهو في شوق إلى العلم وحسن استماع لحديث
الأكابر، وكان شجاعاً في ساحات الحوار والمباحثة، يُفيد ويستفيد.

اغتاله أحد ألام ملك الروم بوشاية من قاضي مدينة صيدا، وذلك في
الخامس عشر من شهر رمضان ٩٦٥هـ.

آثاره: وهي تتجاوز الثلاثين مؤلفاً، نذكر منها: (الروضة البهية في شرح
اللّعة الدمشقية) عشرة أجزاء، (مسالك الأفهام في شرح شرائع الإسلام)



في سبعة مجلّدات، (تمهيد القواعد الأصولية والعربيّة).

٢٥- الشيخ أحمد بن محمد الأردبيلي (المقدّس الأردبيلي):

هو الشيخ أحمد بن محمد الأردبيلي ثم النجفي، الشهير بالمحقّق وبالمقدّس الأردبيلي، أحد كبار مجتهدى علماء الإمامية وربّانيهم.

ولد في أردبيل، ونشأ بها، واستفاد من خاله الذي كان من كبار العلماء في الفلك والرياضيات، وأخذ بشيراز العلوم العقلية عن جمال الدين محمود تلميذ جلال الدين الدواني.

ارتحل إلى النجف الأشرف وأقام بها، وأكمل دراسته في الفقه والأصول وغيرهما، وبرع في العلوم لا سيّما الفقه، حتى بلغ درجة الاجتهاد، وقد أجاز به السيّد علي بن الحسين الحسيني الصائغ.

تُوفّي في المشهد الغرويّ المقدّس بالنجف في شهر صفر سنة ٩٩٣هـ.

آثاره: صنّف كتباً قال عنها المجلسي: «إنّها في غاية التدقيق والتحقيق»، منها: (زبدة البيان في أحكام القرآن) وهو تفسير لآيات الأحكام، (مجمع الفائدة والبرهان في شرح إرشاد الأذهان للعلامة الحلّي) في اثني عشر جزءاً، وقد شمل معظم أبواب الفقه، (حديقة الشيعة - تعليقات على قواعد الأحكام في مسائل الحلال والحرام للعلامة الحلّي)، (تعليقات على تذكرة الفقهاء للعلامة الحلّي)، (حاشية على إلهيات شرح تجريد العقائد للقوشجي).

٢٦- الشيخ محمد علي بن محمد النجفي (البلاغي):

الشيخ الفقيه المتبحّر الصفي محمد علي بن محمد البلاغي النجفي، من علماء الشيعة العراقيين المعروفين.

قال سبطه الفاضل الشيخ حسن بن العباس بن محمد علي في كتاب



تنقيح المقال على ما حكى عنه: محمد علي بن محمد البلاغي جدِّي -رحمه الله- من وجوه علمائنا المجتهدين المتأخرين وفضلائنا المتبحرين، ثقة، عين صحيح الحديث، واضح الطريق، نقي الكلام، جيد التصانيف، له تلاميذ فضلاء أجلاء علماء، وله كتب حسنة جيّدة، منها: شرح أصول الكليني، وشرح الإرشاد للعلامة الحلي، وله حواشٍ على التهذيب والفتاوى، وله حواشٍ على أصول المعالم وغيرها، وكان من تلاميذه: الفاضل الورع أحمد بن محمد الأردبيلي.

توفي في شهر شوال سنة ١٠٠٠ هـ في كربلاء، ودفن في الحضرة المقدسة.

من آثاره: (شرح أصول الكافي)، (شرح إرشاد العلامة)، (حواشي التهذيب)، (حواشي الفقيه)، (حواشي أصول المعالم).

٢٧- الشيخ محمد بن الحسين بن عبد الصمد (البهائي):

الشيخ محمد بن عز الدين حسين بن عبد الصمد، ويسمى (بهاء الدين) وقد أصبح شهرة له، وكانت أسرته تُلَقَّب بـ: الحارثي والهمداني والجبعي، وكان جدّه الحارث الهمداني أحد خواص أمير المؤمنين عليه السلام.

وُلد سنة ٩٥٣ هـ في بعلبك بلبنان، ونشأ في ظلّ والده الشيخ عزّ الدين الحسين بن عبد الصمد، الذي كان عالمًا محققًا جامعًا أديبًا جليل القدر ثقة، ومن تلاميذ الشهيد الثاني.

انتقل الشيخ البهائي مع والده وهو صغير -إلى بلاد فارس، وهناك أخذ عن والده وغيره من أفاضل العلماء، وقد عاش في عهد الدولة الصفوية التي شهدت حركة علمية واسعة يومذاك، فبقي الشيخ فيها جادًا في دراسته في كنف والده الذي اعتنى بتربيته وتوجيهه، وحثه على مكارم الأخلاق وأرشده إلى العلوم النافعة، وشجّعه على حفظ الشعر ونظمه،

وغذاه بحبّ أهل البيت عليهم السّلام، وقول المدح والرثاء فيهم.

توفي سنة ١٠٣١ هـ، وقبره في خرسان، مشهد.

آثاره: أحصى الشيخ الأميني منها سبعةً وسبعين كتاباً في شتّى العلوم، ثمّ أضاف غيره إليها عدداً آخرَ فكانت تأليفه النافعة ثمانية وثمانين كتاباً، منها: (الزبدة في الأصول)، (شرح الأربعين حديثاً)، (المخلاة)، (الكشكول).

٢٨- الشيخ فخر الدين بن محمد علي (الطريحي):

هو الشيخ فخر الدين بن محمد علي بن أحمد بن علي بن أحمد بن طريح بن خفاجة بن يعقوب الطريحي المسلمي العزيزي الأسدي الرماحي المنتهي نسبه إلى حبيب بن مظاهر الأسدي، ولقب (الطريحي) هو نسبة إلى الشيخ طريح بن خفاجة جدّ الأسرة، والمسلمي نسبة إلى بني مسلم إحدى فصائل بني أسد.

وُلد الشيخ الطريحي عام ٩٧٩ هـ بمدينة النجف الأشرف في العراق، ونشأ نشأة علمية في أحضان والده، وعمّه الشيخ محمد حسين الطريحي، واجتهد في طلب العلم والدراسة عندهما حتى حصل على مراتب من العلم، وقد كان محباً للعلم شغوفاً بالمعارف والكمالات، فكتب وصنّف وألّف، وأجاد وأفاد، كما شهد له أقرانه بذلك، أمثال: المجلسي صاحب بحار الأنوار، والحرّ العاملي صاحب الوسائل.

توفي الشيخ الطريحي سنة ١٠٨٥ هـ بمدينة الرماحية، ونقل للنجف ودفن في تربته، وقبره معروف مشهور في داره التي كان يقطنها إلى عهد قريب أسرة آل الطريحي بقرب مسجده الذي صلّى فيه زمناً.

آثاره: لا تزال العديد من مصنّفاته تشهد له بطول الباع وسعة الاطلاع، فكتاب (مجمع البحرين ومطلع النيرين) - وقد طبع مراراً- هو المرجع

للباحثين والمتأدبين، وكتاب (غريب الحديث)، وكتاب (الضياء اللامع في شرح الشرائع)، وكتاب (تفسير غريب القرآن)، بالإضافة إلى مؤلفات أخرى مثل: (نزهة خاطر وسرور الناظر وتحفة الحاضر ومتاع المسافر)، (غريب أحاديث الخاصة)، (الضياء اللامع في شرح المختصر النافع للمحقق الحلبي)، (شفاء السائل في مستطرفات المسائل)، (الفخرية الكبرى).

٢٩- الشيخ محمد باقر بن محمد تقي (المجلسي):

الشيخ محمد باقر بن الشيخ محمد تقي المجلسي، ينتهي نسبه إلى أحمد بن عبدالله المعروف بـ(الحافظ أبو نعيم)، صاحب كتاب (حلية الأولياء في طبقات الأصفياء).

وُلد الشيخ محمد باقر في مدينة أصفهان من بلاد إيران سنة ١٠٣٧هـ، ثبت ذلك الأمير عبدالحسين الخاتون آبادي في (تاريخ وقائع الأيام والسنين)، ووثقه الشيخ يوسف البحراني في (لؤلؤة البحرين) ذاكراً تعليقه للشيخ المجلسي في حاشية له على كتابه (بحار الأنوار) نصّها: «ومن الغرائب أنه وافق تاريخ ولادتي عدد (جامع كتاب بحار الأنوار)، كما تفتن له بعض أصحابنا الأخيار» أي سنة ١٠٣٧هـ، وتوفي عام ١١١١هـ.

والده هو الشيخ محمد تقي بن مقصود علي المجلسي، من أكابر العلماء وأجلّتهم، ذكره العلماء في تراجمهم بنحو كبير من الحفاوة والإجلال، وقد نسبت له كرامات كثيرة وفضائل شريفة.

آثاره: (بحار الأنوار الجامعة لدرر أخبار الأئمة الأطهار - عليهم السلام-)، (مرآة العقول في شرح أخبار آل الرسول - صلى الله عليه وآله-).

٣٠- الشيخ أحمد بن إسماعيل النجفي (الجزائري):

الشيخ أحمد بن إسماعيل النجفي الجزائري، من أكابر علماء الشيعة ومجتهديها، عُرف بالزهد والتقوى والعلم الغزير، حتى أصبح يشار له بالبنان في عصره، وأصبح العالم المتفرد بالزعامة في ذلك العصر، وتوفي سنة ١١٥١هـ أو ١١٥٠هـ، وقبره في النجف الأشرف.

له العديد من الآثار أهمها: (آيات الأحكام).

٣١- الشيخ يوسف بن الشيخ أحمد بن إبراهيم (آل عصفور):

الشيخ يوسف بن الشيخ أحمد بن إبراهيم بن أحمد بن صالح العصفوري البحراني، ولد عام ١١٠٧هـ، بقرية الماحوز في البحرين. رجل دين عملاق، وفقه مبرّز من فقهاء الشيعة، ويعدّ من أبرز أعلام المدرسة الإخبارية الشيعية.

توفي الشيخ البحراني قدس سرّه في الرابع من ربيع الأوّل ١١٨٦هـ، بمدينة كربلاء المقدّسة، وصلى عليه الشيخ الوحيد البهبهاني، ودفن بجوار مرقد الإمام الحسين عليه السلام.

آثاره: (الحدائق الناضرة في أحكام العترة الطاهرة)، (الكنوز المودعة في إتمام الصلاة في الحرم الأربعة: مكة، والمدينة، وكربلاء، والكوفة)، (الشهاب الثاقب في بيان معنى الناصب وما يترتب عليه من المطالب)، (كشف القناع عن صريح الدليل في الردّ على من قال في الرضاع)، (أنيس المسافر وجليس الحاضر، المعروف بكشكول البحراني)، (ميزان الترجيح في أفضلية القول فيما عدا الأولين بالتسييح).

٣٢- الشيخ محمد باقر بن محمد أكمل (الوحيد البهبهاني):

الشيخ الأغا محمد باقر بن محمد أكمل الأصفهاني البهبهاني، فقيه شيعي كبير، ذائع الصيت، ومن فحول علماء عصره، إليه انتهت الرئاسة الدينية، ومن مجدّدي المدرسة الأصولية في القرن الثاني عشر الهجري، كما كان له دور كبير في محاربة التصوّف.

ولد في أصفهان عام ١١١٨هـ، وقطن برهة في بهبهان، ثم انتقل إلى كربلاء في عهد رئاسة الشيخ يوسف البحراني (صاحب الحدائق)، وحضر على أركان الملة وأقطاب الشريعة من سدنة المذهب وفحول العلماء، ونشر فيها العلم، فانتهدت إليه الزعامة الدينية ورئاسة المذهب الإمامي، وأخذ عنه علماء ذلك العصر كالمولى مهدي النراقي، والميرزا أبي القاسم القمي، والميرزا مهدي الشهرستاني، والسيّد محسن الأعرجي، والشيخ ابن علي الحائري، والشيخ الأكبر جعفر صاحب كشف الغطاء، والسيّد مهدي بحر العلوم وغيرهم، وتوفي في كربلاء سنة ١٢٠٦هـ، ودفن فيها.

آثاره: (الفوائد الرجالية)، (الفوائد الحائرية)، (أصول الإسلام والإيمان)، (تعليقات على منهج المقال)، (حاشية على مفاتيح الأحكام)، (فوائد عتيقة وفوائد جديدة).

٣٣- السيّد محمد مهدي بن السيّد مرتضى (بحر العلوم):

هو السيّد محمد مهدي بن السيّد مرتضى بن محمد بن عبدالكريم، الذي يرجع نسبه إلى الحسن المثنى بن الإمام الحسن بن أمير المؤمنين عليه السلام.

ولد السيّد بحر العلوم في كربلاء عام ١١٥٥هـ، وحظي برعاية والده الذي كان من أكبر علماء عصره، كما يعدّ السيّد محمد مهدي من مشاهير عصره كذلك؛ حيث عُرف عنه غزارة العلم، وهو فقيه من

فقيهاء الشيعة الكبار، حصل على درجة الاجتهاد وهو في السابعة عشر من عمره، وتخرّج على يديه العديد من فقهاء الشيعة، وهو من مجيزي الشيخ الأوحّد.

توفّي السيّد بحر العلوم سنة ١٢١٢هـ، ودفن في النجف الأشرف حيث أصبح قبره مقصدًا لأصحاب الحوائج.

آثاره: (الفوائد الرجالية)، (رسالة في مناظراته لليهود)، (كتاب المصايح)، (الدرة النجفية)، (مشكاة الهداية)، (تحفة الكرام في تأريخ مكة والبيت الحرام)، (رسالة في العصير العنبي: مدرجة في كتابه المصايح)، (شرح باب الحقيقة والمجاز: من كتاب «الوافية» للفاضل التونسي)، (شرح جملة من أحاديث التهذيب: للشيخ الطوسي)، (الفوائد الأصولية)، وغيرها من الآثار الكثيرة.

٣٤- الشيخ جعفر بن خضر الجناحي (كاشف الغطاء):

الشيخ الأكبر جعفر بن الشيخ خضر بن يحيى بن مطر الجناحي النجفي المعروف (بكاشف الغطاء) نسبة إلى كتابه كشف الغطاء، ووصف بالشيخ الأكبر.

وُلد الشيخ الأكبر في النجف الأشرف سنة ١١٥٦هـ، وترعرع فيها، حيث درس على كبار علمائها، منهم: الشيخ محمد مهدي الفتوني العاملي، والعلامة السيّد مهدي بحر العلوم؛ حتى أصبح رئيس الفقهاء.

كان للشيخ الأكبر كاشف الغطاء دور كبير في حماية مدينة النجف من الغارات الوهابية التي تتالت على العراق، فقد أمر بتسليح أهلها لا سيّما رجال الدين الذين جلب لهم السلاح الكافي الرائج يومئذ، وأمرهم بالتدريب عليه، وقد ألّف السيّد جواد العاملي وقتها رسالة في وجوب الذب عن النجف.

وقد خرّج كاشف الغطاء تلاميذ كبارًا، كصاحب الجواهر، والسيد جواد العاملي صاحب (مفتاح الكرامة)، ومن أبرز تلاميذه: ولده الكبير الشيخ موسى، وغيره من مشاهير العلماء، وأجاز شيخنا الأوحد أحمد بن زين الدين الأحسائي.

توفّي رحمه الله في سنة ١٢٢٨ هـ، ودفن في النجف الأشرف، حيث أصبح قبره مزارًا مشهورًا.

آثاره: (كشف الغطاء)، (الطهارة)، (العقائد الجعفرية)، (الحق المبين في الرد على الإخباريين)، (غاية المأمول في علم الأصول)، (غاية المراد في أحكام الاجتهاد)، وغيرها من الآثار الكثيرة.

٣٥- السيد علي بن محمد بن علي الطباطبائي (صاحب الرياض):

السيد علي بن محمد بن علي بن أبي المعالي الصغير الطباطبائي، وُلِدَ في مشهد الكاظمين عليهما السلام عام ١١٦١ هـ، وتلمذ على خاله العلامة الوحيد البهبهاني، وعلى صاحب الحدائق، وهو من علمائنا الكبار في العصور المتأخرة، أجاز العديد من كبار علماء الشيعة، ومنهم الشيخ أحمد بن زين الدين الأحسائي.

وقد عُرف السيد علي بجلالة قدره، وغازة علمه، وشدة ورعه، توفّي سنة ١٢٣١ هـ، ودفن في مشهد الإمام الحسين عليه السلام قرب خاله العلامة الوحيد البهبهاني قدس سرّه.

آثاره: صنّف كتاب (رياض المسائل) الذي يعدّ من أشهر تصانيف الإمامية، (رسالة وجيزة في الأصول الخمسة)، (رسالة في الإجماع والاستصحاب) شرحه على (مفاتيح الشرائع).



٣٦- المولى محمد شريف المازندراني (شريف العلماء):

هو الشيخ محمد شريف بن حسن علي الأملي المازندراني الحائري المعروف بشريف العلماء، عالم جليل القدر، تبوأ مكانةً ساميةً في ميدان العلم، وله شهرة ذائعة الصيت، وحياة حافلة بجلائل الأعمال ونوادير الأفعال، شيخ فقهاء عصره وأستاذ العلماء الفحول، ذكره العاملي في (أعيان الشيعة) بقوله: «وُلِدَ في كربلاء، ودُفِنَ قرب باب القبلة، شيخ العلماء، ومربّي الفقهاء، ومؤسس علم الأصول، وجامع المعقول والمنقول، نادرة الدهر، وأعجوبة الزمان، قرأ أولاً على السيّد محمد المجاهد، ثم قرأ على والده -صاحب الرياض- في الأصول والفقاه حتى استغنى.

توفي في الطاعون الجارف سنة ١٢٤٦ هـ، ودفن في داره بكربلاء، وقبره مزار معروف في زقاق (كدا علي)، المتفرّع من شارع الحسين عليه السلام، وإلى جانبه مدرسة شريف العلماء».

آثاره: (بيع المعاطاة)، (رسالة في مقدّمة الواجب)، وغيرها من المؤلفات العديدة.

٣٧- السيّد إبراهيم الموسوي القزويني (صاحب الضوابط):

هو السيّد إبراهيم بن السيّد محمد باقر الموسوي القزويني، المولود سنة ١٢٠٤ هـ، علّم شامخ من أعلام الفكر، وفقه بارع متضلع في العلوم العقلية والنقلية، انتقل مع والده السيّد محمد باقر الموسوي القزويني إلى كربلاء، فقرأ على السيّد علي (صاحب الرياض)، وفي أواخر أيامه لازم درس (شريف العلماء) في الأصول، ثم هاجر إلى النجف، فقرأ على الشيخ علي بن الشيخ جعفر صاحب كشف الغطاء في الفقه، وعلى أخيه الشيخ موسى، ثم عاد إلى كربلاء، فلزم درس (شريف العلماء)، واشتغل في التدريس في حياة أستاذه، واجتمع في مجلس درسه نحو





مئة طالب، واستقل في التدريس بمدرسة السردار حسن خان المتصلة بالصحن الحسيني الشريف، وكان يجتمع في حلقة درسه ما يزيد على ألف طالب، وفيهم من فحول العلماء، كما قرأ أيضاً على السيّد محمد (صاحب المناهل ومفاتيح الأصول)، وهو الذي رغبه في التأليف في الفقه وأعطاه من كتب الفقه ما يلزمه.

توفي في كربلاء بمرض الوباء سنة ١٢٦٢هـ عن عمر ناهز الستين، ودفن في مقبرته جنب داره قريباً من المشهد الحسيني، وأعقب ولدين، هما: السيّد أحمد والسيّد باقر الشهيد آغا بزرك، ومن آثاره الخيرية: بناء سور سامراء، وتذهيب إيوان سيدنا العباس بن علي عليه السلام، كما صرّحت بذلك المصادر.

آثاره: ترك لنا (صاحب الضوابط) مجموعةً من تصانيفه القيّمة التي دوّنت في (أعيان الشيعة)، أشهرها: (ضوابط الأصول) مطبوع في مجلدين، وكان تأليفه في سنة الطاعون، و (الدلائل).

٣٨- الشيخ أحمد بن زين الدين الأحسائي (الأوحد):

هو الشيخ أحمد بن الشيخ زين الدين بن إبراهيم بن صقر بن إبراهيم بن داغر بن رمضان بن راشد بن دهيم بن شمروخ آل صقر المهاشير (نسبة إلى جبل (ميشور) في تهامة، وهو من رهط بني خالد، وبني خالد من تهامة، وهي تنتمي إلى قريش أشرف العرب نسباً، وكانت بني خالد تسكن جبل (ميشور)، وقبيلة المهاشير قبيلة عربية أصيلة، عُرفت بمعادن الشرف والكرم.

ولد رحمه الله تعالى في الأحساء في قرية (المطيرفي) بالأحساء في شهر رجب عام ١١٦٦هـ.

فقيه إمامي وحكيم إلهي، من أكابر علماء الشيعة وفقهائها، عالم جليل المكانة، اتّصف بالزهد والورع والتقوى، وتبوأ مكانةً عاليةً في ميادين





العلم والحكمة وعلى قدر كبير من الذهنية المتّقدة، وله شهرة ذائعة الصيت، اتصل به الشاه الإيراني فتحعلي شاه القاجاري طالباً منه القدوم إلى إيران إلا أنّه رفض، وعاش حياة حافلةً بجلائل الأعمال، وعظيم الأفعال، ومن أشهر كتبه (شرح الزيارة).

مشايخه في الإجازة: الشيخ أحمد الدمستاني البحراني، السيّد ميرزا محمد مهدي الشهرستاني، الشيخ جعفر بن الشيخ خضر النجفي، السيّد مهدي الطباطبائي بحر العلوم، الشيخ حسين آل عصفور البحراني، السيّد علي الطباطبائي، الشيخ موسى كاشف الغطاء بن الشيخ جعفر الجناحي النجفي صاحب كتاب (كشف الغطاء) والذي أجاز الشيخ أيضاً، الشيخ أحمد بن الشيخ محمد آل عصفور البحراني شقيق الشيخ حسين آل عصفور البحراني، الشيخ محمد بن الشيخ حسين بن أحمد بن عبدالجبار القطيفي.

توفي يوم الأحد الثاني والعشرين من ذي القعدة سنة ١٢٤١هـ، في (هدية) ما بين المدينة ومكة، ونُقل جثمانه إلى المدينة المنورة، ودفن في البقيع خلف الحائط الذي فيه أئمة البقيع عليهم الصلاة والسلام.

آثاره: له العديد من الآثار والمصنّفات الهامة في مختلف العلوم والمعارف، أهمها: (شرح الزيارة الجامعة)، و(شرح الفوائد)، و(شرح العرشية)، و(شرح المشاعر)، وفي كتابنا (آخر الفلاسفة) رصدنا له (١٨٥) كتاباً ورسالة وخطب وفوائد.

٣٩- الشيخ محمد حسن بن باقر النجفي (شيخ الفقهاء):

هو شيخ الفقهاء العلامة الشيخ محمد حسن بن الشيخ باقر بن الشيخ عبدالرحيم بن الآغا محمد الصغير بن الآغا عبدالرحيم الشريف الكبير، من أعلام الطائفة الإمامية وفقهاء الاثني عشرية، نبغ في النجف الأشرف، وانتهت إليه مرجعية الشيعة ورئاسة الطائفة الإمامية في كافة





الأقطار.

ولد شيخنا (صاحب الجواهر) حدود سنة ١١٩٢هـ، في دار والده المجاورة للصحن الحيدري الشريف في النجف الأشرف، ومات فيها.

من أشهر تلامذته: الشيخ حبيب الله الرشتي، الشيخ محمد حسن آل ياسين، السيّد حسن المدرس الأصفهاني، ميرزا حسين الخليلي الرازي، الشيخ محمد باقر نجفي محمد حسين كاظمي، الشيخ عبدالحسين (شيخ العراقيين).

توفي شيخنا صاحب الجواهر في غرّة شعبان يوم الأربعاء عند زوال الشمس سنة ١٢٦٦هـ، في النجف الأشرف.

من آثاره: الموسوعة الفقهية الإسلامية الكاملة (جواهر الكلام)، (نجاة العباد في يوم المعاد).

٤٠ - الشيخ مرتضى الأنصاري (صاحب المكاسب):

الشيخ مرتضى بن محمد أمين بن مرتضى بن شمس الدين الأنصاري، ينتهي نسبه إلى جابر بن عبدالله الأنصاري الصحابي المعروف، أحد علماء الإمامية.

ولد في مدينة ديزفول بإيران سنة ١٢١٤هـ، وتوفي في ١٨ جمادي الآخرة سنة ١٢٨١هـ، ودفن في المشهد الغروي على يمين الخارج من الباب.

انتهت إليه رئاسة الإمامية بعد وفاة الشيخ محمد حسن (صاحب الجواهر)، وقام بها خير قيام، وازدهرت الحوزة في زمانه، حيث خرّجت ثلّة كبيرة، من العلماء والفضلاء، وهو من أكابر علماء الشيعة وفقهائها.



آثاره: له عدّة مؤلّفات، منها: (كتاب المكاسب)، (كتاب الطهارة)، (كتاب الصوم)، (كتاب الزكاة والخمس)، (كتاب الصلاة)، (كتاب الفرائد في علم الأصول)، (كتاب أصول الفقه)، وله عدّة رسائل في: الرضاع، والتقيّة، والعدالة، والقضاء عن الميت، ورسالة في حجّية الظن والقطع، والبراءة والاستصحاب، والتعادل والتراجيح، وغيرها، ويعدّ كتاباه (المكاسب، والرسائل) من الكتب المهمة التي تدرّس في الحوزات العلمية، وشدّ من لم يعلّق عليهما من مشاهير العلماء بعده.

٤١ - الشيخ حسين بن محمد إسماعيل (الفاضل الأردكاني):

الشيخ المولى حسين بن محمد إسماعيل بن أبي طالب بن آقا علي بن ملك أفضل بن محمد سعيد بن سلطان شمس الدين، التبريزي الأصل الأردكاني الحائري، فقيه جليل القدر، ورع، عالم ربّاني وعامل صمداني.

هاجر إلى كربلاء المشرفّة؛ فأدرك بها (شريف العلماء)، وحضر بحثه، وكتب من تقريرات درسه مبحث البيع الفضولي من كتاب التجارة، وحضر أيضاً على السيّد إبراهيم القزويني (صاحب الضوابط)، واشتهر بين العلماء والطلاب، وإليه اتجهت الأنظار.

تخرّج من مدرسته جمع من الفطاحل الكبار: كالسيّد الميرزا محمد حسين المرعشي الشهرستاني، والميرزا محمد تقي الشيرازي، والسيّد محمد الأصفهاني، والسيّد حسن الكشميري، والميرزا مهدي الشيرازي، والشيخ علي البفروئي، والميرزا محمد الهمداني وآخرون غيرهم.

وازدهر العلم في كربلاء في عصره؛ حيث أعاد إليها نضارة عصر الوحيد الأغا باقر البهبهاني، واشتهر اسمه وذاع صيته؛ فأصبحت له زعامة دينية لا يكاد ينازعه عليها أحد، وقد أثنى عليه المؤرّخون في تأليفهم.

وافاه الأجل سنة ١٣٠٢ هـ، ودفن في مقبرة أستاذه (صاحب الضوابط).



للمترجم.

من آثاره: له تقارير طبعت في كتاب مستقل ونسخته نادرة: (تقارير الأصول) وقد طبع هذا الكتاب بعنوان (غاية المسؤول في علم الأصول) بقلم تلميذه الرشيد السيّد محمد حسين الشهرستاني (ت ١٣١٥ هـ)، طبعة حجرية عام ١٣٠٨ هـ.

٤٢ - الشيخ محمد بن الشيخ محمد باقر (الفاضل الأيرواني):

العالم الجليل والفاضل النبيل المولى محمد بن محمد باقر الأيرواني النجفي الكربلائي، ولد في حدود عام ١٢٣٢ هـ.

أخذ عن (صاحب الضوابط)، و(صاحب الجواهر)، و(صاحب أنوار الفقاهاة)، ثم اختصّ بشيخ الطائفة العلامة الأنصاري، واستقل بالتدريس بعده، وبعد العلامة الكوهكمري عام ١٢٩٩ هـ أته شهرة طائلة وزعامة دينية كبرى، فطفق يعول الأفاضل بعلمه الجمّ ووفره الواسع؛ فصاروا ببركته من كبار العلماء، لهم تراجم ومؤلفات.

توفي سنة ١٣٠٦ هـ، ودفن بمدرسته المعروفة في النجف الأشرف.

آثاره: (أصول الفقه في مجلدين)، (اجتماع الأمر والنهي)، (الاستصحاب)، (أصالة البراءة)، وله رسائل أخرى كثيرة في الفقه والأصول، وتعليقة على رسائل استاذة العلامة الأنصاري، وحواش على قواعد العلامة، وعلى تفسير البيضاوي، ورسالة عملية فارسية في العبادات، وأخرى في المعاملات، وكتاب في المكاسب المحرمة، ورسالة اجتماع الأمر والنهي، وغير ذلك.





٤٣- الشيخ زين العابدين بن مسلم (المازندراني):

الشيخ زين العابدين بن مسلم البارفروشي المازندراني الحائري، ولد في بارفروش من توابع مازندران بإيران في عام ١٢٢٧هـ.

أحد علماء كربلاء المبرزين في وقته، وهو المجتهد الكبير من أعظم علماء وفقهاء عصره وجهابذتهم.

تلمذ في كربلاء على المولى محمد سعيد المازندراني الشهير بـ(سعيد العلماء) المتوفى سنة ١٢٧٠هـ، والسيد إبراهيم القزويني (صاحب الضوابط)، وحضر في النجف على الشيخ مرتضى الأنصاري المتوفى سنة ١٢٨١هـ، والشيخ محمد حسن (صاحب الجواهر) وغيرهم، وبرع في الفقه والأصول حتى بزّ أقرانه، وحظي بمكانة مرموقة؛ فذاع صيته واشتهر أمره في التقليد لا سيما في بلاد الهند.

توفي في السادس عشر من ذي القعدة سنة ١٣٠٩هـ عن ٨٢ سنة، ودفن في مقبرته الخاصة عند باب قاضي الحاجات في الروضة الحسينية.

آثاره: (ذخيرة المعاد) فقه، و(مناسك الحج)، (رسالته الكبرى)، (رسالته الصغرى)، (شرح شرائع الإسلام المسمى بزينة العباد)، (حواشي على المسالك)، (حواشي على الجواهر)، (كتاب في الأصول)، (كتاب الذخيرة)، (مجموع من أجوبة مسأله).

٤٤- الشيخ محمد حسن الشيرازي (المجدد الأول):

الشيخ الميرزا محمد حسن الشيرازي المعروف بالمجدد الأول، والشيرازي الأول، وكذلك بالمجدد الشيرازي، وهو الذي قاد ثورة (التبائك) في إيران، حينما حرّم تدخين التبغ، ودحر قوات الإمبراطورية البريطانية العظمى التي لم تكن تغيب عنها الشمس حين غزت جيوشها أرض إيران المسلمة.

ولد السيد الشيرازي سنة ١٢٣٠هـ بمدينة شيراز في إيران، وتوفي



والده وهو في دور الطفولة، فتكفل رعايته خاله السيّد حسين الموسوي المعروف بـ (مجد الأشراف)، والشيرازي من علماء الشيعة الكبار ومن المجدّدين في الفكر الشيعي.

بعد وفاة الشيخ الأنصاري توجّهت أنظار المقلّدين إلى طلابه، واجتمعت مجموعة من طلاب الشيخ الأنصاري - كان السيّد الشيرازي من ضمنهم - فأشار جميع الحاضرين في الجلسة بضرورة تصديّه، وبعد تأكيد وإصرار الحاضرين عليه وافق على التصدي لهذه المسؤولية المقدّسة، وتوفي سنة ١٣١٢هـ.

آثاره: (كتاب في الطهارة)، (رسالة في الرضاع)، (كتاب في المكاسب)، (رسالة في اجتماع الأمر والنهي).

٤٥ - الشيخ محمد كاظم الهروي (المحقّق الخراساني):

هو الشيخ محمد كاظم الخراساني الهروي، ولد عام ١٢٥٥هـ، واشتغل في خراسان بتعلّم المقدمات، ثم انتقل إلى مدينة سبزوار للاستضاءة من دروس الحكيم المتألّه الشيخ محمد هادي السبزواري المتوفّي سنة ١٢٧٨هـ، فبقي هناك مدّة، إلى أن أعدّ العدة للسفر إلى النجف الأشرف، فحضر بحوث العلامة الأنصاري، ولمّا لبّى الأستاذ دعوة ربّه حضر بحوث السيّد المجدّد الشيرازي.

انتقل شيخنا المحقّق الخراساني إلى رحمة الباري أواخر سنة ١٣٢٩هـ، بعد أن ربّى جيلاً كبيراً من فطاحل الفقه والأصول، ومن مشاهير علماء الشيعة في العصور المتأخّرة، واشتهر بـ (صاحب الكفاية).

آثاره: (كفاية الأصول) الذي عليه محور البحث والدراسة في الحوزات العلمية، وقد كتب عليها تعليقات وشروحاً كثيرة، وتلاه تعليقه على الرسائل، وتعليقه على المكاسب، والكتاب الثالث يتمّع بتحقيق رائع وعمق واسع.

٤٦ - السيّد محمد كاظم اليزدي (صاحب العروة الوثقى):

هو السيّد محمد كاظم بن السيّد عبدالعظيم الطباطبائي اليزدي النجفي، وُلِدَ في قرية كسنوية في محافظة يزد في إيران عام ١٢٤٧هـ، أحد الفقهاء الكبار في القرن الرابع عشر، والمرجع الديني الأعلى بعد رحيل شيخنا المحقق الخراساني، تتلمذ على يد الشيخ محمد باقر بن الشيخ محمد تقي صاحب الحاشية على المعالم في أصفهان، إلى أن غادرها عام ١٣٨١هـ إلى النجف الأشرف.

توفي -رحمه الله- سنة ١٣٣٧هـ، في النجف الأشرف، ودُفِنَ في الصحن الحيدري.

آثاره: (العروة الوثقى) المشتملة على الفروع التخريجية في الكتب التالية: الطهارة، الصلاة، الصوم، الخمس، الزكاة، الحج، النكاح، ولم يؤلّف مثله، وقد علّق عليه كلّ من جاء بعده، وحاشيته على مكاسب الشيخ الأنصاري طافحة بالتحقيق والتدقيق، الكلم الجامعة والحكم النافعة، الصحيفة الكاظمية، التعادل والتراجيح، السّؤال والجواب، مجمع الرسائل، الاستصحاب، حاشية على الجامع العباسي، وغيرها من المصنّفات.

٤٧ - الميرزا محمد تقي الشيرازي (كلشن الشيرازي):

الشيخ محمد تقي بن محبّ علي بن محمد علي الحائري الشيرازي، وُلِدَ عام ١٢٥٦هـ، بمدينة شيراز في إيران.

كانت بدايات دراسته الحوزوية في شيراز، ثمّ سافر إلى كربلاء، وحضر على أعلامها، حتى بلغ رتبة الاجتهاد، وصار يُشار إليه بالبنان.

التحق بالسيّد محمد حسن الشيرازي لتشييد الحوزة العلمية في سامراء، وصار من أركان الحوزة بها، ثمّ رجع إلى كربلاء عام ١٣٣٦هـ، وتسلم

زمام الأمور، ورجع إليه المؤمنون في التقليد، وبعد سنتين قاد ثورة العشرين، فوقف في وجه الاستعمار من مدينة كربلاء، حينما فجر ثورة العراق الكبرى في عام ١٩٢٠م، ووقف بشعبه العراقي الأعزل الذي لا يتجاوز عدد نفوسه خمسة ملايين نسمة في وجه أعتى إمبراطورية في ذلك الوقت، واستنقذ العراق من أنيابها الفتاكة؛ فنال العراق استقلاله، وذهبت أحلام البريطانيين أدراج الرياح.

كان الميرزا محمد تقي الشيرازي مرجعاً دينياً لامعاً، وقائداً سياسياً بارزاً، استطاع أن يحرض الآلاف من المسلمين في العراق والدول المجاورة ضد الاستعمار البريطاني، ونجح من خلال مكانته الدينية والاجتماعية في الأمة الإسلامية أن يحقق الانتصار على المستعمر.

استشهد على إثر دس السم له في الثالث من ذي الحجة سنة ١٣٣٨ هـ.

آثاره: (حاشية على المكاسب في الفقه)، (رسالة في أحكام الخلل)، (رسالة في صلاة الجمعة)، (شرح منظومة السيّد صدر الدين العاملي في الرضاع).

٤٨ - السيّد كاظم الرشتي (صاحب دليل المتحيرين):

هو السيّد كاظم بن السيّد قاسم بن السيّد أحمد بن السيّد حبيب المدني الحسيني أباً، والموسوي أمّاً، والرشتي مولداً، والكربلائي مسكناً ومدفنًا.

كان جدّ المترجم له السيّد أحمد وآباؤه من المدينة المنورة ورؤسائها وزعمائها وساداتها، وقد رحل عنها السيّد أحمد بعد وفاة أبيه إلى رشت؛ لظهور مرض الطاعون، وتزوَّج منها، ووُلِدَ له ولد أسماه السيّد قاسم، حتى بلغ وتأهَّل، ورزقه الله ولداً عام ١٢١٢ هـ أسماه السيّد كاظم، وأصبح أحد علماء الإمامية الاثني عشرية ومحدثيها، صاحب كتاب (دليل المتحيرين)، الذي يعتبر أحد الكتب التاريخية لدى الشيعة الإمامية.

ويعد السيّد الرشتي أحد ابرز تلامذة الشيخ أحمد بن زين الدين الأحسائي (الشيخ الأوحّد)، وأحد متكلمي الإمامية الذين دافعوا عن مقامات النبي محمد صلى الله عليه وآله، وأحد المدافعين عن هذا المذهب، الذين استخدموا الدليل العقلي والنقلي للتدليل على صحّة آرائهم الحكمية.

مشايخه في الرواية: أستاذه المولى الأجل الأوحّد الشيخ أحمد بن زين الدين الشيخ قدّس سرّه، المتوفّى سنة ١٢٤١هـ، والمقدّس المحدث المبرور العلّامة السيّد عبدالله شبّر المتوفّى سنة ١٢٤٢هـ، والعالم الربّاني الملاّ علي البرغاني، العلّامة الكبير الشيخ موسى بن أفقه الفقهاء، والشيخ جعفر كاشف الغطاء المتوفّى سنة ١٢٤١هـ.

ومن أبرز تلامذته: الشيخ محمد بن حسين أبو خمسين الأحسائي قدّس سرّه المتوفّى عام ١٣١٦هـ -صاحب الترجمة-، والميرزا حسن بن المرحوم ملاّ علي النوري، والمرحوم الحاج الميرزا محمد حسين حجة الإسلام التبريزي قدّس سرّه المتوفّى سنة ١٣٠٣هـ، والسيّد محمد باقر الخراساني، والميرزا شفيع ثقة الإسلام التبريزي.

تُوفّي مسموماً من قِبَل نجيب باشا -والي بغداد- وهو راجع من زيارة العسكريين عليهما السلام إلى الكاظمية؛ حيث استدعاه وسقاه قهوة مسمومة في الحادي عشر من ذي الحجة الحرام عام ١٢٥٩هـ، وعمره الشريف سبع وأربعون سنة، وقد جهّزه وصلّى عليه تلميذه الميرزا حسن كُوهر بوصية منه، ودُفِن في الحرم المطهّر تحت أرجل الأنصار في الحضرة الحسينية بكربلاء المقدّسة، فسلامٌ عليه يوم وُلِد، ويوم مات، ويوم يبعث حيّاً.

آثاره: مصنّفاته العجيبة المملوءة بنور الحكمة، وجواهر المعرفة، وحقائق الشريعة، وأسرار الخلقة، تربو على المئتين والثلاثين مصنّفًا، ذكر بعضها في كتابه دليل المتحيرين، منها: (شرح آية الكرسي) صنّفه وهو ابن عشرين سنة، (شرح على الزيارة الجامعة لأستاذه الشيخ الأوحّد

- غير تام)، (شرح الخطبة التطنجية) وهو جزءان في مجلد واحد، وقد طبع مؤخرًا في ثلاثة مجلّدات، (اللوامع الحسينية) وهو في الحكمة الإلهية، (مطالع الأنوار)، (الأربعون)، (المواعظ والمجالس) مجموعة رسائل يقع في مجلدين ويضم (٥٨ رسالة) من تصانيفه، وغير ذلك من المصنّفات في مختلف العلوم والفنون.

٤٩- الشيخ فتح الله بن محمد جواد (شيخ الشريعة):

الشيخ الميرزا فتح الله بن محمد جواد النمازي الشيرازي الغروي، المشهور بشيخ الشريعة الأصفهاني، من كبار المجتهدين والزعماء الشيعة، وهو فقيه أصولي ماهر.

ولد بأصبهان في الثاني عشر من ربيع الأوّل عام ١٢٦٦هـ، وتوفّي سنة ١٣٣٩هـ.

تلقى الشيخ مبادئ العلوم بأصبهان فحضر دروس المولى حيدر الأصبهاني، والمولى عبدالجواد الخراساني -من أعلام تلامذة الشيخ محمد تقّي الأصبهاني صاحب الحاشية-، ودروس المولى أحمد السبزواري، والمولى محمد صادق التنكابني، والمولى محمد تقّي الهروي، وعند الشيخ محمد باقر بن الشيخ محمد تقّي الأصبهاني في كثير من المباحث الفكرية والأصولية، وسمع عليه إفاداته في حجّة الظنون.

سافر إلى مشهد الرضا -عليه السلام- زائرًا، وأقام بها مدّة قليلة، وجرت بينه وبين علمائها مباحث؛ فظهر فضله في العلوم المتداولة، ثم عاد إلى أصبهان واشتغل بالتدريس، ثم هاجر إلى النجف الأشرف في عام ١٢٩٥هـ، فاجتمع حوله طلاب العلم، وتصدّى للتدريس والبحث، وفي أثناء ذلك حضر على الميرزا الرشتي، وعلى الشيخ محمد حسين الكاظمي، وكان يمتاز بمشاركته في فنون الفلسفة القديمة، والحكمة

الإلهية، فضلاً عن العلوم الدينية، والكلام، والحديث، والرجال، وخلافيات الفرق والمقالات، وما لها وما عليها من الحجج والأدلة، وكان يحضر مجالس محاضراته وإفاداته العلماء وتلمذ عليه المئات من فضلاء العرب والفرس، وقد كان جمع كثير من الناس يرجعون إلى فتاواه ويقلدونه في أحكام مسائلهم، وبعد السيّد اليزدي أقبل إليه الجمهور، وبعد وفاة الميرزا الشيرازي أصبح المرجع الوحيد للشريعة في أغلب الأقطار، وهذا قلّما يصادف مثله.

تولّى شيخ الشريعة في غمرة تلك الظروف العاصفة المرجعية الدينية، وقيادة الثورة العراقية الكبرى، وقد تمّ تشكيل قيادة عليا للثورة تضم رموزاً من زعماء العشائر العراقية، وعندما عرض الإنكليز فكرة التفاوض وحدث الانقسام بين قادة الثورة كان شيخ الشريعة زعيماً للخطّ الذي رفض الفكرة وأصدر بيانه الشهير: «لا مفاوضة قبل الجلاء»، وأنّه سيستخدم المگوار؛ إذا أعوزهم السلاح.

آثاره: (إبانة المختار في أرث الزوجة من ثمن العقار) مطبوع، (إبرام القضاء في وسع القضاء)، (إفاضة القدير في أحكام العصير) مطبوع، (إنارة الحال في قراءة «ملك» و«مالك»)، (رسالة في علم الباري)، (رسالة في التفصيل بين جلود السباع وغيرها)، (رسالة في المتمم كرا)، (رسالة في العصير العنبي).

٥٠- الميرزا حسين بن الشيخ عبدالرحيم (النائبي):

هو العلامة محمد حسين بن عبدالرحيم النائبي، وُلد في مدينة نائين التابعة لمحافظة أصفهان عام ١٢٧٣هـ، ونشأ في أسرة علمية دينية معروفة، فقد كان والده الشيخ عبدالرحيم يلقّب بشيخ الإسلام في أصفهان، وهو يعادل لقب المفتي في البلاد العربية.

أصبح المرجع الديني الأكبر في النجف الأشرف بعد وفاة شيخ الشريعة،



ورجع إليه الناس في التقليد والفتوى في معظم الأقطار الإسلامية إلى جانب السيّد أبو الحسن الأصفهاني.

تميّز النائيني بين علماء الشيعة وتحديدًا بين علماء عصره بمكانته العلمية الخاصة بينهم، حيث شكّلت آراؤه الفقهية ونظرياته الدينية مرجعًا لكثير من المسائل، وخاصة في الفكر الأصولي التي لا غنى للدارس من التعرّض إليها أو الاعتماد عليها، فخطّ بذلك معالم مدرسة أصولية متكاملة ومتجدّدة، عرفت بمدرسة (النائيني)، وبرز منها مراجع عظام، وفقهاء كبار، تسنّموا المرجعية مدلّلة بذلك على الريادة العلمية التي اتسمت بها مدرسة النائيني، ولمدة تربو على نصف قرن، ومن هؤلاء: السيّد أبو القاسم الخوئي، والسيّد محسن الحكيم، والعلامة الطباطبائي، وغيرهم.

قاد النائيني الحركة الاستقلالية في العراق، وتوقّف نشاطه بعد مشاركته في الجهاد ضد بريطانيا حتى آب ١٩٢٠م، ولكنّ دوره في هذه الثورة بدأ عندما بلغت نهايتها؛ حيث كان من الثلاثة الذين قادوا الحركة الاستقلالية التي انبثقت ١٩٢١م - ١٩٢٤م.

توفي العلامة النائيني سنة ١٣٥٥هـ.

آثاره: (رسالة لعمل المقلّدين)، و(حواش على العروة الوثقى)، و(رسالة في اللباس المشكوك)، و(رسالة في التبعّدي والتوصلي)، وتقارير بحثه في الأصول المسمّى (أجود التقارير) لتلميذه السيّد الخوئي، و(تنبيه الأمّة وتنزيه الملة).

٥١- الشيخ عبدالكريم بن محمد الحائري (مؤسس حوزة قم):

هو الشيخ عبدالكريم بن محمد جعفر اليزدي، أمّا لقبه -الحائري- الذي به اشتهر فعائد إلى الحائر الحسيني في كربلاء؛ حيث أقام هناك مدّة من الزمن.





وُلِدَ الشَّيْخُ عَبْدِ الْكَرِيمِ عَامَ ١٢٧٦ هـ، فِي قَرْيَةٍ تَسْمَى (مَهْر جَرْد) مِنْ قَرْيَةِ يَزْد فِي إِيرَانَ، وَفِي تِلْكَ الْقَرْيَةِ تَعَلَّمَ الْقِرَاءَةَ وَالْكِتَابَةَ وَالْعُلُومَ الْإِبْتِدَائِيَّةَ، ثُمَّ تَوَجَّهَ إِلَى الْعِرَاقِ حَيْثُ كَانَتْ حَوَاضِرَهَا قِبْلَةَ الْعِلْمِ وَالْعُلَمَاءِ، وَلَا سِيَّامَا النَّجْفَ الْأَشْرَفَ، الَّتِي كَانَ يَفِدُ إِلَيْهَا طُلَّابُ الْعِلْمِ مِنَ الْمُسْلِمِينَ الشِّيْعَةِ مِنْ كُلِّ حُدُودٍ وَصُوبٍ.

وَبِحُدُودِ عَامِ ١٣٤٠ هـ الْمَوْافِقِ ١٩٢١ م زَارَ مَدِينَةَ قَمِّ، فَسَأَلَهُ أَهْلُهَا أَنْ يَقِيمَ فِي مَدِينَتِهِمْ، فَأَجَابَهُمْ إِلَى ذَلِكَ، وَأَسَّسَ الْحَوْزَةَ الْعِلْمِيَّةَ هُنَاكَ؛ حَيْثُ كَانَتْ الدَّرُوسُ الدِّينِيَّةُ فِي قَمِّ تَقَامُ عَلَى نَحْوِ مُتَفَرِّقٍ وَغَيْرِ مَنْظَمٍ، فَرَأَى الشَّيْخُ الْحَائِرِيُّ أَنْ يَنْظِمَ طَرِيقَ التَّدْرِيسِ وَمَنَاجِحَهُ، وَأَصْبَحَ لِلشَّيْخِ شَهْرَةٌ ذَائِعَةُ الصَّيْتِ، وَلَا سِيَّامَا بَعْدَ شَهَادَةِ الْمَرْجِعِ الْعَلَامَةِ الْمِيرْزَا مُحَمَّدِ تَقِيِّ فِيهِ، فَقَدْ كَانَ يَثِقُ بِهِ عِلْمًا وَأَخْلَاقًا وَوَرَعًا، وَكَانَ يَأْمُرُ أَهْلِي إِيرَانَ مِنْ مَقَلَّدِيهِ بِالرُّجُوعِ إِلَى الشَّيْخِ الْحَائِرِيِّ فِي مَوَارِدِ الْإِحْتِيَاطِ فِي فَتَوَاهِ؛ فَتَدَقَّقَ طُلَّابُ الْعِلْمِ فِي إِيرَانَ إِلَى مَدِينَةِ قَمِّ، وَقَامَ الشَّيْخُ الْحَائِرِيُّ بِأَعْبَاءِ تَعْلِيمِهِمْ وَإِعَاشَتِهِمْ، مُسْتَعِينًا بِأَسَاتِذَةِ تَشْهَدُ لَهُمُ السَّاحَةُ الْعِلْمِيَّةُ بِتَفَوُّقِهِمْ وَإِخْلَاصِهِمْ فِي الْعِلْمِ وَالْعَمَلِ، وَكَانَتْ لَهُ طَرِيقَةٌ جَدِيدَةٌ فِي تَقْيِيمِ الطُّلَّابِ، حَازَتْ الْإِعْجَابَ وَالْقَبُولَ عِنْدَ الْعَامَّةِ وَالْخَاصَّةِ، إِذْ كَانَ يَجْرِي الْإِمْتِحَانَاتُ لِلطُّلَّابِ؛ لِلْوُقُوفِ عَلَى مَدَى اسْتِعَابِهِمْ وَإِتْقَانِهِمُ الْعُلُومَ الَّتِي أَخَذُوهَا، وَلِلْوُقُوفِ عَلَى مَدَى مُؤَهَّلَاتِهِمْ وَكِفَائَتِهِمْ، ثُمَّ يَقَرَّرُ لِكُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ رَاتِبًا فِي كُلِّ شَهْرٍ عَلَى حَسَبِ دَرَجَتِهِ فِي الْعِلْمِ وَالْعَمَلِ، وَغَرَضُهُ مِنْ ذَلِكَ نَشْرَ الْمَعَارِفِ الْإِلَهِيَّةِ، وَبَعَثَ الْعُلُومَ الْإِسْلَامِيَّةَ وَتَعْظِيمَ شِعَائِرِ اللَّهِ.

وَالِى جَانِبِ التَّدْرِيسِ لَمْ يَتَوَقَّفِ الشَّيْخُ عَنِ الْاسْتِزَادَةِ مِنَ الْعُلُومِ، فَقَدْ تَتَلَمَذَ الْحَائِرِيُّ فِي قَمِّ عَلَى السَّيِّدِ مُحَمَّدِ الْأَصْفَهَانِيِّ، وَبَعْدَ وَفَاةِ عَدَدٍ مِنَ الْمَرَاجِعِ مِنَ الطَّبَقَةِ الْأُولَى، كَالْمِيرْزَا مُحَمَّدِ تَقِيِّ الشَّيرَازِيِّ، وَشَيْخِ الشَّرِيعَةِ الْأَصْبَهَانِيِّ، آلَتْ إِلَيْهِ الْمَرْجِعِيَّةُ فِي إِيرَانَ، وَكَانَ مَوْضِعَ ثِقَةٍ الْخَاصَّةِ وَالْعَامَّةِ، قَالَ بَعْضُ الَّذِينَ عَاشَرُوهُ: (كَانَ الشَّيْخُ الْحَائِرِيُّ رَجُلًا قَدْ مَلِئَ عَقْلًا وَكِيَاسَةً وَعِلْمًا وَفَضْلًا، وَكَانَ إِذَا سُئِلَ عَنْ مَسْأَلَةٍ أَوْ جَرَى



بحث بحضرته في مسألة لا يتكلم حتى يفكر ويتأمل).

بنى الشيخ الحائري مستشفى في مدينة قم التي كانت تعاني الحرمان، فقد كان الشاه رضا بهلوي يهمل القرى والبلدات -الأطراف- مركزاً اهتمامه على العاصمة -المركز-، وبذلك خفف الشيخ عن أهل هذه المدينة المشقة والعناء في سبيل مداواة مرضاهم، كما أسس مكتبة في المدرسة الفيضية، وجدد المدارس الخربة.

توفي الشيخ الحائري عام ١٣٥٥ هـ الموافق لعام ١٩٣٦ م.

آثاره: ترك مؤلفات جليلة، من أهمها: (درر الفرائد في الأصول)، و(كتاب الصلاة)، (التقريرات في أصول الفقه)، (كتاب الرضاع)، (كتاب المواريث)، (كتاب النكاح).

٥٢- السيد أبو الحسن بن محمد بن عبد الحميد (الأصفهاني):

السيد أبو الحسن بن محمد بن عبد الحميد الموسوي الأصفهاني، مرجع كبير وفقه شيعي اثني عشري من المتأخرين، تسلم المرجعية المطلقة بعد وفاة الميرزا حسين النائيني، فصار من مشاهير مراجع الشيعة وقياداتهم الدينية والسياسية، في إيران والعراق ولبنان وغيرها من البلاد الإسلامية.

وُلد في قرية من قرى مدينة فلاورجان التابعة لأصفهان عام ١٢٧٧ هـ أو ١٢٨٤ هـ، وترعى وترعرع تحت ظل والده السيد محمد الذي كان من العلماء الأفاضل، أمّا جدّه فهو السيد عبد الحميد الذي كان من طلاب آية الله الشيخ محمد حسن النجفي (صاحب الجواهر)، ويتنهي نسب العائلة بواسطة اثنين وثلاثين عقباً إلى الإمام موسى بن جعفر الكاظم عليه السلام.

بعد وفاة الآخوند الخراساني انتقلت مرجعية الشيعة إلى آية الله الميرزا

محمد تقي الشيرازي، وكان الميرزا يرجع في احتياطاته الفقهية إلى فتاوى السيّد أبي الحسن الأصفهاني، وبعد وفاة الميرزا سنة ١٣٣٨ هـ، ورحيل شيخ الشريعة سنة ١٣٣٩ هـ، وارتحال آية الله الشيخ أحمد كاشف الغطاء سنة ١٣٤٤ هـ، تساوت مرجعية السيّد أبي الحسن الأصفهاني مع مرجعية آية الله الميرزا النائيني في الشهرة، وبعد وفاة آية الله الشيخ عبدالكريم الحائري في مدينة قم المقدّسة، ووفاة آية الله الميرزا النائيني في النجف الأشرف، برزت زعامة السيّد أبي الحسن في أغلب البلاد الإسلامية بلا منازع، وتوفي سنة ١٣٦٥ هـ.

آثاره: (وسيلة النجاة) وهي رسالة عملية في العبادات والمعاملات مترجمة إلى اللغة الفارسية والأوردية، وكتب عليها العلماء حواش كثيرة، مطبوعة في جزأين، (حاشية على العروة الوثقى)، (شرح كفاية الأصول)، (أنيس المقلّدين)، (حاشية على تبصرة العلامة)، (حاشية على نجاة العباد لآية الله العظمى الشيخ صاحب الجواهر)، (ذخيرة الصالحين) رسالة عملية، (ذخيرة العباد)، (وسيلة النجاة الصغرى) مختصر لو وسيلة النجاة، (منتخب الرسائل)، (مناسك الحج).

٥٣ - السيّد آقا حسين بن علي (الإمام البروجردي):

آية الله العظمى السيّد حسين بن السيّد علي الطباطبائي البروجردي، فقيه إمامي كبير، وُلِدَ في مدينة بروجرد عام ١٢٩٢ هـ، في عائلة علمية متديّنة، وكان أبوه من كبار العلماء، وأمّه من حفيدات العلامة المجلسي.

نالَ درجة الاجتهاد في عام ١٣٢٨ هـ من علماء حوزة مدينة النجف الأشرف، ثم عاد إلى بروجرد للتدريس، ويعدُّ من كبار العلماء والمجتهدين الشيعة في العصور المتأخّرة، درس على يديه العديد من مشاهير علماء وكبار مجتهدي الشيعة المعاصرين.

لَبَّى نداء ربّه في الثالث عشر من شهر شوال سنة ١٣٨٠ هـ، بعد عمر

قضاءه في خدمة الشريعة والمذهب الحقّ، وأعلن الحداد العام في ذلك اليوم؛ فهبّ الآلاف للمشاركة في مراسم تشييعه، وقد تم دفنه في المسجد الأعظم، المجاور لمقعد السيّدة فاطمة المعصومة عليها السلام، الواقع في مدينة قم المقدّسة.

آثاره: له العديد من الآثار الهامّة، نذكر منها ما يلي:

(تقاريرات ثلاثة)، (جامع أحاديث الشيعة) عشرون مجلداً، (تجريد أسانيد الكافي)، (تجريد أسانيد التهذيب)، (أسانيد كتاب من لا يحضره الفقيه).

٥٤ - السيّد الميرزا مهدي الحسيني (الميرزا الشيرازي):

السيّد ميرزا مهدي الحسيني الشيرازي، والده الميرزا حبيب الله الحسيني الشيرازي بن السيّد آقا بزرك بن السيّد ميرزا محمود بن السيّد إسماعيل، فوالد الميرزا مهدي هو ابن أخ المجدّد الشيرازي الكبير، وأمّا والدته فهي منتسبة لبيته، كما أنّ زوجته كانت من حفيدات المجدّد الشيرازي من كريمته السيّدة الفاضلة آغا بي بي.

ولد في مدينة كربلاء سنة ١٣٠٤ هـ، وظلّ بها إلى سنّ شبابيه الأولى، فدرس على أساتذتها مقدّمات العلوم من: نحو، وصرف، وحساب، ومنطق، وسطوح الفقه والأصول، ثم سافر إلى سامراء، واشتغل فيها بالبحث والتحقيق والتدريس لفترة طويلة، ثم توجه إلى مدينة الكاظمية، فاشتغل بالبحث والدرس ما يقرب من سنتين، وسافر بعدها إلى كربلاء المقدّسة، وبقي فيها فترة من الزمن مواصلاً للدرس والبحث، إلى أن انتقل إلى النجف الأشرف، وأقام بها ما يقرب من عشرين عامًا.

درس الخارج على أيدي كبار العلماء والمراجع في عصره، أمثال: السيّد الميرزا علي آغا نجل المجدّد الشيرازي، والميرزا الشيخ محمد تقّي الشيرازي، والعلامة الآغا رضا الهمداني صاحب (مصباح الفقيه)، والسيّد محمد كاظم الطباطبائي اليزدي صاحب (العروة الوثقى)، وغيرهم.

بعد وفاة السيّد القمي سنة ١٣٦٦ هـ استقل بالبحث والتدريس، واضطلع بمسؤولية التقليد والمرجعية الدينية، ورجع الناس إليه في أمر التقليد.

كان من مشاهير الفقهاء المجتهدين ومراجع التقليد في زمانه، مزج العلم الإلهي بالعمل الصالح على أحسن وجه؛ فأعطى من نفسه خير صورة لما يجب أن يكون عليه عالم الدين حقًا.

توفّي في الثامن والعشرين من شهر شعبان سنة ١٣٨٠ هـ، وشيّع جثمانه في موكب مهيب قلّمَا شهدت كربلاء مثله، ودُفِن في مقبرة العالم المجاهد الشيخ الميرزا محمد تقي الشيرازي في صحن الروضة الحسينية الشريفة، وأقيمت على روحه الطاهرة مجالس الفاتحة والتأبين بمشاركة مختلف الفئات والطبقات واستمرّت لعدّة أشهر.

آثاره: (شرح العروة الوثقى)، (المباحث الأصولية)، (رسالة في التجويد)، (رسالة حول فقه الرضا)، (كشكول في مختلف العلوم)، (الدعوات المجربّات)، (هدية المستعين في أقسام الصلوات المندوبة).

٥٥- الشيخ محمد بن عبدالله العيثان (شمس الشموس):

هو آية الله الشيخ محمد بن الشيخ عبدالله بن الشيخ علي بن الشيخ أحمد بن الشيخ علي آل عيثان القاري الهجري الأحسائي، الملقب بشمس الشموس، وُلِد في عام ١٢٦٠ هـ، في بلدة القارة بمنطقة الأحساء.

تلقى الشيخ مبادئ العلوم الدينية في الأحساء على يد والده الشيخ عبدالله وغيره من الأعلام، ثم هاجر إلى مدينة النجف الأشرف عام ١٢٨٢ هـ، وله من العمر ٢٢ عامًا، وبقي فيها مدة سبع وعشرين سنة، تتلمذ فيها على أيدي كبار علمائها: كالشيخ محمد حسين الكاظمي، وكان يتردد على مدينة كربلاء المقدّسة؛ ليحضر دروس آية الله الميرزا محمد باقر الحائري الإسكوثي، حيث درس على يديه كتب الشيخ الأوحد أحمد الأحسائي الحكمية، وهي: (شرح العرشية)، و(شرح

المشاعر)، و(شرح الفوائد)، وكتاب (اللوامع الحسينية) للسيد كاظم الرشتي.

عاد الشيخ العيثان إلى الأحساء عام ١٣٠٩ هـ، فرجع إليه في التقليد بعض أبناء الأحساء، وبعد وفاة - المترجم له - الشيخ محمد بن الشيخ حسين آل أبي خمسين قدس سره في عام ١٣١٦ هـ؛ رجع إليه في التقليد معظم أهالي الأحساء، وبعض أهالي القطيف والبحرين ودبي والكويت والبصرة وأطرافها.

توفي الشيخ في قرية الحليلة بالأحساء في يوم الأربعاء السادس والعشرين من شهر ذي الحجة الحرام سنة ١٣٣١ هـ، ودفن بمقبرتها، ولنا دراسة تحليلية عن مرجعية الشيخ محمد العيثان بعنوان (الرئيس العيثان).

آثاره: (جواب المسائل الكويتية في علم الحكمة ومراتب الأئمة)، (كتاب دليل الحيارى في الرد على النصارى أو الرد على الباكورة)، (هداية العباد إلى طريق الحق والرشاد)، (خواص القرآن)، (الرسالة العملية في الطهارة والصلاة)، (رسالة في معاني الحروف)، (شرح الرسالة الرضاعية للسيد مهدي القزويني)، (شرح كتاب الشهاب الوامض في أحكام الفرائض)، (شرح كتاب اللوامع الحسينية للسيد كاظم الرشتي).

٥٦ - السيد محسن بن مهدي الطباطبائي (السيد الحكيم):

السيد أبو يوسف محسن بن السيد مهدي الطباطبائي الحكيم، وُلد في شوال ١٣٠٦ هـ بمدينة النجف الأشرف، وكان أحد أجداده - وهو السيد علي - طبيباً مشهوراً، ومنذ ذلك الزمان اكتسبت العائلة لقب (الحكيم) بمعنى الطبيب، وأصبح لقباً مشهوراً لها.

أنهى دراسته الابتدائية ودراسة المقدمات، ثم شرع بدراسة السطوح العالية عند أساتذة عصره، ولما بلغ عمره عشرين سنة تتلمذ على يد

الآيات العظام التالية أسماؤهم: آية الله محمد كاظم اليزدي، آية الله محمد كاظم الخراساني، آية الله ضياء الدين العراقي، آية الله أبي تراب الخونساري، آية الله شريعت أصفهاني، آية الله الميرزا النائيني، آية الله محمد سعيد الحبوبى، آية الله علي باقر الجواهري.

أصبح السيّد محسن الحكيم مرجعاً عامّاً للشيعة بعد وفاة السيّد البروجردى، فأخذ بوضع نظام إداري للحوزة، وشرع ببناء المدارس وإرسال المبلّغين إلى نقاط العراق المختلفة، وبهذا العمل ازداد عدد الطلاب في جميع الحوزات بشكل منقطع النظير.

ولغرض إغناء المواد الدراسية في الحوزة العلمية في النجف الأشرف؛ قام السيّد بإدخال دروس جديدة، مثل: التفسير، والاقتصاد، والفلسفة والعقائد، لغرض توسيع آفاق الطلاب بالعلوم المختلفة، حتى يكونوا على أهبة الاستعداد للوقوف أمام التيارات الفكرية، والأفكار الإلحادية القادمة من الخارج.

وقد شجّع كلّ من له قدرة واستعداد على الكتابة والتأليف، وأشرف على كثير من المجالات الإسلامية التي كانت تصدر في ذلك الوقت، من أمثال: مجلة الأضواء، ورسالة الإسلام، والنجف وغيرها، وتوفّي سنة ١٣٩٠ هـ.

آثاره: (مستمك العروة الوثقى)، (نهج الفقاهة)، (حقائق الأصول)، (منهاج الصالحين) رسالته العملية طبعت في النجف الأشرف عام ١٣٦٥ هـ، (منهاج الناسكين)، (شرح التبصرة).

٥٧- الميرزا موسى بن محمد باقر (صاحب إحقاق الحق):

هو المولى الحاج ميرزا موسى ابن العلامة الميرزا محمد باقر ابن المولى ملا محمد سليم الإحقاقي التبريزي الحائري الإسكوثي.

وُلِدَ فِي الْخَامِسِ وَالْعِشْرِينَ مِنْ شَهْرِ شَوَّالٍ عَامِ ١٢٧٩ هـ، فِي مَدِينَةِ كَرْبَلَاءِ الْمَقْدَسَةِ.

مِنْ أَسَاتِذَتِهِ: وَالِدُهُ آيَةُ اللَّهِ الْمِيرْزَا مُحَمَّدُ بَاقِرُ الْإِسْكَوْثِيِّ الْإِحْقَاقِيِّ، الْعَلَامَةُ الشَّيْخُ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَيْشَانَ، الْعَلَامَةُ الشَّيْخُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَعْتُوقِ الْخَطِيِّ الْحَاثِرِيِّ، الْمَلَّاءُ عَلِيُّ أَصْغَرُ ابْنِ مَلَّاءِ بَابَا، الْعَلَامَةُ الْآخُونْدُ الْمَلَّاءُ مُحَمَّدُ تَقِيِّ الْهَرَوِيِّ، الشَّيْخُ عَلِيُّ الْيَزْدِيِّ صَاحِبُ كِتَابِ (إِلْزَامِ النَّاصِبِ فِي إِثْبَاتِ الْحُجَّةِ الْغَائِبِ)، آيَةُ اللَّهِ الْمِيرْزَا حَبِيبُ اللَّهِ الرَّشْتِيِّ، آيَةُ اللَّهِ الْآخُونْدُ مَلَّاءُ مُحَمَّدُ الْأَيْرَوَانِيِّ، آيَةُ اللَّهِ حَسِينُ قَلِيِّ الْهَمْدَانِيِّ، آيَةُ اللَّهِ الشَّيْخُ هَادِي الطَّهْرَانِيِّ، آيَةُ اللَّهِ الْفَاضِلُ الشَّرْبِيَانِيِّ.

وَمِنْ تَلَامِذَتِهِ: ابْنُهُ الْحَاجُّ مِيرْزَا عَلِيُّ آقَا، وَابْنُهُ الْعَلَامَةُ مِيرْزَا مُحَمَّدُ بَاقِرُ الْمَشْهُورُ بِـ (مِيرْزَا آقَا)، وَالْحَاجُّ مِيرْزَا حَسَنُ آقَا الْإِحْقَاقِيِّ الْحَاثِرِيِّ.

تَوَفَّى فِي ظَهْرِ الْيَوْمِ الْخَامِسِ مِنْ شَهْرِ رَمَضَانَ الْمُبَارَكِ مِنْ سَنَةِ ١٣٦٤ هـ عَنْ عَمْرِئِنَاهِزِ الْخَامِسَةِ وَالْثَمَانِينَ عَامًا، وَدُفِنَ فِي مَقْبَرَةِ الْأُسْرَةِ بِجَوَّارِ قَبْرِ وَالِدِهِ الشَّرِيفِ فِي كَرْبَلَاءِ الْمَقْدَسَةِ، وَأَقِيمَ عَلَى رُوحِهِ الزَكَاةُ عَشْرَاتِ الْمَجَالِسِ التَّائِبِيَّةِ مِنْ قَبْلِ مَحَبِّهِ وَمُرِيدِيهِ مِنَ الْعَرَبِ وَالْعَجَمِ فِي كَرْبَلَاءِ، وَالْكُوَيْتِ، وَالْأَحْسَاءِ، وَالْبَحْرَيْنِ، وَخِرَاسَانَ، وَطَهْرَانَ، وَأَذْرَبِيْجَانَ، وَبِالْأَخْصِ تَبْرِيزَ، وَأَسْكَوْءَ، وَمَمْقَانَ، وَغَيْرَهَا مِنْ بِلْدَانِ الشَّيْعَةِ وَمَنَاطِقِهِمْ، وَدَامَتْ هَذِهِ الْمَجَالِسُ التَّائِبِيَّةُ إِلَى يَوْمِ الْأَرْبَعِينَ، وَلَنَا مَوْءَلَّفٌ مَطْبُوعٌ بِعَنْوَانِ (أَوَّلُ الْمُجْتَهِدِينَ) دَرَاةً مَقَارَنَةً فِي حَيَاةٍ وَمُرْجِعِيَّةٍ الْمِيرْزَا مُوسَى الْحَاثِرِيِّ الْإِحْقَاقِيِّ.

آثَارُهُ: (كِتَابُ إِحْقَاقِ الْحَقِّ) وَيَحْتَوِي هَذَا الْكِتَابُ عَلَى مَجْمُوعَةٍ مِنْ الْمُبَاحِثِ النَّفِيسَةِ وَالْثَمِينَةِ جَدًّا الَّتِي تَعَدُّ مِنَ الضَّرُورَاتِ الْعُقَايِدِيَّةِ لِلْمُسْلِمِينَ الشَّيْعَةِ الْإِثْنِي عَشْرِيَّةِ الْمَبْنِيَّةِ عَلَى حِكْمَةِ أَهْلِ بَيْتِ الْعِصْمَةِ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ، وَقَدْ لَقِبْتَ أَسْرَتَهُ بِلِقَبِ (الْإِحْقَاقِيِّ) نَسْبَةً إِلَى هَذَا الْكِتَابِ، وَكِتَابِ (لَطَائِفُ الدُّرَرِ فِي الْفِقْهِ) وَهِيَ رِسَالَتُهُ الْعَمَلِيَّةُ لِلْمَقْلَدِيِّينَ بِاللُّغَةِ الْعَرَبِيَّةِ، (دُرَرُ الْأَحْكَامِ فِي بَيَانِ الْحَلَالِ وَالْحَرَامِ)، (رِسَالَةُ مَنْاسِكِ

الحج)، (ترجمة كتاب أصول العقائد للسيد كاظم الرشتي من الفارسية إلى العربية، (البوارق)، (تنزيه الحق)، (العناوين)، (الفصول الغريبة)، (رسالة في جواب سؤال عن أبيات قيلت في العلم المكتوم والألغاز مطلعها:

أَلَا أَيُّهَا السَّارِي عَلَى كُورِ سَابِحٍ أَلَا أَيُّهَا السَّارِي عَلَى كُورِ سَابِحٍ
تَحْمَلُ رَعَاكَ اللَّهُ عَنِّي رِسَالَةً تُبَلِّغُهَا أَهْلَ الْمَدَارِسِ فِي غَدِ

و(رسالة في إثبات أن فرض المحال محال على خلاف المشهور)، (الرضاع)، (رسالة في جواب أسئلة السيد مهدي كشوان الكاظمي)، (رسالة في جواب أسئلة الملا إبراهيم البصير الكويتي)، (رسالتين في جواب أسئلة العالم الفاضل الشيخ حسين الصحاف)، (رسالة في جواب أسئلة الخطيب الملا إبراهيم بن الملا سلمان).

٥٨- السيد أحمد بن السيد يوسف الموسوي (الخونساري):

هو السيد أحمد بن السيد يوسف بن السيد حسن الموسوي الخونساري، وُلِدَ فِي الثَّامِنِ عَشْرٍ مِنْ شَهْرِ مُحَرَّمِ الْحَرَامِ عَامَ ١٣٠٩ هـ، بِمَدِينَةِ خُونَسَارِ فِي إِيرَانَ، وَنَشَأَ فِي عَائِلَةٍ مَتَدِينَةٍ؛ حَيْثُ كَانَ وَالِدُهُ السَّيِّدَ يَوْسُفَ مِنَ الْفُضَلَاءِ، وَيُنْتَهِي نَسَبُ الْعَائِلَةِ إِلَى الْإِمَامِ الْكَاطِمِ عَلَيْهِ السَّلَامُ.

دَرَسَ فِي مَدِينَةِ خُونَسَارِ بَعْضًا مِنَ الْمَقَدِّمَاتِ وَالسُّطُوحِ وَالرِّيَاضِيَّاتِ، ثُمَّ سَافَرَ إِلَى مَدِينَةِ أَصْفَهَانَ لِإِكْمَالِ دَرَاثَتِهِ، ثُمَّ سَافَرَ إِلَى مَدِينَةِ النُّجُفِ الْأَشْرَفِ؛ لِإِكْمَالِ دَرَاثَتِهِ عِنْدَ كِبَارِ أَسَاتِذَتِهَا، وَفِي عَامِ ١٣٣٥ هـ عَادَ إِلَى إِيرَانَ، وَذَهَبَ إِلَى مَدِينَةِ أَرَاكٍ، وَأَخَذَ يَحْضُرُ دُرُوسَ الشَّيْخِ عَبْدِ الْكَرِيمِ الْحَائِرِيِّ الْيَزْدِيِّ، وَبَعْدَ انْتِقَالِ الشَّيْخِ الْحَائِرِيِّ إِلَى قَمِّ، أَخَذَ السَّيِّدُ الْخُونَسَارِيُّ يَقِيمُ صَلَاةَ الْجَمَاعَةِ الَّتِي كَانَ يَقِيمُهَا الشَّيْخُ الْحَائِرِيُّ فِي



أراك، ويؤدّي الوظائف الدينية التي كان الشيخ الحائري يؤدّيها، ولحاجة الحوزة العلمية في مدينة قم المقدّسة لأمثاله؛ فقد جاء إلى مدينة قم المقدّسة وأقام فيها.

من أساتذته: الشيخ فتح الله الأصفهاني المعروف بشيخ الشريعة، الشيخ محمد كاظم الخراساني المعروف بالأخوند، أخوه السيّد محمد حسن الخونساري، السيّد محمد كاظم الطباطبائي اليزدي، الشيخ محمد حسين الغروي النائيني، والشيخ عبدالكريم الحائري اليزدي.

بعد وصوله إلى مدينة قم المقدّسة قادماً من مدينة أراك شرع بتدريس البحث الخارج في الفقه والأصول، وأصبح بعد ذلك من الأستاذة المرموقين في الحوزة العلمية في مدينة قم المقدّسة، وكان من طلابه في البحث الخارج الإمام السيّد موسى الصدر، وبالإضافة إلى تدرسه الفقه والأصول، فقد درّس الفلسفة أيضاً، أمّا عن تدرسه في العاصمة طهران؛ فقد كان يلقي دروسه الفقهية في البحث الخارج في مسجد (السيّد عزيز الله)، واستمرّ على ذلك حتى آخر عمره الشريف.

توفي السيّد الخونساري يوم السبت السابع والعشرين من ربيع الثاني سنة ١٤٠٥ هـ بالعاصمة طهران، وعلى إثر انتشار نبأ وفاته أعلن الحداد العام في البلاد، وعُظمت أسواق العاصمة طهران لمدة ثلاثة أيام، وتمّ تشييعه في العاصمة طهران، ثمّ نقل جثمانه الطاهر إلى مدينة قم المقدّسة، وأجري له تشييع مهيب، وصلى عليه السيّد محمد رضا الكلبيكاني، ودفن بجوار مرقد السيّدة فاطمة المعصومة عليها السلام.

من آثاره: (جامع المدارك في شرح المختصر النافع)، (العقائد الحقّة)، (حاشية على العروة الوثقى).

٥٩- السيّد أبو القاسم الخوئي (زعيم الحوزة):

هو السيّد أبو القاسم الموسوي الخوئي بن السيّد (علي الأكبر) بن



السيد هاشم بن تاج الدين بن علي الأكبر بن قاسم بن ولي بن علي بن رحمة الله بن علي بن ولي بن صادق بن خان بن تاج الدين بن علي بن محمد بن أحمد بن حسن بن مرتضى بن محراب بن محمد بن محمود بن أحمد بن حسين بن عبدالله بن محمد العابد بن الإمام موسى الكاظم عليه السلام، ويلقب بالموسوي، والخوئي، والنجفي.

ولد أبو القاسم الخوئي في شهر رجب عام ١٣١٧هـ، الموافق للتاسع عشر من شهر نوفمبر لعام ١٨٩٩م، في مدينة (خُوئي) -بضم الخاء وفتح الواو وتشدد المشناة من تحت- من إقليم آذربيجان في إيران، وهو الابن البكر لأمّه، والثاني لأبيه بعد السيد عبدالله، يأتي بعده السيد جعفر والسيد جواد، وله أخت.

هاجر السيد الخوئي للنجف وعمره أقل من ثلاث عشرة سنة، وأنهى دراسة السطوح في ما يقارب سبع سنين، وبعدها شرع بدراسة البحث الخارج، وذلك عام ١٣٣٨هـ الموافق ١٩١٩م، والجدير بالذكر أن مرحلة السطوح قد تتجاوز ضعف هذا الزمن، ولكن لنبوغ السيد العلمي أنهاها في سبع سنين.

تدرّج السيد أبو القاسم الخوئي في نبوغه طالباً للعلم، فأستاذاً، ثم مجتهداً ومحققاً، فما إن التحق في عنوان شبابه بدروس الخارج وتقرير بحوث أساتذته على زملائه، سرعان ما عقب شيوخه في أروقة العلم؛ بالتصدي لتدريس (بحث الخارج)، فانهالت عليه هجرة طالبي العلم من كل مكان، وقلدته المرجعية العليا جميع مسؤولياتها وشؤونها، حتى أصبح زعيمها دون منازع، ومرجعاً أعلى للمسلمين الشيعة، يقلده ملايين المؤمنين من أتباع مذهب الإمامية في مختلف بقاع العالم، وطبعت رسائله العملية؛ لبيان الأحكام الشرعية لمقلديه بعدة لغات، وذلك بفضل نبوغه وتضلعه في مختلف العلوم الإسلامية، وبلوغه الغاية من التقوى، وألمعيته في إدارة الحوزات، واهتمامه البالغ برفع مستوى العلماء، علمياً ومعيشياً، وفي رعايته للمسلمين عموماً، فكان آية الله السيد أبو القاسم الخوئي منذ أيامه الأولى يعدّ بحق زعيمها الواعد، حتى أصبح رمزاً

بارزاً من رموز المرجعية، وعلماً من أعلام الإسلام يخفق على قمة الحوزات العلمية في كل مكان.

آثاره: له مؤلفات كثيرة في العلوم الإسلامية المختلفة: كالتفسير، والكلام، والفقه، والأصول، وعلم الرجال، ناهيك عن عشرات التقريرات في الفقه، والأصول التي كتبها تلامذته، و(رسالتان في البداء)، و(البيان في تفسير القرآن) لم يكمل منه سوى مجلّد واحد، (نّفحات الإعجاز)، (رسالة في الخلافة)، (معجم رجال الحديث ٢٤ مجلداً).

٦٠- الميرزا حسن بن موسى الحائري (الإمام المصلح):

هو المولى الحاج حسن بن موسى بن محمد باقر الحائري بن محمد سليم الإسكوثي أو -كما يُترجم له غالباً- الميرزا حسن الإحقاقي أحد رجال الدين الشيعة البارزين ويلقب عند الشيعة بلقب (آية الله المعظم)، تكفل بزمّام المرجعية، وأصبح مرجعاً لمتبعي نهج وفكر مدرسة آل البيت فترة ليست بالطويلة حصل على إجازات الرواية والاجتهاد المفصلة من أساتذته، من: أمثال الشيخ فتح الله الغروي (شيخ الشريعة)، وكذلك من والده وأخيه، تنقل في كثير من البلدان كالنجف وكربلاء وأسكوء والأحساء والكويت، وقام بترميم مدرسة صاحب الأمر فصارت صرحاً يقصده طالبو العلم من جميع المناطق.

انتقلت إليه الزعامة والمرجعية بعد وفاة أخيه، وبعد أن تسلّم المرجعية أقام في الكويت بقصد التوطن، ورأى أن هناك خلافات شديدة بين أبناء بعض الطوائف في تلك الديار؛ فعمل على حلّ هذه الخلافات تدريجياً.

وكانت وفاته في يوم الثلاثاء السادس عشر من شهر رمضان سنة ١٤٢١هـ، في طهران، ودفن في جنة الزهراء (بهشت زهراء).

آثاره: (أحكام الشيعة) وهي رسالته العملية الجامعة لفتاواه والموجهة لعمل مقلّديه، (رسالة الإنسانية) وهي باللغتين العربية والفارسية في



الأخلاق، (رسالة الإيمان) كتاب يردّ فيه على دعاوى أحمد الكسروي، ويدور حول: بحوث التوحيد، والعدل، والنبوة، والإمامة، والمعاد، وإثبات حقيقة التشييع، وهو باللغة الفارسية، وقد تُرجم إلى اللغات: العربية، والأردية، والإنجليزية، (الدين بين السائل والمجيب) يحوي ردوده على الكثير من المسائل الواردة عليه، (منسك الحج)، (منظرة الدقائق)، (تفسير المشكلات من الآيات)، وغيرها من الآثار الأخرى.



أهم المصادر

(أ)

- أبو القاسم صاعد الأندلسي، طبقات الأمم، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، المطبعة الكاثوليكية، ١٣٣٠هـ.
- أبو جعفر محمد بن جرير الطبري، جامع البيان تأويل القرآن، تحقيق محمود شاكر، ط٢، مصر.
- ابن حنبل، مسند، ج٣، مؤسسة الرسالة، ٢٠٠٩م.
- ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، ب ت.
- ابن سعد، الطبقات، ج٥، مكتبة الخانجي، ١٤٢١هـ / ٢٠٠١م.
- ابن حجر العسقلاني، الإصابة في تمييز الصحابة، ج٣، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ١٤١٥ / ١٩٩٥م.
- آدم متز، الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان.
- آغا بزرك الطهراني، الذريعة إلى تصانيف الشيعة، دار الأضواء، بيروت، لبنان، ١٤١٣هـ.
- أحمد البدر، شمس الشموس، دار المحجة البيضاء، بيروت، لبنان، ١٤٣٢ - ٢٠١١م.
- أحمد بن زين الدين الأحسائي، حياة النفس، ب ت.
- أحمد بن زين الدين الأحسائي، الرجعة، بيروت، لبنان، ١٩٩٣م.



- أحمد بن زين الدين الأحسائي، شرح الفوائد، بيروت، لبنان.
- أحمد بن زين الدين الأحسائي، شرح الزيارة الجامعة، طبعة حديثة دون الإشارة إلى مكان وتاريخ الطبع.
- أحمد بن زين الدين الأحسائي، رسائل الحكمة، دار العلوم، بيروت، لبنان، ١٩٩٠، ١٤١٠م.
- أحمد محمد مال الله الصفار، هداية المسترشدين، مخطوط.

(ج)

- جوستاف لوبون، سر تطوّر الأمم، دار النفائس للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ١٩٨٧م.
- جعفر آل ياسين، فيلسوفان رائدان، دار الأندلس، بيروت، لبنان، ١٩٨٠م.
- جعفر آل ياسين، المنطق السينيوي، بيروت، لبنان، ١٩٨٣م.
- جعفر آل ياسين، الفيلسوف الشيرازي، مكتبة الفكر الجامعي، بيروت، لبنان، ١٩٧٨م.

(هـ)

- هاشم محمد الشخص، أعلام هجر، مؤسسة أم القرى، طبعة ثانية، ١٤١٦هـ.

(و)



- ول ديورانت، قصة الفلسفة، مكتبة دار المعارف، بيروت، لبنان، ١٤٠٢هـ،
١٩٨٢م.

(ح)

- حسن الحائري الإحقاقي، الدين بين السائل والمجيب، منشورات مكتبة
الإمام الصادق العامة، ١٤١٢هـ/ ١٩٩٢م.

- حسن الحائري الإحقاقي، منظرة الدقائق على تبيان الحقائق، بيروت،
لبنان، ١٤٣٦هـ/ ٢٠١٥م.

- حسن الشيخ، السيّد زينب بطولة ورسالة، المؤسسة الفكرية للمطبوعات
بيروت، لبنان، ١٩٩٢م.

- حسن الشيخ، آخر الفلاسفة، رؤية عصرية جديدة في فكر الشيخ أحمد
الأحسائي، مؤسسة الفكر الإسلامي - بيروت ٢٠٠٣م.

- حسن الشيخ، فيلسوفان ثائران، دار الرأي العربي، بيروت، لبنان،
١٤٢٥هـ/ ٢٠٠٤م.

- حسن الشيخ، أوّل المجتهدين، دار الرأي العربي، بيروت، ١٤٢٩هـ/ ٢٠٠٨م.

- حسن الشيخ، الرئيس العيثان، دار المحجة، بيروت، لبنان، ٢٠١٠م.

- حسن فيوضات، مدخل إلى فلسفة الشيخ أحمد الأحسائي، توزيع دار
المحجة، بيروت، لبنان، ١٤٢٤هـ.

- حسين محفوظ، فهرست كتب الشيخ الأوحّد، مطبعة المعارف، بغداد،
١٩٧١م.



(ك)

- كاظم الرشتي، دليل المتحريين، جامع الإمام الصادق، الكويت، ط ٣، ١٤٢٣هـ / ٢٠٠٢م.
- كاظم الرشتي، أصول العقائد، الطبعة الأولى، ١٤٢٩هـ / ٢٠٠٨م.
- كاظم الرشتي، اللوامع الحسينية، من دون تاريخ ومكان طباعة.
- كاظم الصحاف، تذكرة الأشراف في ترجمة آل الصحاف، تحقيق عبدالله الشايب، دار المحجة البيضاء، بيروت، ١٤٢٥هـ.

(م)

- محسن الأمين، أعيان الشيعة، دار التعارف للمطبوعات، بيروت، لبنان، ١٤٠٦هـ / ١٩٨٦م.
- محمد علي أسبر، العلامة الأحسائي في دائرة الضوء، دار الأصاله، بيروت، لبنان، ١٤١٣هـ / ١٩٩٣م.
- محمد علي الحرز، (ملاحح الحياة العلمية في الأحساء)، مجلة الواحة، الأعداد: (٣٩، ٤٠، ٥٠، ٥١) ٢٠٠٦م - ٢٠٠٧م.
- محمد علي الحرز، الشيخ باقر أبو خمسين علم وعطاء وأدب، دار الخليج العربي للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، ١٤٢٠هـ / ١٩٩٩م.
- محمد مهدي شمس الدين، حركة التاريخ عند الإمام علي، مكتب الإعلام الإسلامي، لبنان، بيروت، ١٤٠٥هـ / ١٩٨٤م.
- موسى الحائري، إحقاق الحق، منشورات جامع الإمام الصادق، ط ٤، الكويت، ١٤٢١هـ / ٢٠٠٠م.
- موسى الحائري، الإجازة بين الاجتهاد والسيرة، تحقيق أحمد بوشفيق،



- لجنة إحياء تراث مدرسة الشيخ الأوحّد، بيروت، لبنان، ط ٢، ١٤٢٢ هـ.
- محمد سعيد المسلم، القطيف، مطابع جامعة الملك سعود، الرياض، ١٤١٧ هـ.
- محمد جواد الخرس، فقهاء الأحساء، مخطوط، ب ت.
- موسى الهادي، في محراب الشيخ محمد بن حسين أبي خمسين، دار العروة الوثقى، بيروت، ١٤٢٥ هـ.
- موسى الموسوي، من الكندي إلى ابن رشد، بيروت، لبنان، ١٩٧٧ م.
- محمد بن حسين أبو خمسين، مفاتيح الأنوار في بيان معرفة مصابيح الأسرار، دار المحجة البيضاء، بيروت، ٢٠٠٣ م.
- محمد بن حسين أبو خمسين، النور المضيء في معرفة الكنز الخفي، دار المحجة البيضاء، ٢٠٠٧ م.
- محمد حسين أبو خمسين، نجاة الهالكين، من دون تاريخ ومكان طبع.
- محمد حسين أبو خمسين، الرسالة الخرسانية، دار المحجة البيضاء، ٢٠٠٧ م.
- مرتضى المطهري، العرفان، دار المحجة البيضاء، بيروت، لبنان، ١٩٩٣ م.
- محمد جواد مغنية، معالم الفلسفة الإسلامية، دار القلم، بيروت، ١٩٧٣ م.
- محمد جواد مغنية، فلسفات إسلامية، دار الجواد، بيروت، لبنان، ١٩٩٣ م.
- محمد حسنين السابقي، عبقرية الأوحّد، الكويت، ب ت.
- محمد يوسف مرسي، بين الدين والفلسفة معناهما ونشأتهما وعوامل التفرقة بينهما، جمهورية مصر العربية، ١٩٥٩ م.
- محمد حرز الدين، معارف الرجال، ج ٢، مكتبة المرعشي النجفي، قم، إيران، ١٣٠٥ هـ.



- محمد تقى المدرسى، العرفان الإسلامى، دار البيان العربى، بيروت، ١٩٩٢ م.
- محمد بن محمد النعمان (المفيد) أوائل المقالات، دار الكتاب الإسلامى، بيروت، لبنان، ١٤٠٣ هـ / ١٩٨٣ م.
- محمد بن الحسن بن فروخ الصفار، بصائر الدرجات، بيروت، مؤسسة الأعمى للمطبوعات، ٢٠١٠ م
- مولى محمد صالح المازندراني، شرح أصول الكافي، دار إحياء التراث العربى، بيروت، لبنان، ٢٠٠٠ م
- محمد حسين الطباطبائي، بداية الحكمة، مؤسسة أهل البيت، بيروت لبنان، ١٩٨٦ م
- مجلة الواحة، عدد ٣٩، السنة ١١، الربع الرابع، ٢٠٠٥ م.

(ن)

- نور الدين الشاهرودي، تاريخ الحركة العلمية في كربلاء، دار العلوم، بيروت، لبنان، ١٤١٠ هـ / ١٩٩٠ م.

(ع)

- عبدالله نعمة، فلاسفة الشيعة، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت، لبنان، ب.ت.



- عبدالله الخنيزي، الحركات الفكرية في القطيف، مؤسسة البلاغ، بيروت، لبنان، ١٤٢٢هـ/ ٢٠٠٢م.
- عبدالعظيم المشيخص، القطيف وملحقاتها، منشورات الشيخ للتحقيق والنشر، بيروت، لبنان، ١٤٢٣هـ/ ٢٠٠٢م.
- عبد العلي يوسف آل سيف، (إجازة الشيخ عبدالله بن معتوق الخطي للشيخ موسى الحائري الإسكوي)، العدد الثاني والأربعين، مجلة الواحة، ٢٠٠٦م.
- عبدالجليل الأمير، فكر ومنهج في فكر الشيخ الأحسائي، دار النخيل، بيروت، لبنان، ط ٢، ١٤١٥هـ/ ١٩٩٥م.
- عبدالجليل الأمير، من خطى خادم الشريعة، ب م، ٢٠٠٤م.
- عبدالجليل الأمير، فكر الإمام المصلح آية الله ميرزا حسن الإحقاقي، ب م، ١٤٢٣هـ.
- عبد الرسول الحائري، قرنان من المرجعية والاجتهاد، منشورات مكتبة الإمام الصادق، الكويت، ١٤١٥هـ.
- عبدالرحمن بن عثمان الملا، تاريخ هجر، ط ٢، مطابع الجواد، الأحساء، ١٤١١هـ/ ١٩٩١م.
- علي بن الحسين بن علي المسعودي، مروج الذهب، دار المعرفة، بيروت، لبنان، ب ت.
- علي الحائري الإحقاقي، عقيدة الشيعة، ب م، ١٩٨٦م.
- علي الحائري الإحقاقي، الكلمات المحكمات، مكتبة العذراء، الكويت، ١٤٢٦هـ/ ٢٠٠٥م.
- علي الشيخ إبراهيم إسماعيل، حقائق، دار الزمان، بغداد، العراق، ١٩٦٥م.



- علي البلادي البحراني، أنوار البدرين، دار المرتضى، بيروت، لبنان،
١٤١١هـ / ١٩٩١م.

- علي حبيبة، من قضايا التاريخ في البحرين، مجلة الوثيقة، عدد ٥، السنة
٣، مركز الوثائق التاريخية، البحرين، ١٤٠٤هـ / ١٩٨٤م.

(ف)

- فرانسيس فوكوياما، نهاية التاريخ، دار العلوم العربية، بيروت، ١٩٩٣م.

- فوزي عطوي، الفارابي، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، ١٩٧٨م.

(ص)

- الصدوق، أبو جعفر القمي، ثواب العمال وعقاب الأعمال، دار طليعة
نور.

- صالح السليمي، أضواء على مدرسة الأحسائي، مكتبة جامع الإمام
الصادق، الكويت، ب.ت.



- ٩- ركائز الدعاء ، تأملات في فلسفة الدعاء ، الأميرة للطباعة والنشر والتوزيع ، بيروت ، لبنان ، ٢٠١٨ م .
- ١٠- مرجعنا أبو خمسين ، دراسة عن مرجعية الشيخ محمد بن حسين أبي خمسين ، (بين يديك) .

ثانياً: مؤلفاته الإدارية:

- ١- دليل رجل الشرطة الميداني ، الدمام ، السعودية ، ١٩٩٠ م .
- ٢- الإدارة بين يديك ، للمديرين ورجال الأعمال ، مطابع الوفاء ، الدمام ١٩٩٢ م .
- ٣- السلوك الإداري بين النظرية والتطبيق ، مطابع العيد ، الدمام ١٩٩٣ م .
- ٤- معجم مصطلحات الإدارة ، الشركة الشرقية للصحافة الدمام ١٩٩٧ م .
- ٥- التجربة المعاصرة للتنظيم الإداري بالمملكة العربية السعودية كتيب المجلة العربية الرياض ٢٠٠٤ م .
- ٦- الحكومة الإلكترونية ، دراسة التجربة التقانية للمملكة العربية السعودية ، من مطبوعات المجلة العربية ، الرياض ٢٠٠٦ م .
- ٧- الحكومة الإلكترونية في دول الخليج العربي ، دار الوفاء للنشر والطباعة ، مصر ، الإسكندرية ، ٢٠٠٨ م .
- ٨- تقنيات إدارية حديثة ، دار الوفاء للطباعة والنشر ، مصر ، الإسكندرية ، ٢٠١٠ م .



ثالثاً: مؤلفاته الأدبية:

- ١- ولادة فارس قبيلة المطاريد (قصص)، مطابع الوفاء، الدمام ١٩٩٨م.
- ٢- اختفاء قدوسة (قصص)، الدمام، ١٩٩٩م.
- ٣- الفوارس (رواية)، دار الكنوز الأدبية، بيروت، لبنان، ٢٠٠٣م.
- ٤- حافلة الأحساء (قصص)، النادي الأدبي بالمنطقة الشرقية، ٢٠٠٤م.
- ٥- غيمة البدرى، (مجموعة قصصية) دار فراديس للنشر، البحرين، ٢٠٠٧م.
- ٦- المنارة، رواية، دار الكنوز الأدبية، لبنان، بيروت، ٢٠٠٩م.
- ٧- المقبرة، مجموعة قصصية، دار محاكاة، دمشق، سوريا، ٢٠١٠م.
- ٨- الكوت، رواية، دار الثقافة، بيروت، لبنان، ٢٠١٣م.
- ٩- رداء الملائكة، قصص قصيرة جداً، الدار العربية للعلوم ناشرون، بيروت، لبنان، ١٤٣٨هـ/ ٢٠١٧م.
- ١٠- محطة الهفوف، مجموعة قصصية، الأميرة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ١٤٣٨هـ/ ٢٠١٧م.
- ١١- السقوط المشرع، مجموعة قصصية، دار الأمل الجديد، لبنان، بيروت، ٢٠١٨م.

رابعاً: كتب نقدية وإعلامية:

- ١- هوية القصة القصيرة، مقالات نقدية، دار الخط، بيروت، ٢٠١٥م.
- ٢- الفوضى الروائية، مقالات نقدية، الأميرة للطباعة والنشر والتوزيع،



بيروت، لبنان، ١٤٣٨هـ / ٢٠١٧م.

٣- صناعة الإعلام، مقالات إعلامية وصحفية، دار الخط، الدمام، السعودية، ٢٠١٦م.

٤- مسارنا النقدي، مقالات نقدية، دار الأمل الجديد، لبنان، بيروت، ٢٠١٨م.

٥- التاريخ المزعوم، مقالات نقدية، تحت الطبع

خامساً: كتب عن المؤلف:

١- قراءة في تراجم حسن الشيخ، علي محمد علي، مطابع الخطوط الفنية، الدمام، السعودية، ١٤٣١هـ / ٢٠١٠م.

٢- مؤلفات حسن الشيخ، دراسة بليوجرافية، أحمد عبدالمحسن البدر، مطابع الرضا، الدمام، السعودية، ١٤٣٢هـ / ٢٠١١م.

٣- فارس من الأحساء، تجربة الكتابة عند حسن الشيخ، جاسم علي الجاسم، الشركة الشرقية للطباعة والصحافة والإعلام، ١٤٣٤هـ / ٢٠١٣م.

٤- سارد من الأحساء، سياقات الحضور والغياب عند القاص السعودي حسن الشيخ، الدكتور محمد زيدان، دار الإسلام للطباعة والنشر، المنصورة، مصر، ٢٠١٧م.

٥- نجم تعانقه الشواطئ، قراءات في تجربة حسن الشيخ السردية، عقيل بن ناجي المسكين، دار الأميرة للنشر والتوزيع، لبنان، بيروت، ٢٠١٨م.



الفهرس

تقديم

٦

الفصل الأول: تاريخنا الأحسائي:

- ١٠ - ١ قبل التاريخ:
- ١٢ - ٢ التاريخ وعصر التحوّلات:
- ١٦ - ٣ أيام الأحساء:
- ١٩ - ٤ بداية التاريخ:
- ٢٢ - ٥ تاريخ الأنبياء:
- ٢٥ - ٦ الأحساء قبل أبي خمسين:
- ٢٩ - ٧ الأحساء بعد أبي خمسين:

الفصل الثاني: حكمتنا الإسلامية:

- ٣٤ - ١ على عتبة الفلسفة:
- ٣٦ - ٢ فلسفتنا العربية:
- ٤٣ - ٣ ماهية الفلسفة:
- ٥١ - ٤ القواعد الفلسفية:
- ٥٤ - ٥ أدوات الفلسفة:
- ٥٦ - ٦ خطُّ النهاية:
- ٥٧ - ٧ حكمتنا والفلسفة:
- ٦٠ - ٨ مدرسة آل البيت الحكيمة:
- ٦٥ - ٩ حكمة أبي خمسين:

الفصل الثالث: عرفاننا الإسلامي:

- ٨٨ - ١ - التصوّف والعرفان:



- ٩٢ - ٢- مراحل التصوّف:
 ٩٨ - ٣- أشهر كتب ابن عربي:
 ١٠٠ - ٤- العرفان الأحسائي:
 ١٠٤ - ٥- عرفان أبي خمسين:
 ١١٢ - ٦- النفس بين الفلسفة والعرفان:

الفصل الرابع: مرجعنا أبو خمسين:

- ١٢٦ - ١- الولادة المباركة:
 ١٢٧ - ٢- العودة للجذور:
 ١٣٠ - ٣- بداية الانطلاق:
 ١٣٤ - ٤- أساتذته ومشايخه:
 ١٣٥ - ٥- ملامح شخصيته:
 ١٣٧ - ٦- نشاطه الاجتماعي:
 ١٤٢ - ٧- مرجعيته الكبرى:
 ١٤٥ - ٨- منزلته العلمية:
 ١٥٠ - ٩- مشاهير تلامذته:
 ١٥٣ - ١٠- مكائنه الاجتماعية:
 ١٥٦ - ١١- أسلوبه في الكتابة:
 ١٥٨ - ١٢- الغروب الحزين:
 ١٥٩ - ١٣- آثار مرجعنا أبي خمسين:

الفصل الخامس: مرجعياتنا الدينية:

- ١٦٤ - ١- أعلام المذهب:
 ١٧١ - ٢- مراجعنا العظام:

٢٢١ أهم المصادر







كلمة الناشر

تعزدار الرأي العربي للطباعة والنشر أن تقدم للقراء العرب كتاب (مرجعنا أبو خمسين) لحسن الشيخ. وهذا الكتاب هو ترجمة فريدة ومتميزة للمرجع الديني الكبير محمد بن حسين أبو خمسين. والشيخ هو أحد هؤلاء المراجع الكبار الذين أنجبتهم الأحساء، وسطعت أنوار مرجعياتهم إلى أقاصي الدنيا، ولم يزل -أبو خمسين- يخالط حبه تاريخ الأحساء الاجتماعي، ولم يزل علمه مطروحاً على مائدة العلماء في الحوزات العلمية. وفي هذا الكتاب (مرجعنا أبو خمسين) حاول الكاتب بكل جهد أن يتصدى بالبحث والرصد والتدقيق في مسيرة المرجعيات الكبرى في عالمنا الإسلامي، ويرصد أيضاً تاريخ المرجعيات الأحسائية تحديداً؛ وذلك لغياب الدراسات التاريخية الجادة عن حياة هؤلاء العظام خلال القرون المتأخرة.

الناشر



مرجعنا أبو خمسين

دراسة تحليلية لمرجعية الشيخ محمد بن حسين أبي خمسين

زعيم مدرسة آل البيت الحكيمية بالأحساء

تأليف: حسن الشيخ